الامام الحسن بن علی علیه السلام



بسم الله الرحمن الرحیم

الامام الحسن بن على عليهما السلام

كاتب:

مجله حوزه

نشرت فى الطباعة:

مجله حوزه

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

الفهرس

الامام الحسن بن على عليهما السلام

اشارهٔ

المولف:مجله حوزه

الناشر:مجله حوزه

اهداء

اليک يا ابن رسول الله

اليک يا سيد شباب أهل الجنهٔ

اليک يا من وصفه رسول الله بالسيادهٔ

اليک يا ابن فارس الاسلام

اليک يا ابن سيدهٔ نساء أهل الجنهٔ

اليک يا خامس الراشدين

اليک يا سيدى الامام الحسن بن على

أشراف باهداء هذه الدراسهٔ

و كلى أمل من ربى - جل جلاله - أن يتقبلها

[صفحه ۹]

تقديم

سيدنا الامام الحسن هو: أبومحمد الحسن بن على بن أبى‌طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، و أمه السيدهٔ فاطمهٔ الزهراء بنت سيدنا و مولانا رسول الله، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، ولده عبدالمطلب مرتين، كما ولد هاشم أباه عليا مرتين، فكان له ذلک الشرف العظيم الذى يتيه به على الأجيال.

و كان امامنا العظيم أول مولود ذكر فى أشرف بيت عربى، عريق فى النسب و العزهٔ، فألقته الزهراء البتول - عليهماالسلام - الى الحياهٔ، فى منتصف رمضان، ثلاث انقضت من الهجرهٔ، فأشرقت الوجوه استبشارا، و انطلقت الحناجر حمدا و شكر لله تعالى.

و كان جده المصطفى صلى الله و عليه و سلم قد بشر به قبل ولادته، أخرج البغوى فى معجمه، و ابن الأثير فى أسد الغابهٔ، و ابن‌عساكر فى تاريخه، و الامام أحمد فى مسنده عن جابر، أن أم‌الفضل امرأهٔ العباس بن عبدالمطلب قالت: يا رسول الله، كأن عضوا من أعضائک فى بيتى، فقال صلى الله و عليه و سلم: «خير رأيتيه، تلد فاطمهٔ غلاما فترضعيه بلبن قثم، فولدت فاطمهٔ الحسن، فأرضعته بلبن قثم».

هذا وقد عق سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن حفيده الحسن بن على، بنفسه فذبح كبشا، أخرج الامام أحمد عن عبدالله بن بريدهٔ قال: سمعت أبى يقول:

[صفحه ۱۰]

ان رسول الله صلى الله عليه و سلم عق عن الحسن والحسين»، و عن الامان جعفر الصادق - شيخ علماء الأمة - قال: عق رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الحسن بيده، و قال: بسم الله عقيقة عن الحسن، و قال: «اللهم اجعلها وفاء لمحمد و آل محمد»، و فى رواية: عق عنه بكبشين أملحين، و أعطى القابلة فخذا و دينارا، و قال: يا فاطمة احلقى رأسه، و تصدقى بزنة شعره فضة، و أجرى صلى الله عليه و سلم له الختان فى اليوم السابع من ولادته.

و لا ريب فى أن نسب سيدنا الامام الحسن، انما هو أعظم نسب فى الدنيا، و كفى الامام الحسن - و شقيقه الامام الحسين - فخرا، أن جدهما سيد ولد آدم، محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أن أباهما أميرالمؤمنين، الامام على بن أبى‌طالب، كرم الله وجهه فى الجنة، و أن أمهما سيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء، بضعة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أن جدتهما السيدة خديجة بنت خويلد، صديقة النساء، و من أقرأها جبريل السلام من ربها، و أن عمهما جعفر الطيار، و عم أبيهما حمزة بن عبدالمطلب، أسد الله و أسد رسول الله، و سيدالشهداء، وجدهما أبوطالب ناصر رسول الله صلى الله عليه و سلم و المدافع عنه، و المتحمل الأذى فى سبيله، وجد أبيهما عبدالمطلب شيبة الحمد، جد النبى صلى الله عليه و سلم و سيد البطحاء، وجد جدهما هاشم، معطم الحجيج، و هاشم الثريد، و سيد قريش.

أخرج عبدالرزاق فى مصنفه، و الطبرانى فى معجمه، و ابن‌عساكر فى تاريخه، و الحاكم فى مستدركه عن ابن‌عباس قال: صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاة العصر، فلما كان فى الركعة الرابعة، أقبل الحسن و الحسين، حتى ركبا على ظهره، فلما سلم وضعهما بين يديه، و أقبل على الحسن فحمله على عاتقه الأيمن، و الحسين على عاتقه الأيسر، ثم قال: «أيها الناس، ألا أخبركم بخير الناس جدا وجدة، ألا أخبركم بخير الناس عما و عمة، ألا أخبركم بخير الناس خالا و خالة، ألا أخبركم بخير الناس أبا و أما، الحسن و الحسين، جدهما رسول الله، وجدتهما خديجه بنت خويلد، و أمهما فاطمة بنت رسول الله، و أبوهما على بن أبى‌طالب، و عمهما جعفر بن أبى‌طالب، و عمتهما أم‌هانىء بنت أبى‌طالب

[صفحه ۱۱]

و خالهما القاسم بن رسول الله، و خالاتهما، زينب و رقية و أم‌كلثوم، بنات رسول الله، وجدهما فى الجنة، و أبوهما فى الجنة، و أمهما فى الجنة، و عمهما فى الجنة، و عمتهما فى الجنة، و خالاتهما فى الجنة، و هما فى الجنة، و من أحبهما فى الجنة».

و يعلق الشيخ ابن‌طلحة هذا الحديث الشريف بأن الله شرف الحسن و الحسين بما لم يشرف به أحد غيرهما، فهما سبطا النبى صلى الله عليه و سلم و ريحانتاه، و سيدا شباب أهل الجنة، جدهما سيد الأنبياء و المرسلين محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أبوهما الامام على، و أمهما الطاهرة البتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هكذا كان نسبهما تتضاءل عنده الأنساب، فالحسن و الحسين، عليهماالسلام، دوحة الفضل و النبوة التى طالبت فرعا أو أصلا، و شعبة الرسالة التى سمت رفعة و نبلا، قد اكتفها العز و الشرف، ولازمهما السؤدد، فماله عنهما منصرف.

هذا و قد نشأ الامام الحسن فى بيت الوحى، و تربى فى مدرسة النبوة، و شاهد جده المصطفى صلى الله عليه و سلم الذى هو أكمل انسان ضمه هذا الوجود، جمع الناس على كلمة التوحيد، و توحيد الكلمة، فتأثر الحسن السبط بذلك كله، و انطلق يسلك خطى جده النبى صلى الله عليه و سلم، و يهتدى بهديه.

و بـدهى أن امامنا الحسن بن على، انما قـد تأثر كـذلك بأمه السـيدهٔ فاطمـهٔ الزهراء، فلقـد كانت سـيدهٔ النساء أهل الجنـهٔ، تعنى كثيرا بولديها، الحسن و الحسـين، لأنها كانت تخاف عليهما من مسـتقبل جائر، يصـفه جدهما صـلى الله عليه و سلم، و هو الذى لا ينطق عن الهوى، كما كانت شديدهٔ التعلق بهما، حتى أنها كثيرا ما كانت تضطرب، اذا ما فارقاها، أو انصرفا عن البيت الى جدهما صلى الله عليه و سـلم أو أبيهما، فهى كانت تلازمهما لتنشـىء فيهما المعرفهٔ و الآداب النبويهٔ، و لتحليهما بالعادات و التقاليد التى تنفق و مكانهٔ سبطى رسول الله صـلى الله عليه و سـلم، كما هو معروف، فان التربيـهٔ الحقـهٔ انما تبـدأ فى عهد الأمومهٔ، حيث يمارس الولد المحبهٔ و الطاعهٔ و المحافظـهٔ على الواجبـات و الحقوق، و من ثم فقـد بـدأت الزهراء، عليهاالسـلام، تغرس تعـاليم بيت النبوهٔ فى ولـديها، لتجعلهما صافى النفس، و لتصرفهما بكليتيهما الى

[صفحه ۱۲]

السماء، فينشأ الواحد منهما مجبولا على طبائعها، فضلا عما أوتيه من شبه بها و بجده النبى صلى الله عليه و سلم و بأبيه الامام على، كرم الله وجه فى الجنهٔ،

و هكـذا عملت الزهراء على تنشأتهما النشأهٔ الصالحـهٔ، كسـبطين لرسول الله صـلى و الله و آله و سـلم، و ولدين للامام على المرتضـى، سلام عليهم أجمعين، و هكذا رغم قصـر الفترهٔ التى عاشها الامامان الحسن و الحسين فى حضانهٔ الزهراء، فقد جعلتهما متمرسين بفكرهٔ الله والدين، و لا عجب من أن يكون الحسنان كذلك، فقد ربيا و نشآ فى ظل رجلين و امرأهٔ، هم أعظم من أظلت السماء.

و ما أن ينتقل النبى و الزهراء الى الرفيق الأعلى، حتى أصبحا الحسـنان فى كنف الامام على، فكان لهما نعم الأب، و نعم الموجه، كما كـان فى نفس الوقت نعم القـدوهٔ الحسـنهٔ، كـان دائم السـهر على راحتيهما، يشـملهما برعايته، و يتعهـدهما بحبه، و يشـرح لهما الأمور بفصـاحته، و يزودهمـا بمعارفه، و يطلعهما على ما طوى صـدره من علم و حكمـهٔ، و يهتم بهما أشـد الاهتمام، خاصـهٔ و هو يرى حوله أوضاعا مزعزعهٔ، و أحقادا مستعرهٔ

و تمر الأيـام و يكبر الامام الحسن، و يصـبح هو - و أخوه الامام الحسيـن - عينى أبيهما الامام على، و يشاركه الرأى، و يكون معه فى يوم الجمل، فى ميمنهٔ الجيش، و أخوه فى الميسـرهٔ، و الرايهٔ بيد الأخ الثالث - محمد بن الحنفيهٔ - و كان الامام على يقذف بمحمد، و يكف عن الحسن و الحسـين، فقيل لمحمـد: لم يغرر بك أبوك فى الحرب، و لا يغرر بأخويك؟ فأجاب: انهما عيناه، و أنا يمينه، فهو يـدفع عن عينيه بيمينه، و هكـذا كـان الحسن من أركـان الحرب عنـد أبيه، و من أمراء جيشه، و هـو منه ساعـد قـوى، و معـوان عظيم، فالامام يزحف و أولاده من حوله، يشـدون أزره، و يسـندون ظهره، و كلهم ليث قاصم الضـربهٔ، و هكذا أصـبح الامام الحسن شـريك أبيه فى أمره، يدعو و يثبط، و ينقض و يبرم، و كعبه على كعبه، الى الجمل فصفين فالخوارج فالنهروان، لأنه موضع ثقهٔ أبيه.

و تمضـى الأيـام، و ينتقـل الامـام على، كرم الله وجهه فى الجنـهٔ، الى الرفيق الأـعلى، و يختار الناس ولـده الامام الحسن أميرا للمؤمنين بعده، و سواء أكان

[صفحه ۱۳]

ذلك بوصـيهٔ من الامام على، فيما ترى الشيعهٔ، أو باختيار الناس، فيما يرى أهل السنهٔ، فان البيعهٔ - كما يقول ابن العربى فى العواصم و القواصم - للامام الحسن منعقدهٔ، و هو أحق من معاويهٔ بن أبى‌سـفيان و من كثير غيره، و كان خروجه لمثل ما خرج اليه أبوه من دعاء الفتنهٔ الى الانقياد للحق، و الدخول فيه.

و تروی المصادر أن الامام الحسن قد خطب بعد وفاة أبيه أميرالمؤمنين على بن أبی‌طالب، فقال: «لقد قبض الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، و لا يدركه الآخرون بعمل، و لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقيه بنفسه، و لقد كان يوجهه برايته، فيكتنفه جبريل عن يمينه، و ميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، و لقد توفى فى الليلة التى عرج فيها بعيسى بن مريم، و توفى فيها يوشع بن نون، وصى موسى، و ما خلف صفراء و لا بيضاء، الا سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادما لأهله»، ثم حنقه العبرات فبكى و بكى الناس، ثم قال: «أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى فأنا الحسن بن على، و أنا ابن النبى، و أنا ابن البشير النذير، و أنا ابن الداعى الى الله عزوجل باذنه، و أنا ابن السراج المنير، و أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم «قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى، و من يقترف حسنه نزد له فيها حسنا»، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت».

و هكذا تضمن خطاب الامام الحسن دعوة الناس الى مبايعته، و قد كانت دعوة رائعة، بكل ما للروعة من معنى، فهو قد عرف الناس - و هم يعرفون - أنه ابن النبى، و ابن الداعى الى الله، و ابن السراج المنير، و أنه الان رأس البيت الذى أذهب الله عنه الرجس و الأباطيل، و من ثم فهو أحق الناس بالخلافة بعد أبيه، فبابعة الناس، و كان أول من بايع قيس بن سعد الأنصارى.

و هكذا أصبح الامام الحسن خامس الراشدين، رغم أن كتب التاريخ انما اعتادت على أن تقدم لنا الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز، على أنه خامس

[صفحه ۱۴]

الراشدين، و نحن - مع تقديرنا العظيم للخليفة الزاهد و الحاكم و العادل، المحب لآل البيت [۱] - نرى أن ذلك خطأ تاريخى و دينى، فلقد تحققت بالامام الحسن و عليه معجزة جده سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى قوله الشريف «الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا عضوضا»، و صدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و صدقت معجزته، فكان للامام الحسن منها قرابة ستة أشهر تتميما لها، أو سبعة أشهر واحد عشر يوما، فيما يروى ابن‌عساكر، و من ثم فالامام الحسن هو خامس الراشدين، حيث كملت الثلاثون بخلافته، فلقد نزل عن الخلافة لمعاوية بن سفيان فى ربيع الأول سنة احدى و أربعين، و ذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله صلى الله عليه و سلم، فانه توفى فى ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة، و هذا من دلائل النبوة، و معجزات الرسول صلى الله عليه و سلم، و من ثم فقد كانت آخر ولاية الحسن - كما يقول ابن خلكان - تمام ثلاثين سنة من أول خلافة أبى‌بكر الصديق.

ثم هناك معجزة أخرى للنبى صلى الله عليه و سلم تحققت بحفيده الحسن و عليه، ذلك أن من أبرز مناقب الامام الحسن ظهورا، و أبعدها أثرا فى حياته، و فى حياة أمة الاسلام بأسرها فى ذلك الحين، هو زهده فى الامارة، و كراهيته للعلو فى الدنيا، شأنه فى ذلك شأن أبيه العظيم الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، لم

[صفحه ۱۵]

يكن له أى هوى فى تحمل أمر المسلمين، فقد بايعه الناس - كما بايعوا أباه من قبل - على غير رغبة منه و رضى، و من ثم فقد سعت اليه الخلافة، و هو الجدير بها، و لم يسع اليها، و اضطر الى قبولها حتى لا يصير أمر الناس الى فوضى، و تظهر عظمة ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى أوجها، و تبرز من أعماق نفسه القوة الكامنة فى أروع صورها، حين دانت له العراق و ماوراءها من خراسان، و اجتمعت له الكتائب أمثال الجبال، كما يروى البخارى، و مع ذلك لم تغلبه نفسه، و لم تفتنه الامارة، و لم تخدعه الدنيا باقبالها و

سلطانها، فتنازل عنها لمعاوية، زهدا فيها، و كراهية المنازعة عليها، و ما قد يجره ذلك من سفك الدماء، و تفرق الكلمة، و ما أصدقه حين يقول: «أيها الناس ان الأمر الذى اختلفت فيه، أنا و معاويه، انما هو حق أتركه لاصلاح الأمة، و حقن دمائها.»

و ليس هناك من ريب فى أن الحديث الشريف الذى رواه البخارى فى صحيحه عن أبى‌بكرة، قال: سمعت النبى صلى الله عليه و سلم على المنبر، و الحسن الى جانبه، ينظر الى الناس مرة، و اليه مرة، و يقول: «ان ابنى هذا سيد، و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»، انما قد وقع من نفس الامام الحسن موقعا عظيما، و قد ذكره حين ثارت الفتنة، و قد اجتهد فى مواطن و أوقات متعددة أن يصلح بين هاتين الفئتين من المسلمين، فيحقق نبوة جده المصطفى صلى الله عليه و سلم، و من ثم فقد كان هذا الحديث بالذات من أهم الأسباب التى دفعت الامام الحسن الى قبول الصلح مع معاوية، و بذلک فقد تحققت فيه و به معجزة أخرى لجده المصطفى صلى الله عليه و سلم، و أصلح الله به بين فئتين من المسلمين.

و هذا و سيدنا الامام الحسن - كواحد من أهل بيت النبى صلى الله عليه و سلم - انما قد أكرمه الله تعالى، بكل ما أكرم به أهل بيت، و بالتالى فهو واحد من هؤلاء الطاهرين و المطهرين الذين جاءت فى حقهم آيتا الاحزاب (۵۶، ۳۳) و آية الشورى (۲۳) و غيرها، فضلا عن الأحاديث الشريفة التى جاءت فى فضائل أهل البيت، تحض المسلمين على مودتهم و موالاتهم، و تنفر من بغضهم و كراهيتهم، بل و تعلن أن حب آل النبى من حب النبى صلى الله عليه و سلم، و أن بغضهم من

[صفحه ۱۶]

بعضه، و أنه لا أمل لمن يكره آل النبى فى رضائه صلى الله عليه و سلم فى الدنيا، و فى شفاعته فى الآخرة.

و كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم يحب الحسن كثيرا، روى البخارى فى صحيحه عن البراء بن عازب، قال: رأيت النبى صلى الله عليه و سلم و الحسن بن على، على عاتقه يقول: «اللهم انى أحبه فأحبه»، و روى الامام أحمد و الرويانى و ابن‌عساكر عن أبى‌بكرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلى بالناس، فاذا سجد وثب الحسن على ظهره أو على عنقه، فرفع رأسه فيضعه وضعا رقيقا لئلا يصرع، فعل ذلک غير مرة، فلما قضى صلاته ضمه اليه، و جعل يقبله، فقالوا: يا رسول الله انک لتفعل بهذا شيئا ما رأيناک تفعله بأحد، فقال: «ان ابنى هذا ريحانتى فى الدنيا، و ان ابنى هذا سيد، و سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين».

و أخرج الحافظ ابن‌كثير و الترمذى بسنده عن ابن‌عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو حامل الحسن على عاتقه فقال له رجل: يا غلام نعم المركب ركبت، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «و نعم الراكب هو».

و بعد: فالله أسأل أن يكون فى هذه الدراسة بعض النفع، ولله العزة و لرسوله و للمؤمنين، «و ما توفيقى الا بالله عليه توكلت و اليه أنيب».

و صلى الله على سيدنا و مولانا و جدنا محمد رسول الله، و على آله الطيبين الطاهرين، و الحمدلله حمدا يليق بجلاله، و يقربنا الى مرضاته سبحانه، ليتفضل علينا - بمنه و كرمه - فيقبلنا عنده فى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، عبادا لله قانتين، و تابعين للنبى الأمى الكريم، و بأخلاقه مقتدين، انه سميع قريب مجيب الدعوات، رب العالمين.

مكة المكرمة فى ۱۲ ربيع الأول عام ۱۴۰۷ ه.

۱۴ نوفمبر عام ۱۹۸۶ م.

دكتور محمد بيومى مهران

الاستاد بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية و كلية الشريعة - جامعة أم القرى بمكة المكرمة

[صفحه ۱۷]

فی رحاب النبی

مولد الحسن

تتفق المصادر، أو تکاد، علی أن الامام الحسن انما ولد فی الخامس عشر من رمضان من العام الهجری الثالث (۱۵ فبرایر ۶۲۴ م) فی المدینة المنورة، و امامنا الحسن هو فلذة کبد سید البشر مولانا محمد رسول الله صلی الله علیه و سلم، و ریحانة قلب المصطفی، و شبیه جده الرسول المجتبی، و قرة عین الزهراء سیدة نساء العالمین، و ابن الامام علی، و هو أمیرالمؤمنین، سبط رسول الله صلی الله علیه و سلم و سید شباب أهل الجنة، أبومحمد الحسن بن علی بن أبی‌طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، و أمة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلی الله علیه و سلم، و هو أکبر أولادها، أخبر رسول الله صلی الله علیه و سلم بولادته قبل أن یولد، فلقد أخرج البغوی فی معجمه، و ابن‌الأثیر فی أسد الغابة، و ابن‌عساکر فی تاریخه، و الامام أحمد فی مسنده، عن جابر، أن أم‌الفضل امرأة العباس بن عبدالمطلب قالت: یا رسول الله کأن عضوا من أعضائک فی بیتی، فقال صلی الله علیه و سلم: «خیر رأیتیه، تلد فاطمة غلاما فترضعیه بلبن قثم، فولدت فاطمة الحسن فأرضعته بلبن قثم». هذا وقد اختلفت الروایات فی سبب تسمیة الحسن و الحسین باسمیهما، فلقد روی أبونعیم الأصفهانی فی «حیلة الأولیاء» عن سودة بنت سرج قالت: کنت ممن حضر فاطمة حین ضربها المخاض فأتانا رسول الله صلی الله علیه و سلم فقال: کیف هی؟ کیف هی؟ ابنتی فدیتها، قلنا انها لتجهد، قال: فاذا وضعت فلا تحدثی شیئا حتی

[صفحه ۱۸]

تؤذنینی، قالت: فلما وضعته سررته و لففته فی خرقة صفراء، فجاء رسول الله صلی الله علیه و سلم فقال: ما فعلت ابنتی فدیتها؟ و حالها؟ و کیف هی؟ قلت یا رسول الله، قد وضعت غلاما، و أخبرته بما صنعت، فقال: لقد عصیتنی، قلت: أعوذ بالله، من معصیة الله و رسوله، سررته یا رسول الله، و لم أجد من ذلک بدا، فقال: ائتنی به، فأتیته به، فألقی عنه الخرقة الصفراء، و لفه فی خرقة بیضاء، و تفل فی فیه، و أرضعه بریقه، ثم قال: ادعی لی علیا فدعوته فقال: ما سمیته یا علی، فقال سمیته جعفرا، قال: لا، لکنه حسن، و بعده حسین، و أنت یا علی أبوالحسن و الحسین، و فی لفظ: و أنت أبوالحسن الخیر.

وفی روایة للطبرانی و الامام أحمد، و ابن أبی‌شیبة و ابن جریر و ابن‌حبان و الحاکم و الدولابی فی کتابه «الذریة الطاهرة» أنه صلی الله علیه و سلم سمی الأول حسنا، فلما ولد الثانی سماه حسینا، فلما ولد الثالث سماه محسنا، و قال: انی سمیتهم بأسماء ولد هارون: شبر و شبیر و مشبر.

و أخرج الطیالسی فی مسنده و الامام أحمد فی مسنده، و ابن عبدالبر فی الاستیعاب، والهیثمی فی مجمع الزوائد و البزار و الطبرانی، عن هانیء بن هانیء عن علی، قال: لما ولد الحسن سمیته حربا، فجاء رسول الله صلی الله علیه و سلم فقال: أرونی ابنی ما سمیتموه؟ قال قلت: حربا، قال: بل هو حسن، فلما ولد الحسین سمیته حربا، فجاء رسول الله صلی الله علیه و سلم فقال: أرونی ابنی ما سمیتموه؟ قالت قلت: حربا، قال بل هو حسین، فلما ولد الثالث سمیته حربا، فجاء النبی صلی الله علیه و سلم فقال: أرونی ابنی ما سمیتموه؟ قلت: حربا، قال: بل هو محسن، ثم قال: سمیتهم بأسماء ولد هارون: شبر شبیر و مشبر.

و أخرج الامام أحمد و الهیثمی و أبویعلی و البزار و الطبرانی عن محمد بن علی عن علی قال: لما ولد الحسن سماه حمزة، فلما ولد الحسین سماه بعمه جعفر، قال: فدعانی رسول الله صلی الله علیه و سلم فقال: انی أمرت أن أغیر اسم هذین، فقلت: الله و رسوله أعلم،

فسماهما: حسنا و حسینا.

و روی أن النبی صلی الله علیه و سلم ما أن علم أن الزهراء قد وضعت ولیدها المبارک حتی

[صفحه ۱۹]

أسرع الی بیتها و نادی: یا أسماء هاتینی ابنی، فاسرعت اسماء و دفعته الیه فی خرقة صفراء، فقال: ألم أعهد الیکم ألا تلفوا المولود فی خرقة صفراء، و أذن صلی الله علیه و سلم فی أذنه الیمنی، و أقام فی الیسری، و کان أول صوت سمعه المولود الجدید هو صوت جده صلی الله علیه و سلم، و کانت أنشودة هذا الصوت «الله اکبر، لا اله الا الله» ثم التفت رسول الله صلی الله علیه و سلم الی الامام علی، الذی تاه فرحا، اذ صار لرسول الله صلی الله علیه و سلم ذریة منه یفخر بنسبتها الیه علی کافة الناس، و قال صلی الله علیه و سلم لعلی: هل سمیت الولید المبارک، فقال الامام: ما کنت لأسبقک یا رسول الله، و ما هی الا لحظات، و اذا بالوحی یناجی الرسول صلی الله علیه و سلم و یحمل له التسمیة من الحق تعالی، یقول له جبریل: سمه حسنا، و هو اسم لم یعرف فی الجاهلیة، و قال السیوطی فی تاریخ الخلفاء: أخرج ابن‌سعد «الحسن و الحسین اسمان من أسماء الجنة، ما سمت العرب بهما فی الجاهلیة»، و جاء فیه کذلک: «أن الله حجب اسم الحسن و الحسین حتی سمی بهما النبی صلی الله علیه و سلم ابنیه».

و روی ابن‌عقیل عن علی بن الحسین رضی الله عنه قال: لما ولدت فاطمة حسنا قالت: یا رسول الله، ألا أعق عن ابنی بدنة، قال: لا، ولکن احلقی رأسه و تصدقی بوزن شعره فضة علی المساکین، ففعلت، ثم انه صلی الله علیه و سلم عق عنه و ذبح کبشا، تولی ذلک بنفسه الشریفة، أخرج الامام أحمد عن عبدالله بن بریدة قال: سمعت أبی یقول: «ان رسول الله صلی الله علیه و سلم عق عن الحسن و الحسین»، و عن جعفر الصادق قال: عق رسول الله عن الحسن بیده، و قال: بسم الله عقیقه عن الحسن، و قال: «اللهم اجعلها وفاء لمحمد و آل محمد»، وفی روایة: عق عنه بکبشین أملحین و أعطی القابلة و فخذا و دینارا و قال یا فاطمة احلقی رأسه و تصدقی بزنة شعره فضة، و أجری صلی الله علیه و سلم الختان فی الیوم السابع من ولادته، و عنه صلی الله علیه و سلم «طهروا أولادکم یوم السابع، فانه أطیب و أطهر و أسرع لنبات اللحم و أن الأرض تنجس من بول الأغلف أربعین یوما».

نسب الحسن

هو الحسن بن علی بن أبی‌طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، و أمه فاطمة

[صفحه ۲۰]

بنت رسول الله صلی الله علیه و سلم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، و هذا اعظم نسب عرفته الدنیا، و کفی الامام الحسن و الامام الحسین أن جدهما سید ولد آدم محمد رسول الله صلی الله علیه و سلم، و أباهما أمیرالمؤمنین الامام علی المرتضی، و أمهما فاطمة الزهراء، سیدة النساء، و بضعة رسول الله صلی الله علیه و سلم وجدتهما خدیجة بنت خویلد، و عمهما جعفر الطیار، و عم أبیهما حمزة أسد الله و أسد رسول الله و سیدالشهداء، وجدهما أبوطالب ناصر الرسول صلی الله علیه و سلم و المدافع عنه و المتحمل الأذی فی سبیله، وجد أبیهما عبدالمطلب شیبة الحمد و سید البطحاء، وجد وجدهما هاشم مطعم الحجیج و هاشم الثرید و سید قریش، أخرج الترمذی و الطبرانی فی المعجم الکبیر و ابن‌مردویه و أبونعیم و البیهقی معا فی الدلائل عن ابن‌عباس أنه قال، قال رسول الله صلی الله علیه و سلم: ان الله قسم الخلق قسمین: فجعلنی فی خیرهما قسما، فذلک قوله: (و أصحاب الیمین ما أصحاب الیمین، و أصحاب

الشمال ما أصحاب الشمال)، و أنا من أصحاب اليمين، و أنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثا، فجعلنى فى خيرها ثلثا، فذلك قوله: «فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، و السابقون)، فأنا من السابقين و أنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل، فجعلنى فى خيرها قبيلة، و ذلك قوله (و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا أن أكرمكم عندالله أتقاكم)، و أنا أتقى ولد آدم و أكرمهم على الله تعالى و لا فخر، ثم جعل القبائل بيوتا، فجعلنى فى خيرها بيتا، فذلك قوله: (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا)، فأنا و أهل بيتى مطهرون من الذنوب».

و أخرج عبدالرزاق فى مصنفه، و الطبرانى فى معجمه، و ابن‌عساكر فى تاريخة، و الحاكم فى مستدركه عن ابن‌عباس قال: صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاة العصر، فلما كان فى الركعة الرابعة، أقبل الحسن و الحسين حتى ركبا على ظهره، فلما سلم وضعهما بين يديه، و أقبل على الحسن فحمله على عاتقه الأيمن، و الحسين على عاتقه الأيسر، ثم قال: «أيها الناس، ألا أخبركم بخير الناس جدا وجدة، ألا أخبركم بخير الناس عما و عمة، ألا أخبركم بخير الناس خالا و خالة، ألا أخبركم

[صفحه ۲۱]

بخير الناس أبا و أما؟ الحسن و الحسين، جدهما رسول الله، وجدتهما خديجة بنت خويلد، و أمهما فاطمة بنت رسول الله، و أبوهما على بن أبى‌طالب، و عمهما جعفر بن أبى‌طالب، و عمتهما أم هانىء بنت أبى‌طالب، و خالهما القاسم بن رسول الله و خالاتهما زينب و رقية و أم‌كلثوم بنات رسول الله، وجدهما فى الجنة، و أبوهما فى الجنة، و أمهما فى الجنة، و عمهما فى الجنة، و عمتهما فى الجنة، و خالاتاهما فى الجنة؛ و هما فى الجنة، و من أحبهما فى الجنة» و يعلق بعض العلماء على هذا الحديث الشريف بأن الله شرف الحسن و الحسين بما لم يشرف به أحد غيرهما، فهما سبطا رسول الله صلى الله عليه و سلم و ريحانتاه، و سيدا شباب أهل الجنة، جدهما رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبوهما الامام على، و أمهما الطاهرة البتول فاطمة بنت الرسول الله صلى الله عليه و سلم، و هكذا كان نسبهما تتضاءل عنده الأنساب، فالحسن و الحسين، عليهماالسلام، دوحة الفضل و النبوة التى طابت فرعا و أصلا، شعبة الرسالة التى سمت و رفعة و نبلا، قد اكتفهما العز و الشرف، و لازمهما السؤدد، فما له عنهما منصرف.

و روى الحاكم فى المستدرك، و الهيثمى فى فضائل أهل بيت، أن الامام الحسن نفسه انما يقول، معبرا عن هذا الشرف: «ايها الناس من عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى، فأنا الحسن بن على، و أنا ابن النبى، و أنا ابن الوصى، و أنا ابن البشير، و أنا ابن النذير، و أنا ابن الداعى الى الله باذنه، و أنا ابن السراج المنير، و أنا من أهل البيت الذى أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا»، و زاد أبوالفرج فى «مقاتل الطالبيين»، و «و الذين افترض الله مودتهم فى كتابه اذ يقول (و من يقترف حسنة نزد له فيها حسنا)، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت».

و أخرج ابن‌عساكر فى تاريخه، و الحافظ ابن‌كثير، بسندهما عن المداينى، قال: كان عمرو بن العاص، و جملة من الأشراف، من أكرم الناس، فقال معاوية: من أكرم أبا و أما، وجدا وجدة، و خالا و خالة. و عما و عمة، فقام النعمان بن العجلان، فأخذ بيد الحسن، فقال هذا، أبوه على، و أمه بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، وجده رسول الله صلى الله عليه و سلم وجدته خديجة، و عمه جعفر، و عمته أم هانىء بنت أبى‌طالب، و خاله القاسم، و خالته زينب، فقال عمرو بن العاص: أحب بنى

[صفحه ۲۲]

هاشم دعاك الى ما عملت؟، فقال ابن‌العجلان: يا ابن‌العاص: ما عملت؟ أنه من التمس رضاء مخلوق بسخط الخالق، حرمه الله أمنيته،

و ختم له بالشفاء فی آخر عمره، بنوهاشم أنضر قریش عودا، و أقعدها سلما، و أفضلها أحلاما».

کنیته و القابه و صفاته

کنی الامام الحسن بأبی‌محمد، کناه بذلک جده رسول الله صلی الله علیه و سلم و أما ألقابه فکثیرة، منها التقی و الزکی و الطیب و الوفی و الولی و السبط، و السید و أمیرالمؤمنین و الحجة و الزاهد و المجتبی، و أشهرها السبط، و أعلاها رتبة و أولاها به، ما لقبه به جده سیدنا رسول الله صلی الله علیه و سلم «السید»، کما جاء فی الحدیث الصحیح الذی رواه البخاری عن أبی‌بکرة، فقلد روی البخاری فی صحیحه بسنده عن أبی‌موسی عن الحسن عن أبی‌بکرة رضی الله عنه: أخرج النبی صلی الله علیه و سلم ذات یوم الحسن فصعد به علی المنبر فقال: «ابنی هذا سید، و لعل الله أن یصلح به بین فئتین من المسلمین» (۲۴۹:۴ ط الشعب).

و أخرج الامام أحمد عن الحسن بن الحسن، قال: حدثنا أبوبکرة، کان رسول الله صلی الله علیه و سلم یصلی بالناس، و کان الحسن بن علی یثب علی ظهره اذا سجد، ففعل ذلک غیر مرة، فقالوا له: و الله انک لتفعل لهذا شیئا ما رأیناک تفعله بأحد، قال المبارک، فذکر شیئا ثم قال: ان ابنی هذا سید، و سیصلح الله تبارک و تعالی به بین فئتین من المسلمین، فقال الحسن: «فوالله و الله بعد أن ولی و لم یهرق فی خلافته ملء محجمة من دم»، و ما أجمل قول ابن عبدالبر فی الاستیعاب عن هذا بأن الآثار الصحاح و قد تواترت عن النبی صلی الله علیه و سلم بأنه قال للحسن «ان ابنی هذا سید»، و لا أسود ممن سماه رسول الله صلی الله علیه و سلم «سیدا».

و أما صفته فقد کان، کما ذکر و اصفوه، أبیض مشربا بحمرة، أدعج العینین،سهل الخدین، کث اللحیة، ذا وفرة کأن عنقه ابریق فضة، عظیم الکرادیس، بعید ما بین المنکبین، ربعة لیس بالطویل و لا بالقصیر جعد الشعر، حسن البدن، و یخضب بالسواد، ملیحا من أحسن الناس وجها، غیر أن أهم

[صفحه ۲۳]

صفات الحسن انما کان شبهه الکبیر بسیدنا و مولانا رسول الله صلی الله علیه و سلم، فلقد کانت ملامح الحسن تحاکی جده العظیم صلی الله علیه و سلم و من ثم فقد وصفه و اصفوه فقالوا «لم یکن أحد أشبه رسول الله صلی الله علیه و سلم من الحسن بن علی، علیه‌السلام، خلقا و خلقا و هیأة و هدیا و سؤددا»، و قد أخرج البخاری عن أنس أنه قال: لم یکن أحد أشبه بالنبی صلی الله علیه و سلم من الحسن بن علی، و أخرج الترمذی و الامام أحمد عن أبی‌جحیفة قال: «رأیت رسول الله صلی الله علیه و سلم أبیض قد شاب، و کان الحسن بن علی یشبه»، و عن الامام الغزالی فی الاحیاء، و أن النبی صلی الله علیه و سلم قال للحسن، رضی الله عنه، «أشبهت خلقی و خلقی»، و أخرج الامام الترمذی و ابن‌حنبل فی المسند و الفضائل عن هانیء بن هانیء عن علی قال: «الحسن أشبه برسول الله صلی الله علیه و سلم ما بین الصدر الی رأس، و الحسین أشبه بالنبی ما کان أسفل ذلک».

و أخرج الامام أحمد فی مسنده عن أنس بن مالک قال: «لم یکن أحد أشبه برسول الله صلی الله علیه و سلم من الحسن بن علی و فاطمة، صلوات الله علیهم أجمعین»، و عن أنس کذلک: «کان الحسن بن علی أشبههم وجها برسول الله صلی الله علیه و سلم»، و أخرج أبوداود الطیاسلی و الامام أحمد عن ابن أبی‌ملیکة قال: کانت فاطمة تنقز الحسن بن علی، و تقول: بأبی شبیه النبی لیس شبیها بعلی، و روی ابن‌حجر فی الاصابة عن البهی مولی الزبیر، قال: تذاکرنا من أشبه النبی صلی الله علیه و سلم من أهله، فدخل علینا عبدالله بن الزبیر فقال أنا أحدثکم بأشبه أهله به و أحبهم الیه، الحسن بن علی»، و أخرج البخاری عن ابن أبی‌ملیکة عن عقبة بن الحارث، قال: صلی ابوبکر رضی الله عنه العصر، ثم خرج یمشی فرأی الحسن یلعب مع الصبیان فحمله علی عاتقه و قال: «بأبی شبیه بالنبی صلی الله علیه و سلم لا شبیه بعلی، و علی یضحک».

بنوة الحسن للنبى

شرف رسول الله صلى الله عليه و سلم الامام الحسن، كما شرف أخاه الامام الحسين، بأن نسبهما اليه بالنبوة، و ان كانا من صلب الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة،

[صفحه ۲۴]

روى الترمذى بسنده عن أسامة بن زيد قال: طرقت النبى صلى الله عليه و سلم فى بعض الحاجة فقال: «هذان ابناى و ابنا ابنتى، اللهم انى أحبهما فأحبهما و أحب من يحبهما»، و أخرج ابن‌عساكر و الحاكم فى المستدرك، على شرط البخارى و مسلم، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «الحسن و الحسين ابناى، من أحبهما أحبنى، و من أحبنى أحبه الله، و من أحبه الله أدخله الجنة، و من أبغضهما أبغضنى، و من أبغضنى أبغضه الله، و من أبغضه الله أدخله النار»، و روى الحافظ العراقى عن جابر أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم للحسن: «ان ابنى هذا سيد، يصلح الله به بين فئتين من المسلمين»، و أخرج ابن‌عساكر و الحاكم فى المستدرك بسنده عن أبى‌رافع عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم أنها أتت بابنيها، الحسن و الحسين رضى الله عنهما، الى رسول الله فى شكواه الذى توفى فيه، فقالت: يا رسول الله، هذان ابناك فورثهما شيئا، قال: أما الحسن فقد نحلته حلمى و هيئتى و أما الحسين فقد نحلته نجدتى وجودى»، و أخرج ابن‌عساكر و ابن أبى‌خيثمة عن عائشة، رضى الله عنها، قالت: ان النبى صلى الله عليه و سلم كان يأخذ حسنا ثم يضمه اليه ثم يقول: «اللهم ان هذا ابنى و أنا أحبه، فأحبه و أحب من يحبه»، و روى أنس بن مالك قال: «دخل الحسن على النبى صلى الله عليه و سلم فأردت أن أميطه عنه فقال صلى الله عليه و سلم: ويحك يا أنس، ابنى و ثمرة فؤادى، فان من آذى هذا فقد آذانى، و من آذانى فقد آذى الله.

و من أجل كل هذا فقد كان يقال لكل من السبطين، و الحسن والحسين، «يا ابن‌المصطفى»، و قد قال الامام الحسن نفسه عن نفسه «أنا الحسن بن محمد صلى الله عليه و سلم، أنا ابن‌البشير، و أنا ابن‌النذير، أنا ابن الداعى الى الله عزوجل باذنه، و أنا ابن‌السراج المنير»، كما كان الحسن و الحسين يعتزان بأبوته صلى الله عليه و سلم و يهتفان به، فيقول كل منهما للنبى صلى الله عليه و سلم «يأ أبت»، فاذا هتف الحسن بأبيه على، قال له «يا أباالحسين»، و اذا هتف الحسين بأبيه قال له «يا أباالحسن»، فلما انتقل جدهما صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأعلى كانا يقولان لأبيهما الامام على «يا أبت»، و لعل مما تجدر الاشارة اليه ان البنوة التى شرف بها سيدنا و مولانا رسول الله صلى الله عليه و سلم الحسن فى قوله الشريف «ان ابنى هذا سيد»، و قوله الشريف «انما هما ابناى

[صفحه ۲۵]

و ابنا ابنتى» أيدها القرآن الكريم فى آية المباهلة (آية ۶۱ آل عمران)، ففى العام العاشر من الهجرة وفد الى النبى صلى الله عليه و سلم سادة نصارى نجران، فدعاهم الى الاسلام، و لما أصروا على المكابرة و العناد دعاهم صلى الله عليه و سلم الى المباهلة، فوافق القوم، فلما خرج اليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه فاطمة و على و الحسن و الحسين، عليهم‌السلام، و قال: «ان أنا دعوت فأمنوا، غير أن القوم تراجعوا و قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها»، و هكذا عدل نصارى نجران عن المباهلة و صالحوا النبى صلى الله عليه و سلم على الجزية، خشية أن يصيبهم عذاب الله.

نشاة الامام الحسن

نشأ الحسن فی بیت الوحی و تربی فی مدرسة التوحید، و شاهد جده صلی الله علیه و سلم الذی هو أکمل انسان ضمه هذا الوجود، جمع الناس علی کلمة التوحید و توحید الکلمة، فتأثر الحسن السبط بذلک کله، و انطلق یسلک خطی جده صلی الله علیه و سلم فی نصح الناس و ارشادهم، یروی أنه اجتاز، مع أخیه الحسین السبط، و هما فی دور الطفولة علی شیخ لا یحسن الوضوء، فلم یدعهما سمو النفس و حسن الخلق و حب الخیر للناس أن یترکا الشیخ علی حاله، فأحدثا نزاعا صوریا أمامه، و جعل کل منهما یقول للآخر: «أنت لا ـ تحسن الوضوء، ثم طلبا من الشیخ أن یحکم بینهما، قائلین له: یا شیخ کل واحد منا یتوضأ أمامک، و انظر أی الوضوئین أحسن»، فتوضآ أمامه، و جعل الشیخ یمعن فی ذلک فتنبه الی قصوره، و قال لهما: «کلاکما یا سیدی تحسنان الوضوء، ولکن هذا الشیخ الجاهل هو الذی لا یحسن، و قد تعلم الآن منکما وثاب علی یدیکما»، و تدل هذه الواقعة، فیما یری الأستاذ أبوعلم، علی اتجاه الرسول صلی الله علیه و سلم الی الهدایة بالطرق السلمیة و الأخلاق الرفیعة، و قد انطبعت فی ذهن الامام الحسن علیه‌السلام، و هو فی دور الصبا حتی صارت من خصائصه و من طبائعه، مما یدل علی تأثیره بالبیئة الصالحة التی تکونت من أسرته و من صلحاء المسلمین. هذا و قد تحدث الرواة عن نبوغ الامام الحسن المبکر، فقد ملک

[صفحه ۲۶]

بمقتضی میراثه من الذکاء، و سمو الادراک ما لا یملکه غیره، فکان لا یمر علیه شیء الا حفظه، و کان یحضر مجلس جده صلی الله علیه و سلم فیحفظ الوحی فینطلق الی أمه فیلقیه علیها، فتحدث به الامام علیا فیتعجب و یقول: من أین لک هذا، فتقول «من ولدک الحسن»، و قد روی عن جده عدة أحادیث شریفة، سنشیر الیها فی مکانها من هذه الدراسة.

هذا و قد تأثر الامام الحسن کذلک بأمه السیدة فاطمة الزهراء، فلقد کانت سیدة نساء العالمین، تعنی بولدیها الحسن و الحسین کثیرا، لأنها کانت تخاف علیهما من مستقبل جائر یصفه جدهما صلی الله علیه و سلم، و هو الذی لا ینطق عن الهوی، و کانت شدیدة التعلق بهما، حتی أنها کانت تضطرب اذا ما فارقاها أو انصرفا عن البیت الی غیر جدهما صلی الله علیه و سلم أو أبیهما، فهی تلازمهما لتنشیء فیهما المعرفة و الآداب النبویة، و لتحلیهما بالعادات التی تتفق و مکانة سبطی رسول الله صلی الله علیه و سلم، و کما هو معروف فان التربیة الحقة انما تبدأ فی عهد الأمومة، حیث یمارس الولد المحبة و الطاعة و المحافظة علی الواجبات و الحقوق، و من ثم فقد بدأت الزهراء، علیهاالسلام، تغرس تعالیم بیت النبوة فی ولدیها لتجعلهما صافی النفس، و لتصرفهما بکلیتیهما الی السماء، فینشأ الواحد منهما مجبولا علی طبائعها، فضلا عما أویته من شبه بها و بالنبی صلی الله علیه و سلم، و هکذا عملت الزهراء علی تنشأتهما النشأة الصالحة کسبطین لرسول الله صلی الله علیه و سلم و ولدین للامام علی المرتضی، سلام الله علیهم أجمعین، و هکذا رغم قصر الفترة التی عاشها الامامان الحسن و الحسین فی حضانة الزهراء فقد جعلتهما متمرسین بفکرة الله والدین، و لا عجب فی أن یکون الحسنان کذلک، فقد ربیا و نشأ فی ظل رجلین و امرأة هم أعظم من أظلت السماء.

غیر أن ارادة الله شاءت، و لا راد لمشیئته، أن تحرم الحسنان من جدهما و أمهما، و هما طفلان، لم یتجاوز الحسن، و هو الأکبر، الثامنة من عمره، حیث فقدا جدهما المصطفی صلی الله علیه و سلم أولا، ثم ما أن تمضی بضعة أشهر حتی یفقدا أمهما، فلقد خرج الحسن و الحسین من بیتهما یوما ما، ثم عادا فوجدا أمهما قد

[صفحه ۲۷]

فارقت الحیاة، و هکذا فقدا أنبل و أشرف أم، و أصبحا یتیمین من جدهما النبی صلی الله علیه و سلم و من أمهما فاطمة البتول، و

محرومين الا من رحمة الله و أبيهما، و ليستظلا ببيت ليس فيه جد رحيم، و لا أم رؤوم، ولكن أباهما لم يجعل لليأس الى قلبيهما سبيلا، بل انتشلهما من ذل اليتم و جعلهما فى كنف وارف، و ظل ظليل، فى كنف الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، فكان لهما نعم الأب، و نعم الموجه، كما كان فى نفس الوقت نعم القدوة الحسنة.

كان الامام على دائم السهر على ولده، يشمله برعايته، و يتعهده بحبه، و يشرح له الأمور بفصاحته المشهورة، يزوده بمعارفه، و يطلعه على ما طوى صدره من علم و حكمة، قال له مرة «يا بنى احفظ عنى أربعا و أربعا، لا يضرك ما عملت معهن، ان أغنى الغنى العقل، و أكبر الفقر الحمق، و أوحش الوحشة العجب، و أكرم الحسب حسن الخلق، يا بنى اياك و مصادقة الأحمق، فانه يريد أن ينفعك فيضرك، و اياك و مصادقة البخيل فانه يقعد عنك أحوج ما تكون اليه، و اياك و مصادقه الفاجر فانه يبيعك بالتافه، و اياك و مصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد، و يبعد عنك القريب»، و كان الحسن يسأل أباه كثيرا عما خفى عنه من الأمر، فلقد سأله يوم النهروان: يا أميرالمؤمنين، أكان رسول الله تقدم اليك فى أمر هؤلاء بشىء؟ فأجابه، أن رسول الله أمرنى بكل حق، و من الحق أن أقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، هكذا كما نهل الحسن من بحر جده صلى الله عليه و سلم رحيقا صافيا، فانه نهل من معين والده فراتا عذابا سائغا، حتى نشأ، و هو بين أحضان جده صلى الله عليه و سلم يكرع و ينهل، و بين يدى والده يرتشف و يرتوى، حتى أصبح و كأنه يلهم عن وحى، و يغترف من بحر.

و كان الامام على، رضى الله عنه، و كرم الله وجهه فى الجنة، حريصا، الحرص كل الحرص، على حياة الحسن و الحسين، لأن فى بقائهما حفظ لذرية النبى صلى الله عليه و سلم، يروى أنه فى واقعة الجمل، كان الحسن فى ميمنة الجيش، و الحسين فى الميسرة، و الراية بيد الأخ الثالث محمد بن الحنفية، وكان الوالد الامام يقذف بمحمد، و يكف الحسن و الحسين، فقيل لمحمد: لم يغرر بك

[صفحه ٢٨]

أبوك فى الحرب، و لا يغرر بأخويك؟ فأجاب: «انهما عيناه و أنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه»، فالحسن عند أبيه ساعد قوى، و الامام على يزحف و أولاده من حوله، يشدون أزره و يسندون ظهره، و قد كان الحسن يدفع بأبيه الى السيوف، دون أن ينسى موعظة نفسه، و دون أن يدرأ عنها الخطر به، فقد كان مع أخيه الحسين يبذلان النفس رخيصة بين يدى المبدأ عندما رأيا المكروه يحدق بأبيهما فراحا يستأذناه و يرتميان فى المهالك غضبا لله،، وذبا عن الامام و حزبه، الى أن ألجأه أن يقول لأصحابه «املكوا عنى هذين الغلامين فانى أنفس بهما عن القتل، والله انى لسخى بنفسى عن الدنيا، طيب النفس بالموت، و لقد هممت بالاقدام على القوم فنظرت الى هذين قد ابتدرانى، يعنى الحسن و الحسين، و نظرت الى هذين قد استقدمانى، يعنى عبدالله بن جعفر و محمد بن الحنفية، فعلمت أن هذين (الحسن و الحسين) ان قتلا انقطع نسل رسول الله صلى الله عليه و سلم من هذه الأمة، و كرهت ذا، و أشفقت على هذين أن يهلكا».

مكانة الحسن عند النبى

أحاط النبى صلى الله عليه و سلم الحسن و الحسين بمزيد من رعايته، و أفاض عليهما من شفقته و عطفه، أخرج أبوداود و النسائى و الترمذى و الامام أحمد فى المسند عن عبدالله بن بريدة، قال: «سمعت أبى‌بريدة يقول كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يخطبنا فجاء الحسن و الحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه و سلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله (انما أموالكم و أولادكم فتنة) نظرت الى هذين الصبيين، يمشيان و يعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى و رفعتهما»، و أخرج مسلم عن أبى‌هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال للحسن: اللهم انى أحبه، فأحبه و أحب من يحبه»، و روى

كذلك أن النبى صلى الله عليه و سلم كثيرا ما كان يركب الحسن و الحسين معه بغلته الشهباء، هذا قدامه، و هذا خلفه، حتى يدخل بهما حجرته»، و أخرج الترمذى عن اياس بن سلمة عند أبيه قال: لقد قدت نبى الله صلى الله عليه و سلم و الحسن و الحسين على بغلته الشهباء حتى أدخلته حجرة النبى صلى الله عليه و سلم، هذا قدامه، و هذا خلفه.

[صفحه ۲۹]

هذا وقد بلغ من حنان النبى صلى الله عليه و سلم على الحسن و الحسين، وحدبه عليهما، ما رآه المسلمون رأى العين، حينما كان صلى الله عليه و سلم يصلى العشاء فاذا سجد وثب الحسن و الحسين، رضى الله عنهما، على ظهره، فاذا رفع رأسه، أخذهما أخذا رقيقا فيضعهما على الأرض، فاذا عاد عادا، حتى اذا قضى الصلاة أقعدهما على فخذيه، أخرج الامام أحمد و الهيثمى و البزار عن أبى‌هريرة قال: «كنا نصلى مع رسول الله صلى الله عليه و سلم العشاء، فاذا سجد وثب الحسن و الحسين على ظهره، فاذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذا رقيقا و يضعهما على الأرض، فاذا عاد عادا، حتى قضى صلاته، أقعدهما على فخذيه، قال: فقمت اليه فقلت يا رسول الله، أردهما، فبرقت برقة، فقال لهما: الحقا بأمكما، قال: فمكث ضؤها (يعنى البرقة) حتى دخلا»، و أخرج النسائى بسنده عن عبدالله بن شداد عن أبيه قال: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم لصلاة العشاء، و هو حامل الحسن، رضى الله عنه، فتقدم النبى صلى الله عليه و سلم للصلاة فوضعه ثم كبر وصلى فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة فأطالها، قال: فرفعت رأسى، فذا الصبى على ظهر رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو ساجد، فرجعت الى سجودى، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاته، قال الناس: يا رسول الله صلى الله عليه و سلم سجدت بين ظهرانى صلاتک سجدة أطلتها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، و أنه يوحى اليک، فقال صلى الله عليه و سلم كل ذلک لم يكن، ولكن ارتحلنى الحسن فكرهت أن أعجله حتى ينزل» (روى مثله أبويعلى عن أنس، و البزار و أبويعلى عن عبدالله بن مسعود، و الطبرانى عن البراء بن عازب).

هذا وقد بين النبى صلى الله عليه و سلم أن مكانة الحسن و الحسين منه، و سيادتهما بين الناس، لا تقف عند حد الدنيا، و لا تقتصر على قومهما، بل تمتد الى الدار الآخرة، و تشمل الناس جميعا فى كل زمان و مكان، فيقول «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»، و بدهى أن النبى صلى الله عليه و سلم لم يكن فى كل ذلک مدفوعا بحبه لحفيديه العظيمين، و انما كان مأمورا بوحى من الله، كى يعلم المسلمون ما يجب عليهم نحو أهل البيت عامة، و الحسن و الحسين خاصة، من صدق

[صفحه ۳۰]

المحبة، و خفض الجناح، و معرفة حقهم، و استشعار كل الاجلال و التقدير لأهل هذا البيت الذى أذهب عنه الرجس و طهره تطهيرا، و فى نفس الوقت فلقد حرص رسول الله صلى الله عليه و سلم على التحذير من مغبة معاداتهم و مشاقتهم، لأنهما معاداة و مشاقة لله و رسوله، و صدق الله حيث يقول «و من يشاقق الله و رسوله فان الله شديد العقاب»، و تاكيدا لهذا المعنى، و زيادة فى ايضاحه يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم للحسن و الحسين «أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم»، كما بلغ من تكريم النبى صلى الله عليه و سلم للحسنين أنه لم يبايع صغيرا الا هما و ابن‌عباس و ابن‌جعفر روى الطبرانى بسنده أن النبى صلى الله عليه و سلم بايع الحسن و الحسين و عبدالله بن عباس و عبدالله بن جعفر، و هم صغار، قال ابن‌عباس «و لم يبايع صغيرا الا منا».

[صفحه ۳۱]

الامام الحسن و الخلفاء و الراشدون

الامام الحسن و الصدیق

کان انتقال سیدنا رسول الله صلی الله علیه و سلم الی الرفیق الأعلی حدثا مهولا مذهلا، دارت منه رؤوس الملأ الذین عاشوا فی صحبته صلی الله علیه و سلم و فزعت له أفئدتهم، و انفطرت منه قلوبهم، فما بالک بآل البیت، السیدهٔ فاطمهٔ و الامام علی و الحسن و الحسین، فقد کانوا أکثر الناس مصیبهٔ، کان الامام الحسن ینظر عقب وفاهٔ جده العظیم صلی الله علیه و سلم الی الحزن البهیم الذی حل بأمه الزهراء، فیتصدع من هول الفادحهٔ قلبه، و یذرف من الدموع ما ساعدته الجفون، ثم سرعان ما تجد أمور تزید من حیرهٔ الصبی، فمن المعروف أن أباه الامام علی کان یرشح لخلافهٔ جده النبی الرسول، و کانت وجههٔ نظره، فیما یری بعض العلماء، أنه مادام الرسول صلی الله علیه و سلم لم یعهد بالخلافهٔ الی أحد بذاته، فان البیت الذی اختارته السماء لیکون منه النبی المصطفی، هو البیت یختار منه المسلمون خلیفتهم، مادام فی رجال هذا البیت من یتمتع بالکفایهٔ الکاملهٔ لشغل منصب الخلافهٔ، و بدهی أننا هنا لسنا بصدد مناقشهٔ رأی الامام فی خلافهٔ الصدیق، فذلک أمر ناقشناه بالتفصیل فی کتابنا عن الامام علی، و ان کان لا یفوتنا هنا أن نقرر عن یقین، لا یشوبه شائبهٔ من ریب، أن الامام علی فی موقفه هذا، لم یکن مدفوعا برغبته الشخصیهٔ فی منصب الخلافهٔ، کما أنه لم یکن ینفس علی أبی‌بکر الصدیق هذا المنصب،

[صفحه ۳۲]

و انما کان یدافع عن رأی رآه و اعتقده، و لم یکن لدیه موضع شک أو ریب فیه.

و کانت الزهراء، علیهاالسلام، علی نفس الرأی، کانت تری أن زوجها الامام علی أحق الناس بالخلافهٔ، فهو ربیب النبی صلی الله علیه و سلم و ابن عمه، و زوج ابنته، و أبوسبطیه الحسن و الحسین، و أول الناس اسلاما، و أطولهم فی الجهاد باعا، و هو فتی قریش علما و فضلا و شجاعهٔ، و کان النبی صلی الله علیه و سلم یحبه أشد الحب و یؤثره أعظم الایثار، استخلفه حین هاجر من مکهٔ الی المدینهٔ علی ما کان عنده من الودائع حتی ردها الی أصحابها، و أمره فنام فی مضجعه لیلهٔ ائتمرت قریش بقتله، فکان أول من شری نفسه فی سبیل الله، ثم هاجر حتی لحق بالنبی صلی الله علیه و سلم فی المدینهٔ، فآخی النبی بینه و بین نفسه،ثم شهد مع النبی صلی الله علیه و سلم مشاهده کلها، و کان صاحب رایته فی أیام البأس، و قال النبی صلی الله علیه و سلم یوم خیبر «لأعطین الرایهٔ غدا رجلا یحب الله و رسوله، و یحبه الله و رسوله»، فلما أصبح دفع الرایهٔ الی علی، و قال النبی صلی الله علیه و سلم یوم استخلفه علی المدینهٔ و علی أهله عندما سار الی غزوهٔ تبوک «أنت منی بمنزلهٔ هارون من موسی، الا أنه لا نبی بعدی»، و أعطاه سورهٔ براءهٔ لیقرأها علی أهل الموسم، فلما قیل له: یا رسول الله لو بعثت بها الی أبی‌بکر، قال: «لا یؤد عنی الا رجل من أهل بیتی»، و قال النبی صلی الله علیه و سلم للمسلمین فی طریقه الی المدینهٔ من حجهٔ الوداع «من کنت مولاه فعلی مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه»، و من ثم فان الزهراء ما أن علمت بما حدث فی اجتماع سقیفهٔ بنی‌ساعدهٔ، و اختیار المجتمعین للصدیق خلیفهٔ للمسلمین، و أبوها سید الأنبیاء و المرسلین لم یقبر بعد، حتی بکت بکاء حارا، فلما جاءها بعض الصحابهٔ معزین، و فیهم أبوبکر و عمر و أبوعبیدهٔ، قالت: «ترکتم رسول الله صلی الله علیه و سلم جنازهٔ بین أیدینا و قطعتم أمرکم بینکم و لم تستأمرونا»، فبکی الصدیق حتی علا- نشیجه، و بکی من کان فی الدار من المهاجرین ممن کانوا یساعدون الامام علیا فی تجهیز سیدنا رسول الله صلی الله علیه و سلم، و فیهم الزبیر و سلمان و أبوذر و المقداد

و عمار بن ياسر.

و لا ريب فى أن ما استقر فى نفس الامام على، و فاطمة الزهراء، و آل

[صفحه ۳۳]

البيت، من الاستياء من صرف الخلافة عن الامام على، رغم قرابته القريبة من النبى صلى الله عليه و سلم لأنه فرع النبوة، بل ان آل البيت انما هم شجرة النبوة، و محط الرسالة، لا شك أن ذلك انما قد استقر فى نفس الامام الحسن، فجعله لا يرضى عن من احتل مركز أبيه النبى صلى الله عليه و سلم، روى ابن أبى‌الحديد فى شرح النهج، و ابن‌حجر الهيثمى فى الصواعق، أن الحسن دخل المسجد، و كان الصديق يخطب على المنبر، فقال له: «انزل عن منبر أبى و اذهب الى منبر أبيك، فأجابه أبوبكر: صدقت، والله انه لمنبر أبيك، لا منبر أبى»، ثم حدثت بعد ذلك أمور، ربما أقلقت الصبى كثيرا أو قليلا، منها اختلاف رأى أهل البيت عن رأى الصديق فى سهم ذى القربى من غنائم المسلمين، و الذى تحدثت عنه الآية ۴۱ من سورة الأنفال، ثم هناك قضية ميراث الزهراء من أبيها النبى صلى الله عليه و سلم، و كل تلك أمور قد ناقشناها بالتفصيل فى كتابنا عن الامام على، و فى كتابنا عن الزهراء من قبل.

و على أى حال، فما أن تمضى بضعة شهور على انتقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأعلى، حتى تلحق الزهراء بأبيها النبى الرسول، و يفقد الحسن أمه، كما فقد جده صلى الله عليه و سلم من قبل، و بذا غدا يتيم الأم و الجد، و أى أم وأى جد، انهما سيد ولد آدم، و سيدة نساء العالمين، ولكن رحمة الله و رعاية الأب، لم تجعل لليأس الى قلب الحسن سبيلا، ولكن الحسن سرعان ما بدأ يحس، و هو بين ظهرانى مجتمع جديد، مجتمع غير الذى ألفه على أيام جده صلى الله عليه و سلم، و مكانة غير التى كانت له على أيام النبى المصطفى صلى الله عليه و سلم، و زاد من حيرة الصبى ظهور حروب الردة، فبدأ يرى أوضاعا متقلبة، و حروبا دائمة، و أمة خاصمة مخصومة، و وسطا لا عهد له به فيه اجلاب ما تعود سماعه من قبل، فيجمع احساساته المشتتة، و بدأت تتحرك فى نفسه يقظة تختلف عن لا مبالاة الطفولة الهادئة، انه الآن لا يرى جده العظيم صلى الله عليه و سلم الذى أفاض تعاليمه على الدنيا لتملأها حبا و عدلا و سلاما، ثم لا يرى أمه البتول التى كان يركن اليها كثيرا فتشمله بعطفها و حبها و رعايتها، و من ثم فقد قضى حينا من الدهر لا يجد ايناسا الا

[صفحه ۳۴]

بجوار قبر الجد النبى، و الأم الزهراء البتول.

على أن الذى لا شك فيه أن المسلمين، و قد شاهدوا جميعا مبلغ حب النبى صلى الله عليه و سلم لابنيه، الحسن و الحسين، و مبلغ حرصه عليهما و رعايته لهما، لا شك فى أنهم كانوا يجلون الحسن و الحسين أعظم الاجلال، و يكرمونهما كل الاكرام، لمقامهما من جدهما النبى صلى الله عليه و سلم، و لما يسطع فيهما من أنوار النبوة، و لما يرونه فيهما من مخايل النجابة، و مميزات الرجولة، و لا شك كذلك فى أن الخليفة الأول أبابكر الصديق رضى الله عنه انما كان على رأس المسلمين الذين أحبوا الامام الحسن و أنزلوه المنزلة اللائقة به كسبط للنبى صلى الله عليه و سلم، فكان الصديق على يقين من فضل الحسن، يعرف منزلته و يحدب عليه و يقلد النبى صلى الله عليه و سلم فى الحنين اليه، حتى أنه كان يخطب الناس و يحضهم على احترامه و احترام ذويه من آل محمد صلى الله عليه و سلم، روى البخارى بسنده عن أبى‌بكر الصديق أنه قال «أرقبوا محمدا صلى الله عليه و سلم فى أهل بيته و الذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه و سلم أحب الى من قرابتى»، و روى البخارى و مسلم و أبوداود و الترمذى و النسائى عن عائشة، رضى

الله عنهـا، عن أبى‌بكر الصـديق أنه قال «و الـذى نفسـى بيـده لقرابـهٔ رسول الله صـلى الله عليه و سـلم أحب الى أن أصل من قرابتى»، و هكـذا كان لقرابهٔ رسول الله صـلى الله عليه و سـلم عند الخليفهٔ الأول من التعظيم و الاكبار و ما لم يكن لأحد غيرهم، فالصديق يقسـم بالله، و هو صادق، أن قرابهٔ رسول الله صـلى الله عليه و سـلم أحب اليه من قرابته، و أنه يحب أن يصـلهم أكثر مما يصل قرابته، و بدهى أن الحسن و الحسين كانا على رأس قرابهٔ النبى صلى الله عليه و سلم.

و يحدثنا رواهٔ الحديث أن الصديق خرج يوما، مع الامام على، بعد صـلاهٔ العصـر، و بعد انتقال الرسول صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأعلى، فيلقى الحسن يلعب مع الغلمـان فيحمله على عنقه، ثم يقول له: بـأبى شبيه بالنبى، ليس شبيها بعلى، و الامام على ينظر اليهما و يضـحك، و أخرج البخارى بسـنده عن علقمـهٔ بن الحارث قال: صـلى أبوبكر، رضـى الله عنه، العصـر، ثم خرج يمشـى، فرأى الحسـن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه و قال: «بأبى شبيه بالنبى، لا شبيه بعلى، و على يضحك».

[صفحه ۳۵]

الامام الحسن و الفاروق

كان الفاروق عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، يؤثر الحسن و الحسين خاصهٔ، و بنى‌هاشم عامهٔ، على جميع المسلمين، و ذلك لقرابتهم من سيدنا رسول الله صـلى الله عليه و سـلم، تلك القرابـهٔ التى كان الفاروق دائما يرعى لها حرمتها، بل و جعلها مدخلا للسـبق فى كل حال و مقام، فلما أراد أن ينشىء الديوان الذى يحدد للناس فيه أعطياتهم من بيت المال، أشار اليه بعض الصحابهٔ أن يبدأ بنفسه، فقال: «بل أبـدأ بقرابـهٔ رسول الله صـلى الله عليه و سـلم، فبـدأ بالعباس، عم النبى صـلى الله عليه و سـلم ثم نساء النبى، ثم الامام على، ابن عم النبى، ثم الأقرب فالأقرب الى رسول الله صـلى الله عليه و سـلم، ثم أهل بدر، و ألحق بأهل بدر أربعهٔ من غيرهم، هم الحسن و الحسين و أبوذر و سـلمان، ثم جعـل النـاس طبقـات، وفق مـا لهم من فضل و سابقـهٔ فى الاسـلام، و وفق حاجتهم، فقال: «لكل و سابقته لكل و عمله و بلاؤه، لكل و حاجته»، ففضل السابقين من المهاجرين و الأنصار، ثم من أسـلم قبل فتح مكهٔ، ثم من أسلم بعده، ثم المجاهدين حتى آخر معركهٔ»، ثم فرض للحسن و الحسـين خمسهٔ آلاف كأهل بدر، كما أشرنا آنفا، بل لقد كان الفاروق يقدم الحسن و الحسين على ولـده، و لقـد قسم يوما فأعطى الحسن و الحسـين كل واحـد منهما عشـرهٔ آلاف درهم، و أعطى ولـده عبدالله ألف درهم، فعاتبه ولده قائلا: لقد علمت سـبقى فى الاسلام و هجرتى، و أنت تفضل على هذين الغلامين، فقال عمر: ويحك يا عبدالله جدهما رسول الله صلى الله عليـه و سـلم و أبوهمـا على، و أمهمـا فاطمـهٔ، وجـدتهما خديجـهٔ، و خالهمـا ابراهيـم ابـن رسـول الله صـلى الله عليه و سـلم و خالاتاهمـا زينب و رقيـهٔ و أم‌كلثوم، و عمهما جعفر بن أبى‌طالب، و عمتهما أم‌هانىء بنت أبى‌طالب، وقـد نسـبهما و انتسب فما ساوى واحـدا بواحـد، و أقنع الفاروق ولـده عبـدالله ببساطـهٔ و منطق سـيال، حتى أصـبح بعد ذلك يعترف بحقهما و يذب عنهما، حتى اتهمه البعض بمغالاته فى الهاشميين جميعا.

هذا و قد بلغ من تعظيم الفاروق للحسن و الحسـين، و تقديره لمكانتهما عندالله و رسوله، ما رواه المحب الطبرى فى «الرياض النضرهٔ»، أنه عرض له

[صفحه ۳۶]

ذات يوم من البكاء ما كان يعرض له بين حين و آخر، حين يتذكر مسؤوليته عن أمهٔ الاسـلام، و يشـفق من تقصيره فى القيام بها، فقال

له الامام علی، کرم الله وجهه فی الجنـة، «والله انک لتعـدل فی کـذا و کـذا، و تعـدل فی کذا و کذا، ولکن الفاروق اسـتمر فی بکائه، فتکلم الحسن، علیه‌السـلام، بما شاء الله، فذکر من ولایته و عدله ما ذکر، ثم تکلم الحسین، علیه‌السلام، بمثل کلام أخیه، و عنئذ انقطع بکـاء الفاروق، و قال لهما: أتشـهدان بـذلک بنی أخی، فنظرا الی أبیهما، فقال علی، کرم الله وجهه فی الجنـة، «اشـهدا و أنا معکما من الشاهدین».

و روی ابن‌عساکر فی التاریـخ الکبیر أنه قـدم علی عمر رضـی الله عنه حلل من الیمن، فکسا الناس، فراحوا فی الحلل، و هو بین القبر و المنبر جالس، و الناس یسـلمون علیه، فخرج الحسن و الحسین من بیت فاطمة فی جوف المسجد، و لیس علیهم شیء من تلک الحلل، فقـال عمر: و الله مـا هنـأنی مـا کسوتکم، قـالوا: لم یـا أمیرالمؤمنین، قـال: «من أجل هـذین الغلامین، یتخطیان الناس، لیس علیهما مما کسوت النـاس شـیء»، ثم کتب لصـاحب الیمن: أن ابعث الی بحلتین لحسن و حسـین، و عجـل، فلمـا کساهمـا عمر، قال: «الآن طابت نفسی» و روی أن الفاروق قال لقومه من بنی عدی «و الله ما أدرکنا الفضل فی الدنیا الا بمحمد، و لا نرجو ما نرجو من الآخرة و ثوابها الا بمحمد صـلی الله علیه و سـلم، فهو شرفنا، و قومه أشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب»، و قال مرة فی قرابة رسول الله صلی الله علیه و سلم: «ان عیادة بنی‌هاشم فریضة، و زیارتهم نافلة».

و روی الدراقطنی عن الفاروق أنه قال: «تحببوا الی الأشـراف و تـوددوا، و اتقوا علی أعراضکم من السفلة، و اعلموا أنه لا یتم شرف الا بولایة علی بن أبی‌طالب»، و فی روایة أنه قال: «أیها الناس ان الشـرف و المنزلة، و الولایة لرسول الله صـلی الله علیه و سـلم و ذریته فلا تذهبن بکم الأباطیل»، و روی أنه کان ینتظر الامام الحسین فی بعض الأیام، فذهب الیه الحسین، فوجد عبدالله بن عمر، و عرف منه أنه اسـتأذن علی الخلیفـة فلم یؤذن له، فرجع الحسـین، ثم لقیه عمر معاتبـا، و قـال: «و مـا منعـک یا حسـین أن تأتینی، فأخبره الحسـین بما حدث، فعز ذلک علی عمر،

[صفحه ۳۷]

و قال: «و أنت عندی مثله، و أنت عندی مثله، و هل أنبت الشعر علی الرأس غیرکم.»

و فی عـام الرمادة (عام ۱۷ ه)، أجـدب الناس و حبس المطر عن جزیرة العرب، فاستسـقی الناس فلم یسـقوا فقال عمر: لأستسـقین غدا بمن یسـقی الله به، و لما أصـبحوا غدا عند العباس، عم النبی صلی الله علیه و سلم و قال: أخرج بنا حتی نستسقی بک، فقال العباس: یا عمر اقعـد فی بیتی ثم أرسـل الی بنی‌هـاشم أن یتطهروا و یلبسوا من صالـح ثیابهم، فأتوه، فأخرج طیبا فطیبهم، ثم خرج العباس، و علی أمامه و الحسن عن یمینه و الحسـین عن شـماله، و بنوهاشم خلف ظهره، و دعا العباس الله فسـقی بهم، و هکـذا صدقت فراسة عمر فی الاستسقاء بآل رسول الله صلی الله علیه و سلم، فاستجاب الله للمسلمین وغاثهم الغیث.

الامام الحسن و ذوالنورین

کـان الامام الحسن علی أیام الخلیفـة الراشـد ذی النورین، عثمان بن عفان رضـی الله عنه شابا یافعا قـد نیف علی العشـرین، و هو عمر یسـمح لصاحبه أن یخوض معترک الحیاة، و أن یقوم بدور فیها، و هکذا کان الامام الحسن شابا یقظا تجلله نورانیة الایمان، بما هذب منه جده رسول الله صلی الله علیه و سلم و صقل منه أبوه الامام علی، و أرهفت منه فاطمة الزهراء، و فی هذا الدور دخل الحسن میدان الجهاد فی سبیل الله، فانضم الی المجاهـدین حیث اتجهت ألویتهم الفاتحـة الی الشـمال الافریقی، حیث کان هو و أخوه الحسـین، من بین رجـال الجیش الـذی بعثه الخلیفـة عثمـان من المدینـة الی المغرب الأقصـی، و کـان یضم، کمـا یقول صـاحب «الاسـتقصا لأخبار المغرب الأقصـی» جماعة من کبار الصـحابة، منهم الحسن و الحسین و عبدالله بن عباس و عبدالله بن عمر و عبدالله بن الزبیر، فسار الی

افريقية مددا لأمير مصر عبدالله بن أبى‌سرح عام ۲۷ ه، فهزموا الروم فى طرابلس، ثم هزموهم مرة أخرى على مبعدة مسيرة يوم و ليلة من سبيطلة، و قتلوا مليكهم «جرجير» ثم تابعوا زحفهم الى المغرب الأقصى، و كان الحسنان فيمن

[صفحه ۳۸]

دخلوه من الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين.

و يروى الطبرى و ابن كثير أن الامامين الحسن و الحسين قد اشتركا عام ۳۰ ه فى الجيش الذى غزا طبرستان، بامرة سعيد بن العاص أمير الكوفة، فساروا الى جرجان فصالحهم أهلها على مائتى ألف، ثم أتوا «طميسة» فى تخوم جرجان، فقاتلهم أهلها، حتى صلوا صلاة الخوف، و هم يقتتلون، ثم حاصرهم المسلمون حتى طلبوا الأمان فأعطاهم سعيد بن العاص عهدا أن لا يقتل منهم رجلا واحدا، ففتحوا الحصن مستسلمين، فقتلهم الا رجلا واحدا.

هذا و قد شارك الامامان الحسن و الحسين فى الدفاع عن الخليفة الشهيد عثمان بن عفان، بأمر أبيهما الامام على، حيث أمرهما أن «اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان، فلا تدعا أحدا يصل اليه بمكروه»، و فعلا ما أمر به الامام، مع جماعة من أبناء كبار الصحابة، و لما بدأ الثوار يرمون بيت الخليفة بالسهام من كل جانب، أصيب الامام الحسن بسهم فخضبه الدم، و شج قنبر مولى الامام على، و خاف الثوار أن تغضب بنوهاشم للحسن، و من ثم كفوا عن رمى السهام، ولكنهم اقتحموا دار الخليفة من الدور التى حوله، و فعلوا فعلتهم النكراء، و فوجىء الحسن و الحسين بمن يصرخ «قتل أميرالمؤمنين»، فدخلا الدار، فوجدوا الخليفة الشهيد قتيلا، و ما أن بلغ الخبر الامام عليا حتى أتى الى دار الخليفة ثائرا غاصبا، و رغم أنه رأى ولديه مخضبين بالدم، فانه لم يتمالك نفسه غضبا، فصاح بهما «كيف يقتل أميرالمؤمنين و أنتما على الباب»، ثم رفع يده فلطم الحسين، و ضرب صدر الحسن، و خرج غضبان أسفا.

هذا و رغم أن الشيعة يرون أن الامام الحسن كان من جملة الناقدين للخليفة، لأنه رأى ما لاقاه حزب أبيه من التحطيم و التعذيب و الارهاب من الأمويين، و شاهد ما لاقاه أبوه الامام على من الاستهانة بحقه، غير أن الدكتور محمد الصادقى انما يذهب فى كتابه «على و الحاكمون» الى أنه لما عظم تفاقم الخطر على من فى دار الخليفة المحاصر، تخلى عنه حتى أبناء عائلته الأمويين الذين كانوا هم السبب الرئيسى فيما صار اليه أمره و أمر المسلمين، فآثروا أن

[صفحه ۳۹]

يهربوا خفية الى الشام، حيث ينتظرهم هناك معاوية عامل الخليفة عليها، و بقى الحسن و الحسين على رأس القوم الذين يلازمون أبواب دار الخليفة لعلهم يمنعون عنه الأذى، و هكذا كان الامام الحسن، كما يقول الدكتور طه حسين، رجل صدق، قد كره الفرقة و آثر اجتماع الكلمة و خاض غمرات الفتنة على كره منه فى أكبر الظن، قاوم الفتنه ما وسعته مقاومتها أيام عثمان فلم يخض فيما خاض الناس فيه من حديثها، و لم يشارك المعارضة حين عظم الشر، و كان من الذين أسرعوا الى دار عثمان فقاموا دون الخليفة يريدون حمايته، ولكن الخليفة قتل على الرغم من ذلك، لأن خصمه تسوروا عليه الدار، الأمر الذى ناقشناه فى كتابنا عن «امام على».

الامام الحسن فى خلافة ابيه الامام على

كان الامام الحسن متعلقا بأبيه أشد التعلق، يكاد لا يفارقه، بخاصة بعد انتقال جده صلى الله عليه و سلم و أمه الى الرفيق الأعلى، يتعهده بالتربية، و يعطيه من خبرته و علمه الكثير، حتى اذا ما اكتملت مداركه بدأ يشاركه الرأى، و تذهب الروايات الى أن الامام الحسن لم

یکن یری أن یشترک أبوه فی شیء من أمر الفتنة من قرب أو من بعد، و انما أشار علیه أن یعتزل الناس و أن یترک المدینة فیقیم فی ماله بینبع، فلم یسمع الامام له، و انما رأی أن مکانه فی المدینة حیث یستطیع أن یأمر بمعروف أو ینهی عن المنکر أو یصلح بین الناس، فلما قتل الخلیفة عثمان لم یر الحسن لأبیه أن یقیم فی المدینة و لا أن یتعرض للبیعة، و لا أن یقبلها، و ان عرضت علیه، و لو استطاع الحسن لاعتزل الفتنة اعتزالا، کما فعلت تلک المعتزلة من أصحاب النبی صلی الله علیه و سلم، ولکنه عرف لأبیه حقه علیه، فأقام معه و شهد مشاهده کلها، علی غیر حب لذلک أو رغبة منه فیه، ثم لم یکن الحسن یری لأبیه أن یترک مهاجره فی المدینه، و أن یرحل الی العراق للقاء طلحة و الزبیر و السیدة عائشة، و انما کان یؤثر له أن یبقی فی مهاجره مجاورا للنبی صلی الله علیه و سلم، و یکره له أن یذهب الی دار غربة و یتعرض للموت بمضیعة، و کان أبوه یعصیه فی کل ما کان یشیر علیه من ذلک.

[صفحه ۴۰]

و یروی المؤرخون أن ذلک کان فی «الربذة»، و أن الامام علیا انما رد علی ولده الحسن، فقال، فیما یروی الطبری، أی بنی، أما قولک لو خرجت من المدینة حین أحیط بعثمان، فوالله لقد أحیط بنا، کما أحیط به، و أما قولک لا تبایع حتی تأتیک بیعة الأمصار، فان الأمر أمر أهل المدینة، و کرهنا أن یضیع هذا الأمر، و أما قولک حین خرج طلحة و الزبیر، فان ذلک کان وهنا علی أهل الاسلام، و الله مازلت مقهورا مذ ولیت، منقوصا لا أصل الی شیء مما ینبغی، و أما قولک اجلس فی بیتک، فکیف لی بما قد لزمنی أو من تریدنی، أترید أن أکون مثل الضبع التی یحاط بها، و یقال دباب دباب، لیست هنا حتی یحل عرقوبها ثم تخرج، و اذا لم أنظر فیما یلزمنی من هذا الأمر و یعنینی، فمن ننظر فیه، فکف عنی أی بنی»، و قد ناقشنا هذا الأمر بالتفصیل فی کتابنا عن «الامام علی».

و علی أی حال، فلقد أرسل الامام علی من الربذة ثلاث سفارات الی أبی موسی الأشعری، و الیه علی الکوفة، ولکن أباموسی لم یستجب لدعوة الامام، رغم أنه بایع الامام، و أخذ له البیعة من أهل الکوفة، و هذه البیعة بداهة تفرض علیه نصرة الامام بنفسه و بأهل الکوفة، فاذا تحرج من ذلک، استقال الامام و ترک عمله، انضم الی أولئک المعتزلین، فاجتنب من الفتنة ما یجتنبون، فاما أن یکون قد بایع الامام علیا، و قبل أن یکون له والیا، ثم یأبی بعد ذلک أن ینفر مع أهل مصره، حین استنفرهم الامام، فشیء لا یکاد یستقیم، و أیا ما کان الأمر، فلقد اضطر الامام الی أن یرسل له سفارة رابعة من کبار الصحابة، الامام الحسن و عبدالله بن عباس و عمار بن یاسر و قیس بن سعد بن عبادة الأنصاری، و لما خرج الیهم أبوموسی، قال له الامام الحسن: «لم تثبط الناس عنا، فوالله ما أردنا الا الاصلاح، و لا مثل أمیرالمؤمنین یخاف علی شیء» فأجاب أبوموسی: صدقت بأبی أنت و أمی، ولکن المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله صلی الله علیه و سلم یقول: «انها ستکون فتنة، القاعد فیها خیر من القائم، و القائم خیر من الماشی، و الماشی خیر من الراکب، و قد جعلنا الله اخوانا و حرم علینا دماءنا

[صفحه ۴۱]

و أموالنا» فرد علیه عمار بن یاسر، و قال: أیها الناس: انما قال له وحده، أنت فیها قاعدا خیر منک قائما».

و قام الامام الحسن فقال: أیها الناس، أنا جئنا ندعوکم الی الله و الی کتابه و الی سنة رسوله، و الی أفقه من تفقه من المسلمین، و أعدل من تعدلون، و أفضل من تفضلون، و أوفی من تبایعون، و من لم یعبه القرآن و لم تجهله السنة، و لم تقعد به السابقة، الی من قربة الله تعالی قرابتین، قرابة الدین و قرابة الرجم، الی من سبق الناس الی کل مأثرة، الی من کفی الله به رسوله و الناس متخاذلون، فقرب منه و هم متباعدون، و صلی معه و هم مشرکون، و قاتل معه و هم منهزمون، و بارز معه و هم محجمون، و صدقه و هم

يكذبون، الى من لم ترد له شـهادة و لا تكافأ له سابقة، و هو يسألكم النصـر و يدعوكم الى الحق و يأمركم بالمسير اليه، لتؤازروه على قوم نكثوا راية بيعته، و قتلوا أهل الصـلاح من أصحابه، و مثلوا بعماله، و انتهبوا بيت ماله، فأشخصوا اليه رحمكم الله، فآمروا بالمعروف و انهوا عن المنكر، و احضروا بما يحضر به الصالحون».

غير أن بعض المغرضـين انمـا يتوهمون خطأ، و ربما حقـدا، انما كان شابا هينا لينا، لا يسـتجيب لظروف أبيه و اذا تراءت ايجابيـة فالى قسط بسـيط يشـبه السـلبية، و الحقيقـة غير ذلك، فان تصـرف الامام الحسن انما جاء بخير ما يرجى منه، و من ثم فقـد برهن على طول باع، اذا رافق القضية و راعى تطورها بعقل رصين حصيف، و هكذا نراه عندما يشم ريح النكوص من أبى‌موسى الأشعرى، و اذا يتحقق ذلك بنفسه، انما يقول له بعزة و حزم الهاشـمى «اعتزلنا لا أم لك، و دع منبرنا»، و هكـذا أنفـذ الحسن و كتاب أبيه الى أبى‌موسـى، و الـذى جاء فيه «اعتز عملنا يا ابن الحائد مذموما مدحورا، فما هذا أول يومنا منك، و ان لك فيها لهنات و هينات»، غير أن أباموسـى لم يعتزل الا ـ بعـد نهب متـاعه و اقتحم قصـره، و كـاد أن يبطش به، فاعتزل العمل و خرج من الكوفـة فأتى مكـة و أقام فيها مع المعتزلين، حتى كانت خدعة التحكيم، و قام فيها بدور، ليس فى صالح الامام على، على أية حال.

[صفحه ۴۲]

هذا و قد شـهد الحسن مع أبيه مشاهده كلها، فى يوم الجمل و فى صـفين و فى النهروان، فكان على يمين أبيه، كما كان الحسين على شماله، و كان أخوهما محمـد بن الحنفية حامل رايته العظمى، و كان الامام على يضن دائما بالحسن و الحسين على الخطر، مخافة أن يصـيبهما شـر فتنقطع ذرية النبى صـلى الله عليه و سـلم، كان يقيهما بنفسه و بأخيهما محمد بن الحنفية، و كان يشتد على محمد هذا، و يعنف به ان رأى منه فى الحرب أناة أو تقصـيرا حتى كلمه فى ذلك بعض أصـحابه، و كما أشـرنا من قبل، أن محمدا سـئل: «لم يغرر بـك أبوك فى الحرب و لا ـ يغرر بأخويـك، فأجاب انهما عيناه و أنا يمينه، فهو يـدفع عز عينيه بيمينه»، و هكـذا كان الامام على أشـد الناس ايثارا للحسن و الحسـين لمكانهما من النبى صـلى الله عليه و سلم، و كان أصحابه يصنعون صنيعه فى ذلك، فيؤثرونهما بالخير و البر.

هذا و رغم أن الامام الحسن كان كارها للفتنة منذ ثارت، و أنه كان يأمل أن يحقق نبوءة جده المصطفى صلى الله عليه و سلم فيه، يوم أجلسه على المنبر، و جعـل ينظر اليه مرة، و ينظر الى النـاس مرة أخرى، يفعل ذلك مرارا، ثم قال صـلى الله عليه و سـلم: «ان ابنى هـذا سيـد، و لعـل الله أن يصـلح به بين فئتين كبيرتين من المسـلمين، و لا ـ ريب أن هـذا الحـديث الشـريف قـد وقع فى نفس الحسن موقعا عظيما، و كأنه ذكره حين ثارت الفتنة، بين هاتين الفئتين من المسلمين فيحقق نبوءة جده النبى صلى الله عليه و سلم، مع ذلك كله، فما تخلى الحسن عن أبيه لحظة، و كما أشرنا أكثر من مرة، فقد شهد مشاهده كلها، كما كان الى جانبه فى كل أمره، و بقى كذلك حتى آخر لحظة فى حياة أميرالمؤمنين الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة

[صفحه ۴۳]

الامام الحسن خامس الراشدين

توليته الخلافة

بويع الامام الحسن أميرا للمؤمنين بعد استشهاد أبيه مولانا الامام على بن أبى‌طالب كرم الله وجهه فى الجنة، على خلاف بين السنة و الشيعة فى كيفية هذه البيعة، فالمؤرخون و المحدثون من أهل السنة يذهبون الى أن الامام عليا أبى أن يستخلف حين طلب اليه ذلك بعد أن أصيب، روى الطبرى أن جندب بن عبدالله دخل على على فسأله فقال: يا أميرالمؤمنين ان فقدناك، و لا نفقدك، فنبايع الحسن، فقال: «ما آمركم و لا أنهاكم، أنتم أبصر»، و فى رواية ابن‌كثير أن عليا رضى الله عنه لما ضربه ابن‌ملجم، قالوا له: استخلف يا أميرالمؤمنين فقال: لا، ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه و سلم، يعنى بغير استخلاف، فان يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم، كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و روى الامام أحمد فى المسند بسنده عن عبدالله بن سبع قال: سمعت عليا يقول (و ذكر أنه سيقتل)، قالوا: فاستخلف علينا، قال: لا، ولكن أترككم الى ما ترككم اليه رسول الله صلى الله عليه و سلم، قالوا: فما تقول لربك اذا أتيته، قال أقول: «اللهم تركتنى فيهم ما بدا لك ثم قبضتنى اليك و أنت فيهم، فان شئت أصلحتهم، و ان شئت أفسدتهم»، و قال ابن العربى فى العواصم من القواصم: «ما عهد (أى الامام على) الى أحد، ولكن البيعة

[صفحه ۴۴]

للحسن منعقدة، و هو أحق من معاوية و من كثير من غيره، و كان خروجه لمثل ما خرج اليه أبوه من دعاء الفتنة الى الانقياد للحق و الدخول فى الطاعة».

على أن الشيعة انما يرون أن الامام على استحلف الحسن نصا، و ذلك حين دفع اليه سلاحه و سائر تراث الأنبياء و الأوصياء و سلمه الاسم الأعظم، و أن عليا جمع أولاده بعد طعنه، و كانوا اثنى عشر ذكرا فقال لهم: يا بنى ان الله عزوجل قد أبى الا أن يجعل فى سنة يعقوب اذا دعا ولده، و كانوا اثنى عشر ذكرا، فأخبرهم بصاحبهم، ألا و انى أخبركم بصاحبكم، الا ان هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أشار الى الحسن و الحسين فاسمعوا لهما و أطيعوا، و ذودوا عنهما، فانى ائتمنتهما على ما ائتمننى رسول الله، مما ائتمنه الله عليه من خلقه، و هكذا فان امامة الحسن، من وجهة نظر الشيعة، واجبة لا محيص عنها، من حيث أنه السبط الأكبر لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و أول الأئمة من ذرية الرسول صلى الله عليه و سلم فهو اذا همزة الوصل بين الرسول صلى الله عليه و سلم و بين أى امام منتسب الى آل البيت.

و على أى حال، فالامام الحسن، دونما ريب، انما هو الخليفة الطبيعى لأبيه أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب، كرم الله وجهه فى الجنة، فهو ريحانة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و سيد شباب أهل الجنة، و هو امام، ان قام أو قعد، فقد قال جده رسول الله صلى الله عليه و سلم: «الحسن و الحسين امامان، ان قاما و ان قعدا»، و قد هذبه الله عن كل نقص و رجس، كما دلت على ذلك آية التطهير (آية ۳۳ الأحزاب)، هذا فضلا عن توافر جميع ما تتطلبه الخلافة من الصفات الرفيعة فى شخصه كالعلم و التقوى و الحزم و الجدارة.

روى أبوالفرج بسنده فى «مقاتل الطالبيين»، و المحب الطبرى فى ذخائر العقبى (و قال أخرجه الدولابى) و غيرهما كالطبرى و ابن‌الأثير و ابن أبى‌الحديد و الشيخ المفيد و ابن‌الجوزى فى صفوة الصفوة، و أن الحسن بن على خطب بعد وفاة أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب، فقال: «لقد قبض الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، و لا يدركه الآخرون بعمل، و لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقيه بنفسه، و لقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبريل عنه يمينه، و ميكائيل عن يساره، فلا

[صفحه ۴۵]

يرجع حتى يفتح الله عليه، و لقد توفى فى هذه الليلة التى عرج فيها بعيسى بن مريم، و لقد توفى فيها يوشع بن نون، وصى موسى، و ما

خلف صـفراء و لاـ بيضاء الا سـبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادما لأهله»، ثم خنقته العبرات فبكى و بكى الناس، ثم قال: «أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى، و لم يعرفنى فأنا الحسن بن على، و أنا ابن النبى، و أنا ابن‌البشير النذير، و أنا ابن الداعى الى الله عزوجل باذنه، و أنا ابن‌السـراج المنير، و أنا من أهل البيت الـذى أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و أنا من أهل البيت الـذين افترض مودتهم على كـل مسـلم فقـال تعـالى لنبيه صـلى الله عليه و سـلم: (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى، و من يقترف حسنة نزد له فيها حسنا)، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت».

و هكـذا تضـمن خطاب الامام الحسن دعوة الناس الى مبايعته، و قد كانت دعواه رائعة، بكل ما للروعة من معنى، فهو قد عرف الناس، وهم يعرفون، أنه ابن النبى، و ابن الـداعى الى الله و ابن السـراج المنير، و أنه الآـن رأس البيت الـذين أذهب عنهم الحزن و الأباطيل، و من ثم فهو أحق الناس بالخلافة بعد أبيه.

روى أبومخنف عن رجـاله: ثم قـام عبـدالله بن عبـاس فـدعا الناس الى بيعته و قال: «معاشـر المسـلمين هـذا ابن نبيكم و وصـى امامكم فبايعوه»، فاستجابوا و قالوا: ما أحبه الينا و أحقه بالخلافـة فبايعوه، و هكـذا تمت البيعـة و هم انما يبايعون الله و رسوله، و ثم يسـتعرض ابن‌عبـاس فى خطـابه مزايـا أهـل البيت و حقهم الصـريح فى الأمر، فيقول: «نحن حزب الله الغالبون و عترة رسوله الأقربون، و أهل بيته الطيبون الطاهرون، و أحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله فى أمته».

و هكـذا بدأت البيعة للامام الحسن، روى الطبرى و ابن الأثير، أنه فى سـنة أربعين للهجرة، بويع للحسن، عليه‌السـلام: بعد مقتل أبيه، و كان أول من بايعه قيس بن سـعد الأنصارى، قال له: ابسط يـدك أبايعك على كتاب الله عزوجل و سـنة نبيه، و قتال المحلين، فقال له الحسن: على كتاب الله و سنة رسوله، فانهما يأتيان على كل شرط، فبايعة و سكت و بايع الناس، و قال ابن‌كثير: لما توفى الامام

[صفحه ۴۶]

على، و صـلى عليه ابنه الحسن لأنه أكبر بنيه، و كان أول من تقـدم الى الحسن، قيس بن سـعد فبايعه و بايعه الناس بعده، و كان ذلك يوم مات الامام على فى يوم الجمعـة السابع عشـر من رمضان عام ۴۰ ه، و هكـذا تجمع الروايات أو تكاد، على أن المسـلمين قد فزعوا بعـد موت الامـام و أجمعوا أمرهم على مبايعـة الامـام الحسن، فـاجتمعوا فى جامع الكوفـة فى صـباح يوم ۱۶ (و قيـل ۲۱) من رمضان المبارك سـنة أربعين للهجرة و قدمه للخلافة و بايعه، قيس بن سـعد، و عبدالله بن عباس، و أما الأول فهو أعظم قواد الامام على الذين بقوا على قيـد الحياة، بعـد موت عمار بن ياسـر و الأشتر، فكانت بيعته بيعته الأنصار، و أما الثانى فكانت بيعته بيعة بنى‌هاشم و آل النبى صلى الله عليه و سلم.

و لعل من الأهمية بمكان الاشارة الى تلك الدعوى الكذوب التى نادى بها البعض، و هى أن الامام الحسن قد تسـرع فى قبول الخلافة فى مثـل الظرف الـذى بايعه فيه الناس، بما كان يؤذن به هـذا الظرف من زعازع و نتائـج بعضـها ألم، و بعضـها خسـران، و يرد الشـيخ راضـى آل ياسـين فى كتابه «صـلح الحسن»، فيما يروى أبوعلم، على بطلان هـذا الزعم بأدلـة منها (أولا) أنه لما كان من الواجب على النـاس الانقيـاد الى بيعـة الامام المنصوص عليه، كان الواجب على الامام، مع قيام الحجـة على وجود الناصـر، قبول البيعـة من الناس، و منها (ثانيا) أن هـذه الـدعوى انما تنظر الى قضـية الامام الحسن من ناحيتها الدنيوية، و الأنسب النظر اليها من ناحيتها الدينية، و كثير هو الفرق بين الـدنيا و الدين فى نظر امام، و من ثم فهى ظفر لا خسارة، رغم ما فيها من متاعب، و من أولى من الحسن بالاسـلام و تحمل آلامـه فهو نبت بيته الطـاهر، بيت النبوة، و منهـا (ثالثـا) لم يكن الامام الحسن، فى رفعـة مكانـة بين المسـلمين، و فى نسبه الشـريف، و مركزه العلمى، بالـذى يستطيع الفراغ، و ان أراده عن عمـد، و لاـ بالـذى يتركه النـاس و ان أراد هو أن يتركهم، و كـان لابـد للرجات العنيفة فى المجتمع الاسـلامى أن تتدافع اليه، تستدعيه للوثوب، احقاقا للحق، و انكارا للمنكر، كما وقع من بعد لشقيقه الامام الحسين،

و منها (رابعا) أنه لو ترك الناس و بيعتهم أو تركه الناس و أعفوه خلافتهم،

[صفحه ۴۷]

فلن يتركه المتغلبون على الناس، و أنهم لينظرون اليه دائما، و كأنه شبح مخيف لهم، بما يدور حوله من الدعوة الى الاصلاح أو النقمة الصارخة على الوضع التى كان يتطوع لها الساخطون و المعارضون و الدعاة لله من مختلف الطبقات، و لن يجد هؤلاء و أولئك يومئذ ملجأ يفيئون اليه خيرا من ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم الامام المحبوب، الحسن بن على، و لنتذكر أنه مات مسموما، و لماذا يقتلونه سما، و قد صالحهم على الأمر، و ترك لهم الدنيا برمتها، لولا أنهم خافوه على سلطانهم، و رأوا من وجوده حاجزا يمنعهم من النفوذ الى قلوب الناس، مما يدل على انقياد الناس، فى عقيدتهم، اليه دونهم، و أخيرا فان الخلافة فى أصلها انما هى مقام أبيه و ميراثه و ميراث أخيه، على حد تعبير الامام على بن موسى بن جعفر، عليهم‌السلام، و أما الزعازع التى لوح بها هذا النقد، فما كانت الا خطط المناوئين فى الكوفة، و ليس شىء منها بالذى يضير الحسن ابان نشاط الناس معه، كما هو فى ابان بيعته، و أى خليفة أو زعيم ليس له مناوئون، فلم لا يكون قبول البيعة هو الأرجح على مختلف الوجوه، بل هو الواجب لضرورة الوقت و للمصلحة العامة و لاحقاق الحق.

الامام الحسن خامس الراشدين

لا ريب فى أن الامام الحسن انما هو أحد الخلفاء الراشدين بعد أبيه الامام على، تحققت به و عليه معجزة جده سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى قوله الشريف «الخلافة بعدى ثلاثون سنة»، و صدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم و صدقت معجزته، فكان للامام الحسن منها قرابة ستة أشهر تتميما لها، أو سبعة أشهر و أحد عشر يوما، فيما يرى ابن‌عساكر، و من ثم فهو خامس الراشدين، أخرج ابن‌حبان و الامام أحمد عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول «الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا عضوضا»، و يقول الحافظ ابن‌كثير عن خلافة الامام الحسن، «أن أهل الشام بايعوا معاوية بايلياء (القدس) لأنه لم يبق له عندهم منازع، فعند ذلك أقام أهل العراق الحسن بن على رضى الله عنه ليمانعوا به أهل الشام، فلم يتم لهم ما أرادوه و حاولوه، و انما كان خذلانا لهم من قبل تدبيرهم و آرائهم المختلفة المخالفة لأمرائهم، ولو كانوا يعلمون لعظموا ما أنعم الله به

[صفحه ۴۸]

عليهم من مبايعتهم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم و سيد المسلمين، و أحد علماء الصحابة و حلمائهم و ذوى آرائهم، و الدليل على أن الحسن أحد الخلفاء الراشدين، الحديث الذى أوردناه فى دلائل النبوة من طريق سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم و الذى رواه الامام أحمد و الترمذى و أبويعلى و ابن‌حبان: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال «الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا»، و انما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فانه نزل عن الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول سنة احدى و أربعين، و ذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله صلى الله عليه و سلم، فانه توفى فى ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة، و هذا من دلائل النبوة، صلوات الله و سلامه عليه و سلم تسليما، و قد مدحه رسول الله صلى الله عليه و سلم على صنيعه هذا، و هو تركه الدنيا الفانية، و رغبته فى الآخرة الباقية، و حقنه دماء هذه الأمة، فنزل عن الخلافة، و جعل الملك بيد معاوية حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد».

و روى المسعودى أنه صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال «الخلافة بعدى ثلاثون سنة»، لأن أبابكر رضى الله عنه تقلدها

سنتین و ثلاثة أشهر و ثمانیة أیام، و عمر رضی الله عنه عشر سنین و ستة أشهر و أربع لیال، و عثمان رضی الله عنه احدی عشرة سنة و أحد عشر شهرا و ثلاثه عشر یوما، و علی رضی الله عنه أربع سنین و سبعة أشهر، الا یوما، و الحسن رضی الله عنه ثمانیة أشهر و عشرة أیام، فتکون ثلاثون سنة»، و أخرج ابن‌عساکر فی التاریخ بسنده، أخرج الحافظ عبدالله بن الامام أحمد بن حنبل عن سفینة عن النبی صلی الله علیه و سلم أنه قال: «الخلافة بعدی ثلاثون سنة»، ثم قام رجل کان حاضرا فی مجلس عبدالله فقال: «قد دخلت فی هذه الثلاثین سنة شهور فی خلافة معاویة»، فقال من حضر: «ان تلک الشهور کانت فیها البیعة للحسن، بایعه أربعون ألفا، و اثنان و أربعون ألفا»، و لما قتل علی رضی الله عنه بایع أهل الکوفة الحسن بن علی رضی الله عنه و أطاعوه، و أحبوه أشد من حبهم لأبیه، و کان قد ولی الخلافة سبعة أشهر، و أحد عشر یوما، و کان التقاؤه بمعاویة بمسکن من أرض العراق، فتصالحا فی ربیع الأول سنة احدی و أربعین»، و یقول ابن‌خلکان فی وفیات الأعیان: «و کان آخر ولایة الحسن رضی الله عنه تمام

[صفحه ۴۹]

ثلاثین سنة من أول خلافة أبی‌بکر الصدیق رضی الله عنه»، و یقول ابن‌تیمیة فی رسالته «فضل أهل البیت و حقوقهم» بعد أن ذکر الحدیث الشریف الذی رواه سفینة «الخلافة ثلاثون سنة ثم تصیر ملکا»: فکان آخر الثلاثین حین سلم سبط رسول الله صلی الله علیه و سلم الحسن بن علی رضی الله عنهما، الأمر الی معاویة، و کان معاویة أول الملوک».

و هکذا یتفق العلماء علی أنه لم یکن فی الثلاثین سنة التی حددها النبی صلی الله علیه و سلم للخلافة بعده، الا الخلفاء الراشدون الأربعة (أبوبکر و عمر و عثمان و علی) و کملت الثلاثون سنة بخلافة الحسن المدة التی مکث فیها خلیفة حق، و امام عدل، تحقیقا لما أخبر به جده المصطفی صلی الله علیه و سلم بقوله: «الخلافة بعد ثلاثون سنة»، و من ثم فقد کانت خلافة الحسن بن علی، منصوصا علیها، و ان کانت محدودة الأجل، ثم یبدأ الملک العضوض بمعاویة بن أبی‌سفیان، فلقد أخرج ابن أبی‌شیبة فی المصنف، عن سعید بن جمهان، قال قلت لسفینة (مولی رسول الله صلی الله علیه و سلم) ان بنی‌أمیة یزعمون أن الخلافة فیهم، قال: «کذب بنو الزرقاء، بل هم ملوک و من أشد الملوک، و أولهم معاویة».

و روی ابن‌الأثیر و غیره: لما استقر الأمر لمعاویة دخل علیه سعد بن أبی‌وقاص رضی الله عنه فقال: السلام علیک أیها الملک، فضحک معاویة و قال: ما کان علیک یا أبااسحاق لو قلت: یا أمیرالمؤمنین، فقال: «أتقولها جذلان ضاحکا، والله ما أحب أنی ولیتها بما ولیتها به»، و یسمی ابن‌تیمیة فی کتابه «منهاج السنة» معاویة بالملک، و لیس الخلیفة، فیقول: «لم یکن من ملوک الاسلام ملک خیرا من معاویة، و لا کان الناس فی زمان ملک من الملوک خیرا منهم فی زمن معاویة»، و قد أشرنا آنفا الی روایة ابن‌کثیر التی فرق فیها بین عهد الامام الحسن، و عهد معاویة، فسمی عهد الأول خلافة، و الثانی ملکا، حیث قال: «و قد مدحه (أی الحسن) رسول الله صلی الله علیه و سلم علی صنیعه، و هو ترک الدنیا الفانیة، و رغبته فی الآخرة الباقیة، و حقنه دماء هذه الأمة، فنزل عن الخلافة، و جعل الملک بید معاویة» بل ان معاویة نفسه انما کان یقول عن نفسه «أنا أول الملوک»، هذا فضلا

[صفحه ۵۰]

عن أن الجملة التی ینسبها أنصار معاویة و مریدوه الی عبدالله بن عباس، علی أنها مدیح لمعاویة، لا تعدو وصفه بالملک و لیس الخلفة، و هی قوله «ما رأیت رجلا کان أخلق بالملک من معاویة»، بل ان ابن العربی الذی کتب کتابه «العواصم من القواصم» للدفاع عن معاویة و بنی‌أمیة، انما یتحدث فیه عن مراتب الولایة، علی أنها: خلافة ثم ملک، فتکون ولایة الخلافة للأربعة (ابوبکر و عمر و

عثمان و علی)، و تکون ولایة الملک لابتداء معاویة»، و علی أی حال، فان المؤرخین یذهبون الی أن معاویة قد أحاط نفسه بکل مظاهر الملک، فقد لازم الخلافة فی عهده طابع سیاسی أکثر منه دینیا، و أصبحت کلمة ملک بمعنی الحاکم المطلق (أؤتوقراطی) یطلقها المؤرخون علیه و علی خلفائه، و هو نفسه الذی قال «أنا أول الملوک»، و قد استحدث أمورا للخلافة لم تکن من قبل، فبنی لنفسه قصرا فی دمشق سماه «الخضراء»، کما اتخذ السریر أو العرش و جعل الحراس تمشی بالحراب بین یدیه، و أوجد الشرطة لحراسته، و کان اذا صلی فی المسجد جلس فی بیت منفرد بجدران عرف بالمقصورة، و أخیرا فقد استحدث معاویة فی الاسلام بدعة ولی العهد، فاستخلف ابنه یزید من بعده علی سلطان المسلمین، فغیر بذلک السنة الموروثة تغییرا خطیرا، الأمر الذی أدی الی مذبحة کربلاء التی راح ضحیتها أهل بیت النبی صلی الله علیه و سلم و ذبحت ذریته، فضلا عن الاستباحة الخلیعة لحرم رسول الله صلی الله علیه و سلم بالمدینة، و الاعتداء علی حرم الله الآمن بمکة المکرمة.

و هکذا یبدو واضحا أن خلافة الامام الحسن انما کانت نهایة الخلافة، کما أخبر جده صلی الله علیه و سلم و من ثم فهو خامس الراشدین، حیث تنتهی بعهده عهد الخلافة، و یبدأ عصر الملوک، و صدق رسول الله صلی الله علیه و سلم فیما رواه الطبرانی عن معاذ بن جبل و أبی‌عبیدة بسنده، أن رسول الله صلی الله علیه و سلم قال: ان هذا الأمر بدأ رحمة و نبوة، ثم یکون رحمة و خلافة، ثم کائن ملکا عضوضا، ثم کائن عتوا و جبریة و فسادا فی الأرض، یستحلون الحریر و الفروج و الخمور، و یرزقون علی ذلک و ینصرون حتی یلقوا الله عزوجل».

[صفحه ۵۱]

سیاسة الامام الحسن

وضع و الحسن لبیعته خاصة، و قبض یده عما أرید معها من قیود، و أرادها هو علی السمع و الطاعة و الحرب لمن حارب و السلم لمن سالم، فکان عند ظن المعجبین ببلاغته الاداریة بما ذکر من الحرب، و لوح بالسلم، فأرضی الفریقین من أحزاب الکوفة، دعاة الحرب و دعات السلم، و قد کان لدیه من الوضع العام فی الکوفة ما یکفیه لاتخاذ مثل هذه الحیطة الحکیمة لوقت ما، غیر أن بعض الروایات انما تذهب الی أنه طفق، کما یقول الزهری، یشترط علی الناس أن یسمعوا و یطیعوا، و یحاربوا من حارب، و یسالموا من سالم، فلما سمع الناس منه تکراره لأمر السلم ارتابو و ظنوا أنه یرید الصلح، و قال بعضهم لبعض: لیس هذا لکم بصاحب و انما هو صاحب صلح، بل ان البعض انما ذهب الی أنهم قد أتوا أخاه الامام الحسین و قالوا له: ابسط یدک نبایعک علی ما بایعنا علیه أباک، و علی حرب الحالین الضالین أهل الشام، فقال الامام الحسین: «معاذ الله أن أبایعکم مادام الحسن حیا، فانصرفوا الی الحسن و لم یجدوا بدا من بیعته علی شرطه»، ولکن الحقیقة أن الغالبیة العظمی من القوم انما کانت تناصر الامام الحسن، لأنه این رسول الله صلی الله علیه و سلم و ابن ابنته، و لأن من شرط الایمان مودته، و من شرط البیعة طاعته، و کما یقول ابن‌کثیر «و أحبوه أشد من حبهم لأبیه»، و علی رأس هؤلاء جمهرة من المهاجرین و الأنصار الذین کان لهم من صحبتهم لرسول الله صلی الله علیه و سلم ما یفرض لهم المکانة الرفیعة بین الناس، و کان منهم قیس بن سعد الأنصاری، و حجر بن عدی الکندی، و عمرو بن الحمق الخزاعی، و سعد بن قیس الهمدانی، و حبیب بن مظاهر الأسدی، و عدی بن حاتم الطائی، و المسیب بن نجیة و زیاد بن صعصعة و غیرهم.

هذا و قد زاد الامام الحسن، فیما یقول أبوالفرج و ابن أبی‌الحدید، المقاتلة مائة مائة، و کان ذلک أول شیء استحدثه حین الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعده علیه، هذا فضلا عن أن الامام الحسن انما مکث بعد البیعة شهرین أو قریبا من شهرین لا یذکر الحرب و لا یظهر استعدادا لها، حتی ألح

[صفحه ۵۲]

علیه قیس بن سعد و عبیدالله بن العباس، و کتب الیه عبدالله بن العباس من مکهٔ یحرضه علی الحرب، و یلح علیه فی أن ینهض فیما کان ینهض فیه أبوه، و ان کان هناک من یری أن ابن‌عباس انما کتب رسالته هذه الی الحسن و هو ما یزال بعد والیا علی البصرهٔ من قبل الحسن، کما کان والیا علیها من قبل أبیه، الأمر الذی ناقشناه فی کتابنا عن «الامام علی»، و علی أیهٔ حال، فلقد جاء فی هذه الرسالهٔ، کما أوردها ابن أبی الحدید فی شرح نهج‌البلاغهٔ، «أما بعد، فان المسلمین ولوک أمرهم بعد علی، علیه‌السلام، فشمر للحرب و جاهد عدوک، و قارب أصحابک، و اشتر من الظنین دینه بما لا یلثم لک دنیاه، وول أهل البیوت و الشرف تستصلح به عشائرهم حتی یکون الناس جماعهٔ، فان بعض ما یکره ما لم یتعد الحق، و کانت عواقبه تؤدی الی ظهور العدل و عزالدین، خیر من کثیر مما یحبه الناس اذا کانت عواقبه تؤدی الی ظهور الجور، انه لا یصلح الکذب، الا فی حرب أو اصلاح بین الناس، فان الحرب خدعهٔ، و لک فی ذلک سعهٔ، اذ کنت محاربا، ما لم تبطل حقا، و اعلم أن علیا أباک انما رغب الناس عنه الی معاویهٔ أنه آسی بینهم فی الفیء و سوی بینهم فی العطاء فثقل علیهم، و اعلم أنک تحارب من حارب الله و رسوله فی ابتداء الاسلام حتی ظهر أمر الله فلما وحد الرب و محق الشرک و عز الدین، أظهروا الایمان و قرأوا القرآن مستهزئین بآیاته، و قاموا الی الصلاهٔ و هم کسالی،و أدوا الفرائض و هم کارهون، فلما رأوا أنه لا یعز فی الدین الا الأتقیاء الأبرار، توسموا بسیمی الصالحین لیظن المسلمون بهم خیرا، فیما زالوا بذلک حتی شرکوهم فی أماناتهم و قالوا حسابهم علی الله، فان کانوا صادقین فاخواننا فی الدین، و ان کانوا کاذبین کانوا بما اقترفوا هم الأخسرین، و قد منیت بأولئک و بأبنائهم و أشباههم، و الله ما زادهم طول العمر الا غیا، و لا زادهم ذلک لأهل الدین الا مقتا، فجاهدهم و لا ترض دنیهٔ و لا تقبل خسفا، فنا علیا أباک لم یجب الی الکوفهٔ حتی غلب علی أمره، فأجاب و انهم یعلمون، أنه أولی بالأمر ان حکموا بالعدل، فلما حکموا بالهوی رجع الی ما کان علیه حتی أتی الیه أجله، و لا تخرجن من حق أنت أولی به حتی یحول الموت دون ذلک، و السلام».

[صفحه ۵۳]

المراسلات بین الامام الحسن و معاویهٔ

یروی أبوالفرج و الشیخ المفید، أنه لما بلغ معاویهٔ وفاهٔ أمیرالمؤمنین علی، و بیعهٔ الناس لابنه الحسن، دس رجلا من بنی حمیر الی الکوفهٔ، و رجلا من بنی القین الی البصرهٔ، یکتبان الیه بالأخبار، فدل علی الحمیری عند لحام جریر، و علی القینی بالبصرهٔ، فأخذا و قتلا، و کتب الحسن الی معاویهٔ: «أما بعد، فانک دسست الی الرجال کأنک تحب اللقاء، و ما أشک فی ذلک فتوقعه ان شاء الله، و قد بلغنی أنک شمت بما لا یشمت به ذوالحجی» (یشیر الی ما أظهره معاویهٔ من الفرح بمقتل الامام علی)، فکتب الیه معاویهٔ «أما بعد، فقد وصل کتابک و فهمت ما ذکرت فیه، و لقد علمت بما حدث فلم أفرح و لم أحزن، و لم أشمت و لم آس».

و أرسل الامام الحسن رسالهٔ أخری الی معاویهٔ یدعوه الی مبایعته و طاعته و الدخول فیما دخل فیه المسلمون، وقد أرسلها مع الحارث بن سوید التمیمی و جندب الأزدی، و هما من عیون المؤمنین و ثقات الاسلام، و هاک نص الرسالهٔ، کما رواها أبوالفرج و ابن أبی‌الحدید، «بسم الله الرحمن الرحیم، من عبدالله الحسن أمیرالمؤمنین الی معاوبهٔ بن أبی‌سفیان، سلام علیک فانی أحمد الله الذی لا اله الا هو، أما بعد، فان الله تعالی عزوجل بعث محمدا صلی الله علیه و سلم رحمهٔ للعالمین، و منهٔ علی المؤمنین، و کافهٔ الی الناس

أجمعین «لینذر من کان حیا و یحق القول علی الکافرین»، فبلغ رسالات الله، و قام علی أمر الله حتی توفاه الله غیر مقصر ولا و ان، حتی أظهر الله به الحق، و محق به الشرک، و نصر به المؤمنین، و أعز به العرب، و شرف به قریشا خاصة «و انه لذکر لک و لقومک»، فلما توفی صلی الله علیه و سلم تنازعت سلطانه العرب، فقالت قریش: نحن قبیلته و أسرته و أولیاؤه، و لا یحل لکم أن تنازعونا سلطان محمد فی الناس و حقه، فرأت العرب أن القول کما قالت قریش، و أن الحجة لهم فی ذلک علی من نازعهم أمر محمد صلی الله علیه و سلم فأنعمت لهم العرب و سلمت ذلک، ثم حاججنا نحن قریش بمثل ما حاجت به العرب، فلم تنصفنا قریش انصاف العرب لها، انهم أخذوا هذا الأمر

[صفحه ۵۴]

دون العرب بالانتصاف و الاحتجاج، فلما صرنا أهل بیت محمد و أولیائه الی محاجتهم، و طلب النصفة منهم باعدونا و استولوا بالاجتماع علی ظلمنا و مراغمتنا، و العنت منهم لنا، فالأمر لله، و هو الولی النصیر، و قد تعجبنا لتوثب المتوثبین علینا فی حقنا و سلطان نبینا صلی الله علیه و سلم و ان کانوا ذوی فضیلة و سابقة فی الاسلام، فأمسکنا عن منازعتهم مخافة علی الدین أن یجد المنافقون و الأحزاب بذلک معمزا یثلمونه به، أو یکون لهم بذلک سبب لما أرادوا من فساده، فالیوم فلیعجب المتعجب من توثبک یا معاویة علی أمر لست من أهله، لا بفضل فی الدین معروف، و لا أثر فی الاسلام محمود، و أنت ابن‌حزب من الأحزاب، و ابن أعدی قریش لرسول الله صلی الله علیه و سلم ولکن الله خیبک و سترد فتعلم لمن عقبی الدار، تالله لتلقین عن قلیل ربک، ثم لیجزینک بما قدمت یداک و ما الله بظلام للعبید».

«ان علیا، رضوان الله علیه، لما مضی لسبیله - رحمه الله، یوم قبض، و یوم من الله علیه بالاسلام، و یوم یبعث حیا - و لانی المسلمون الأمر بعده، فاسأل الله أن لا یزیدنا فی الدنیا الزائلة شیئا ینقصنا به فی الآخرة مما عنده من کرامته، و انما حملنی علی الکتاب الیک الاعذار فیما بینی و بین الله سبحانه و تعالی فی أمرک، و لک فی ذلک ان فعلت الحظ الجسیم، و للمسلمین فیه صلاح، فدع التمادی فی الباطل، و ادخل فیما دخل فیه الناس من بیعتی، فانک تعلم أنی أحق بهذا الأمر منک عندالله و عند کل أواب حفیظ، من الله له قلب منیب، واتق الله ودع البغی، و احقن الدماء، فوالله ما لک من خیر أن تلقی الله من دماء المسلمین بأکثر مما أنت لاقیه به، فادخل فی السلم و الطاعة، و لا تنازع الأمر أهله، و من هو أحق به منک، لیطفیء الله العداوة بذلک، و تجمع الکلمة، و تصلح ذات البین، و ان أنت أبیت الا التمادی فی غیک، نهدت الیک المسلمین، فحاکمتک حتی یحکم الله بیننا، و هو خیر الحاکمین».

فکتب معاویة الی الامام الحسن «بسم الله الرحمن الرحیم»، من عبدالله أمیرالمؤمنین الی الحسن بن علی، سلام علیک، فانی أحمد الیک الذی لا اله

[صفحه ۵۵]

الا هو، أما بعد، فقد بلغنی کتابک، و فهمت ما ذکرت به رسول الله صلی الله علیه و سلم من الفضل، و هو أحق الأولین و الآخرین بالفضل کله، قدیمه و حدیثه، و صغیره و کبیره، فقد والله بلغ فأدی، و نصح و هدی، حتی أنفذ الله به من التهلکة، و أنار به من العمی، و هدی به من الضلالة، فجزاه الله أفضل ما جزی نبیا عن أمته، فرأیتک صرحت بتهمة أبی‌بکر الصدیق، و عمر الفاروق و أبوعبیدة الأمین، و حواری الرسول صلی الله علیه و سلم و صلحاء المهاجرین و الأنصار، فکرهت ذلک لک، فانک امرؤ عندنا و عند الناس غیر ظنین، و لا المسیء و لا اللئیم، و أنا أحب لک القول السدید و الذکر الجمیل».

«ان هذه الأمۀ اختلفت بعد نبیها لم تجهل فضلکم و لا سابقتکم و لا قرابتکم من النبی صلی الله علیه و سلم و لا مکانتکم فی الاسلام و أهله، فرأت الأمۀ أن تخرج من هذا الأمر لقریش لمکانتها من نبیها، و رأی صلحاء الناس من قریش و الأنصار و غیرهم من سائر الناس و عامتهم، أن یولوا هـذا الأمر من قریش أقـدمها اسـلاما، و أعلمها بالله، و أحبها له و أقواها علی أمر الله، فاختاروا أبابکر، و کان ذلک رأی ذوی الحجی و الـدین و الفضـیلۀ و النـاظرین للأمـۀ، فـأوقع ذلـک فی صـدورکم التهمـۀ، و لـم یکونـوا بمتهمین، و لا ـ فیمـا أتـوا بمخطئین، و لو رأی المسـلمون فیکم من یغنی غنـاءه أو یقوم مقـامه أو یـذب عن حریم الاسـلام ذبه، ما عـدلوا بـذلک الأمر الی غیره رغبۀ عنه، ولکنهم عملوا فی ذلک بما رأوه صـلاحا للاسـلام و أهله، فالله یجزیهم عن الاسلام و أهله خیرا، و قد فهمت الذی دعوتنی الیه من الصـلح، و الحال فیما بینی و بینک الیوم مثل الحال التی کنتم علیها أنتم و أبوبکر بعد النبی صـلی الله علیه و سـلم، و لو علمت أنک أضـبط منی للرعیـۀ، و أحوط علی هـذه الأمـۀ، و أحسن سیاسۀ، و أقوی علی جمع المال و أکید للعدو، لأجبتک الی ما دعوتنی الیه، و رأیتک لـذلک أهلا، ولکنی قـد علمت أنی أطول منک ولایـۀ، و أقـدم منک لهـذه الأمـۀ تجربۀ، و أکثر منک سیاسۀ، و أکبر منک سـنا، فأنت أحق أن تجیبنی الی هذه المنزلۀ التی سألتنی، فادخل فی طاعتی و لک الأمر من بعدی، و لک ما فی بیت مال العراق من مال بالغا ما بلغ تحمله الی حیث أحببت، و لک خراج

[صفحه ۵۶]

أی کور العراق شئت، معونۀ لک علی نفقتک یجبیها لک أمینک، و یحملها لک فی کل سنۀ، و لک ألا یستولی علیک بالاساءۀ و لا تقضـی دونـک الأـمور، و لاـ تعصـی فی أمر أردت به طاعـۀ الله، عزوجـل، أعاننـا الله و ایاک علی طاعته، انه سـمیع مجیب الـدعاء، و السلام».

قـال جنـدب بن عبـدالله الأـزدی، رسول الحسن الی معاویـۀ: فلما أتیت الحسن بن علی بکتاب معاویـۀ قلت له: «ان الرجل سائر الیک، فابدأ أنت بالمسـیر حتی تقابله فی أرضه و بلاده و عمله، فاما أن تقدر أنه یتناولک فلا والله حتی یری یوما أعظم من یوم صفین، فقال أفعل، ثم قعد عن مشورتی و تناسی قولی».

هـذا و یعلق الـدکتور أحمد رفاعی علی رسالۀ معاویۀ هذه فی کتابه «عصـر المأمون»، بأن هذه الرسالۀ قد حوت بعض المغالطات، فقد جاء فیها: «ان هذه الأمۀ لما اختلفت بعد نبیها لم تجهل فضلکم ولا سابقتکم فی الاسلام، و لا قرابتکم من النبی صلی الله علیه و سلم... الخ»، و من یتتبع الأحداث التی وقعت بعد النبی صـلی الله علیه و سـلم عرف أن العترۀ الطاهرۀ واجهت بعد النبی صـلی الله علیه و سـلم أشق المحن و الخطوب، فـان الجرح لما ینـدمل، و الرسول صـلی الله علیه و سـلم لما یقبر، اسـتبد القوم بالأمر، و عقـدوا اجتماعهم فی السـقیفۀ، و تغافلوا عترۀ نبیهم، و کان لهذا کله الأثر الذی ظهر بعد خمسـین عاما من وفاۀ النبی صلی الله علیه و سلم فقد تتابعت علیهم الخطوب، فاذ المسـلمون من موکب جهیر یجوب البیـداء من بلـد الی بلد، و هم یحملون رؤوس أبناء النبی صـلی الله علیه و سـلم علی أطراف الرماح»، بعـد مذبحـۀ کربلاء المشـهورۀ و التی تشـهد بوضوح الی ما وصل الیه القوم من الانحطاط الـدینی و الخلقی، و کیف هان آل بیت النبی صـلی الله علیه و سـلم علی بنیأمیه الذین جعلت منهم نبوۀ محمد صـلی الله علیه و سلم شیئا مذکورا فی تاریخه، ما کانوا بدونه الا عدما أو شیئا من العدم.

ثم ان رسالـۀ معاویۀ هذه انما تفضح عن صاحبها، و تظهر نوایاه فی السـلطان التی طالما أخفاها تحت سـتار الأخذ بثأر عثمان علی أیام الامام علی، فطالما کتب الیه الامام یطلب منه الدخول فیما دخل فیه المسلمون من البیعۀ

[صفحه ۵۷]

لعلى، بعد أن خذله هواه الشخصـى، فخرج على الامام بغير حق، لأنه كان ملزما، و هو بالشام، ببيعة الامام على الذى بايعه أهل الحل و العقد بالمدينة من المهاجرين و الأنصار و أهل بدر و هم الذين بايعوا أبابكر و عمر و عثمان، و رضى معاوية ببيعتهم، ولكنه كان يأبى و يحتـج بأنه انما يطالب بـدم عثمان الخليفـة الشـهيد، و تلك دعوى حق أريـد بها باطل، ذلك لأن أقل ما كان يجب على معاويـة أن يبـايع للامام ثم يطالبه بأن يمكنه من القصاص لعثمان رضـى الله عنه، لكن معاويـة لم يبايع الامام الـذى بايعه المهاجرون و الأنصار، و مع هذا فهو يطالبه بالقصاص من قتلة عثمان، و الا فلا بيعة و لا سـمع و لا طاعة، و التناقص واضح فى موقف معاوية، فلو أنه بايع الامام لكان له وجه حق فيما طالب به، ولكنه يحجب عنه بيعته و طاعته، ثم يعود فيلزمه ما يلزم ولى الأمر من رد المظالم فذلك ما لا يسـتقيم على منطق أو واقع، لكن دم عثمان لم يكن عند معاوية هدفا لذاته، و انما كان وسـيلة لوصول معاوية الى الحكم و السطان، فلما وصل الى الملك و السـلطان، لم يبادر بالقصاص لدم عثمان، و انما رضـى بما غنمه من ملك الدنيا، و أرضـى ورثة عثمان بالفتات و ببعض الكلمات.

ثم ها هو الآن مع الامام الحسن بن على يسـلك نفس الطريق، و ان اختلفت الوسـيلة، فهو يرى نفسه، دون ابن رسول الله صلى الله عليه و سـلم الحسن بن على، أنه أضـبط للرعية و أحوط للأمة و أحسن للسياسة و أقوى على جمع الأموال و أكيد للعدو، و حجته فى ذلك أنه أطول ولايـة و أقدم تجربة و أكثر سـياسة و أكبر سـنا، ولو طبقنا مبدأ معاوية هذا فى أية دولة، قديما أو حديثا، لكان معناه أن أقدم موظفى الدولة، أولى برياسـتها من صاحب الحق الشـرعى فيها، و لكان أكبر المواطنين سنا أولى بالملك من غيره، و هذا ما لم يقل به أحد، فضـلا عن أن الامام الحسن يتمتع بصـفات ليس لمعاوية منها نصيب، و لعل المتحذلقين و الكارهين لذرية النبى صلى الله عليه و سلم و آل بيته الطارهين، يتذكرون الأحاديث الشـريفة التى رويت عن النبى صلى الله عليه و سلم فى حق الامام الحسن، فهو ابن النبى، و هو السيد، و هو امام ان قام أو قعد، ثم ان أسلوب معاوية المعروف من استمالة الناس بالأموال و اغرائهم

[صفحه ۵۸]

بالمناصب، انما يريـد أن يطبقه حتى مع الامام الحسن فهو يعرض عليه الأمر من بعده، ثم له ما شاء من مال العراق بالغا ما بلغ، و خراج أى كور العراق بعد ذلك ثم الأمان لنفسه و أهله، و ألا تقضـى الأمور بدونه، و ألا يعصى فى أمر يريد به طاعة الله، الأمر الذى لم يف به معاوية حين وصل الى الملك و السـلطان، كما سـنرى من هذه الدراسة، لأن هدف معاوية انما كان اقامة ملك يورثه لمن بعده من آل أبى‌سـفيان، حتى و ان أدى ذلك الى محاربـة آل بيت النبى صـلى الله عليه و سـلم و مقتل الآلاف من المسـلمين، بل مذبحـة دنيئة يقوم بها ولده من بعده، يكاد يقضـى فيها على ذرية رسول الله صـلى الله عليه و سـلم، ثم تسـتباح بعد ذلك مدينة رسول الله صـلى الله عليه و سلم ثم بلد الله الحرام مكة المكرمة.

و على أى حـال، فان معاويـة سـرعان ما بـدأ يتصل بزعماء العراق من الطامعين فى دنياه، و أخـذ يمنيهم بالمال و الولايـة، فلما استيقن منهم، فضـلا عن انقطاع الأمل فى اجابـة الامام الحسن له، أرسل اليه رسالـة، ربما كانت أقرب الى التهديد و الوعيد، منها الى الرجاء و الأمـل، حامـل فيهـا أن يحـذره من الخلاـف عليه، و يمينه بالخلاـفه من بعـده، ان تنـازل له عن الأمر، و قـد جاء فيها «أما بعـد، فان الله عزوجل، يفعل فى عباده ما يشاء لا معقب لحكمه و هو سـريع الحساب»، فاحذر أن تكون منيتك على يد رعاع من الناس، و ايئس من أن تجـد فينا غميزة، و ان أنت أعرضت عما أنت فيه و بايعتنى وفيت لك بما وعـدت، و أجزت لك ما شـرطت... ثم الخلافة لك من بعـدى، فأنت أولى الناس بها، و السـلام» غير أن الامام الحسن لم يكترث بتهديـده، فكتب اليه يقول «أما بعـد، فقـد وصل الى كتابك تـذكر فيه مـا ذكرت، و تركت جوابـك خشـية البغى عليك، و بالله أعوذ من ذلك، فاتبع الحق تعلم أنى من أهله، و على اثم أن أقول

فأكذب، و السلام».

و كانت هـذه آخر الرسائل بين الامام الحسن و معاوية، و على أثرها علم معاوية أن وسائله المعروفة لا تجدى، و أن مغالطاته السياسـية لا تنفع، و أن الامام الحسن مصمم على حربه، فاتجه الى هذا الطريق، بل استعجل

[صفحه ۵۹]

الحرب، لأنـه اتصـل اتصالاـ وثيقـا بمرضـى القلوب من زعمـاء العراق و رؤسـاء القبائـل، و مناهم بالوظائف و أغـدق عليهم من أموال المسـلمين، فأجابوه سرا الى تنفيذ منذ بيعة الامام الحسن فى اقامة جسر بين الكوفة و دمشق، و كان حزب النفعيين هذا أقساما، فالحزب الأـموى، و على رأسه، عمرو بن حريث، و عمـارة بن الوليـد بن عقبـة، و حجر بن عمرو، و عمر بن سـعد بن أبى‌وقـاص، و أبوبردة بن أبى‌موسـى الأشـعرى، و اسـماعيل و اسـحاق ابنا طلحة بن عبيدالله، فكتبوا الى معاوية بالسـمع و الطاعة فى السر، و استحثوه على المسير نحوهم، و ضـمنوا له تسـليم الحسن اليه عنـد دنوهم من عسـكره أو الفتك به، و يقول المسـعودى: ان أكثرهم أخـذوا يكاتبون معاوية سرا، و يتبرعون له بالمواعيـد، و يتخـذون عنـده الأيادى، و جاء فى «علل الشـرائع» أن معاويـة دس الى عمرو بن حريث و الأشـعث بن قيس و حجار بن أبحر و شـبث بن ربعى، دسـيسة، و آثر كل واحد منهم بعين من عيونه: أنك اذا قتلت الحسن فلك مائة ألف درهم، و جنـد من أجنـاد الشـام، و بنت من بنـاتى، فبلغ الحسن ذلـك فاسـتلأم (لبس الأمـة) و لبس درعـا و كفرها، و كان يحترز و لا يتقـدم للصلاة بهم الا كذلك، فرماه أحدهم فى الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من اللأمة».

و هكذا بدأ الاسـتعداد للحرب، و من ثم فقد كتب الى عماله على النواحى رسالة من صورة واحدة، جاء فيها «من معاويه أميرالمؤمنين الى فلان، و من قبله من المسـلمين، سـلام عليكم، فانى أحمـد الله الـذى لا اله الا هو، أما بعد فالحمدلله الذى كفاكم مؤونة عدوكم و قتل خليفتهم، ان الله بلطفه و حسن صـنيعه أتاح لعلى بن أبى‌طالب رجلا من عباده فاغتاله فقتله فترك أصـحابه متفرقين مختلفين، و قد جاءتنا كتب أشـرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسـهم و عشائرهم، فأقبلوا الى حين يأتيكم كتابى هـذا بجهـدكم و جندكم و حسـن عدتكم، فقد أصبتم بحمدالله الصبر، و بلغتم الأمل، و أحل الله أهل البغى و العدوان، و السلام.»

[صفحه ۶۰]

و بـدهى أن فى رسالـة معاويـة هـذه أمورا تلفت النظر، منها أن ينسب معاويـة البغى و العـدوان للامام على، مع أن معاوية و جنوده هم الباغون لقتلهم الصـحابى الجليل عمار بن ياسـر، الذى قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم تقتلك الفئة الباغية»، و منها شماتة معاوية فى قتل الامام على، و قد فعل ذلك من قبل، فكتب الحسن «و قد بلغنى أنك شمت بما لم يشمت به ذوو الحجى»،و قد رد معاوية «لم أفرح و لم أحزن و لم أشـمت و لم آسـى»، و ها هو يعيد الشـماتة مرة أخرى، و هل هناك شـماتة فى الموت؟ و منها جمعه الجموع و تحريضـهم على حرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه و سلم و سبطه، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعلى و فاطمة و الحسن و الحسين، فيما أخرجه الامام أحمد و غيره عن أبى‌هريرة «أنا حرب لمن حاربكم و سلم لمن سالمكم» و قال رسول الله صلى الله عليه و سـلم، عن الحسن و الحسـين، فيما أخرجـة أحمـد و ابن‌ماجـة، عن أبى‌هريرة قال: سـمعت رسول الله صـلى الله عليه و سـلم يقول من أحبهما فقـد أحبنى، و من أبغضـهما فقـد أبغضـنى»، و لست أدرى ماذا يقول أنصار معاويـة فى هـذه الأحاديث الشـريفة و غيرها، و ما حكم من يكون رسول الله حربا عليه، و ما حكم من يبغضه رسول الله صلى الله عليه و سلم؟

خروج الامام الحسن للحرب

وصـل معـاویه بن أبی‌سـفیان بجیشه الجرار الی جسـر منبـج، و هنا علم الامام الحسن بـذلک، فأمر بعض أصـحابه أن ینادی فی الکوفهٔ «الصـلاهٔ جامعـهٔ»، و المراد جمع الناس فی جامع البلـد، فنودی بـذلک، و اجتمع الناس، و اعتلی الامام الحسن المنبر فقال: أما بعد، فان الله کتب الجهـاد علی خلقه، و سـماه کرهـا ثم قال لأهل الجهاد من الؤمنین «و اصبروا ان الله مع الصابرین»، فلسـتم أیها الناس نائلین ما تحبون الا ـ بـالصبر علی ما تکرهون، انه بلغنی أن معاویـهٔ بلغه أنا کنا أزمعنا علی المسـیر الیه فتحرک لـذلک فاخرجوا رحمکم الله الی معسـکرکم بالنخیلـهٔ حتی ننظر و تنظروا و نری و تروا»، لما انتهی الامام من خطابه وجم الحاضـرون و لم یجبه أحـد، و لما رأی «عدی بن حاتم الطائی» ذلک وقف و قال: «أنا ابن‌حاتم، سبحان الله ما أقبح هذا المقام، ألا تجیبون امامکم، و ابن بنت

[صفحه ۶۱]

نبیکم، أین خطباء مضـر، أین الخواضون من أهل المصـر الـذین ألسـنتهم کالمخاریق فی الدعهٔ، فاذا جد الجد فرواغون کالثعالب، أما تخـافون مقت الله، و لا ـ عیبهـا و لا ـ عارهـا» ثم اسـتقبل الحسن بوجهه فقـال: «أصـحاب الله بک المراشـد، و وفقک لما یحمـد ورده و صدره، فقد سـمعنا مقالتک، و انتهینا الی أمرک، و سـمعنا منک و أطعنا فیما قلت و ما رأیت، و هذا وجهی الی معسکری، فمن أحب أن یوافینی فلیوافی»، ثم خرج لوجهه، فخرج من المسـجد و دابته بالباب فرکبه و مضـی الی النخیلهٔ، و أمر غلامه أن یلحقه بما یصلحه، و کان عدی أول الناس عسکرا.

ثم قـام قیس بن سـعد الأنصـاری و معقـل بن قیس الریـاحی، و زیـاد بن صعصـعهٔ التیمی، فأنبوا الناس و لاموهم و حرضوهم، و کلموا الحسن بمثل کلام عـدی بن حاتم فی الاجابـهٔ و القبول، فقال لهم الحسن: صـدقتم رحمکم الله، مازلت أعرفکم بصـدق النیهٔ، و الوفاء بالقول و المودهٔ الصحیحهٔ، فجزاکم الله خیرا، ثم نزل.

و هکـذا خرج الامـام الحسن لرد عـدوان معاویـهٔ، و اسـتخلف من الکوفـهٔ المغیرهٔ بن نوفل بن الحارث بن عبـدالمطلب، ثم أمره بحث الناس علی الجهاد و اشخاصـهم الیه فی النخیلـهٔ، ثم الی «دیر عبدالرحمن» فأقام به ثلاثه أیام لیلتحق به المختلفون من جنده، و رأی أن یرسل مقدمهٔ جیشه للاسـتطلاع علی حال العدو، و اختار فی مقدمهٔ جیشه خلاصهٔ أصـحابه من الباسلین، کان عددهم اثنی عشر ألفا، و أعطی القیـادهٔ العامـهٔ لابن عمه عبیـدالله بن العباس، و أوصاه قائلا: یا ابن العم انی باعث معک اثنی عشـر الفا من فرسان العرب، و قراء المصـر، الرجـل منهم یزیـد الکتیبـهٔ، فسر بهم، و ألن لهم جانبک، و ابسط لهم وجهک، و افرش لهم جناحک و أدنهم من مجلسـک فانهم بقیهٔ ثقات أمیرالمؤمنین علی، و سر بهم علی شظ الفرات ثم امض حتی تستقبل بهم معاویهٔ، فان لقیته فاحتبسه حتی آتیک فانی علی أثرک وشیکا، ولیکن خبرک عندی کل یوم، و شاور هذین قیس بن سعد، و سعید بن قیس، و اذا لقیت معاویهٔ فلا تقاتله

[صفحه ۶۲]

حتی یقاتلک فان فعل فقاتله، و ان أصبت فقیس بن سعد علی الناس، و ان أصیب فسعد بن قیس علی الناس».

علی أن هنـاک خلافـا بین المؤرخین فی عـدهٔ أمور، بشـأن جیش الامام الحسن هـذا، منها سـبب اختیار عبیـدالله بن عباس قائـدا لهـذا الجیش؟ و منها هل فعلا کان عبیدالله هو القائد أم قیس بن سـعد؟ و أما سـبب اختیار عبیدالله بن عباس للقیادهٔ، وفی الجیش أعلام من سرأهٔ الناس و ذوی السوابق والذکریات المجیدهٔ الذین لا یهضـمون الخلق المزهو، و لا الخشونهٔ الآمرهٔ الناهیهٔ فی الفتی الهاشمی الذی لا یزیـدهم کفاءهٔ، و لا یسبقهم جهادا، و لا یفضـلهم تقوی و لا یکبرهم سـنا، فقـد کان عبیدالله وقت ذاک فی التاسـعهٔ و الثلاثین من

عمره، هـذا فضـلا عن وجوه قيس بن سـعد الأنصارى فى هذا الجيش، و هو الرجل المعترف بكفاءته العسـكرية، و باخلاصه الصـحيح لأهل البيت و بأمانته.

و الاجابـة على ذلك، فيما يرى صاحب «صـلح الحسن»، تتلخص فى أسـباب، منها (أولا) أن الامام الحسن عنـدما أراد عبيـدالله للقيادة على المقدمة فرض عليه اسـتشاره قيس بن سـعد، و سعيد بن قيس، كما رأينا، فخرج بذلك من الايثار، ان كان فى ايثاره لعبيدالله تبعة يخاف منها على مصـلحة الموقف، و أصبحت القيادة بذلك شورى بين ثلاثه هم أليق رجال الجيش لها، و منها (ثانيا) أن تقديم قيس بن سـعد على صـاحبيه و على غيرهمـا من صـحابة و زعمـاء، و ايثـاره بالقيـادة وحـده، انمـا كـان وقت ذاك فيه فطنـة لتنافس الأكفاء الآخرين فى الجيش، قيادة وجهادا و سابقة، من أمثال أبى‌أيوب الأنصارى و حجر بن عدى، و عدى بن حاتم الطائى و أضرابهم، و من ثم كان تقديم ابن عم الامام، بل ابن عم رسول الله صـلى الله عليه و سـلم و تعيينه اسما، ثم الافادة من قيس و صاحبه، انما كان تخلصا لبقـا من الامام لا ينبغى الخلاف فيه، و التنافس عليه، و منها (ثالثا) أن صور التخاذل فى قضـية الامام الحسن فى الكوفـة انما أوحت أن يكون قائد جيشه هاشـميا، ثم أنه لن يكون غير عبيدالله بن عباس، أشد حنقا و لا أعنف تأليبا على معاوية منه، كأب قتل ولداه الصبيان صبرا، فيما أملته فاجعة «بسر بن

[صفحه ۶۳]

ارطاة» يوم غارته على اليمن، و من ثم كان اختياره لقتال قاتل ولديه اختيارا مناسبا جدا، و منها (رابعا) أن جيش الامام على عليه‌السلام الـذى أعـده فى الكوفـة لحرب أجنـاد الشـام ثم توفى عنه، انمـا كـان قائـده قيس بن سـعد الأنصارى، و لهـذه السوابق أثرها فى توثيق الشخصـية بين القائد و الجنود، تجعل من السهل على القائد النافذ من جنوده أن يجنح متى شاء الى حرية التصرف، دون اتصال بالقائد الأعلى، و هو ما كان يجب التحفظ منه، فكان من الاحتياط أن يكون القائـد غيره، و أن يكون هو المسـتشار للقائد لكفاءته و دهائه، و هو ما فعله الامام الحسن.

على أن كثيرا من المؤرخين، كالطبرى و ابن‌الأثير و ابن‌كثير، يرون أن قيس بن سـعد الأنصارى هو الذى كان قائد مقدمة جيش الامام الحسن، فـالطبرى يروى عن اسـماعيل بن راشـد فيقول: بـايع النـاس الحسن بن على، عليه‌السـلام، بالخلافـة، ثم خرج بالناس حتى نزل المدائن، و بعث سعد بن قيس على مقدمته فى اثنى عشر ألفا.

هـذا و قـد اختلف المؤرخون كـذلك فى عـدد جيش الامام، فروايـة تذهب الى أن العدد كان عشـرين ألفا، كان جيش المقدمة اثنى عشـر ألفا، ثم أربعـة الآف من متطوعى الكوفة بعد ذلك، ثم الفصائل التى تواردت على الامام فى دير عبدالرحمن، و كل ذلك قرابة عشـرين ألفـا، على أن روايـة أخرى تـذهب الى أنهم أربعـون ألفـا، روى ذلـك الطـبرى و ابن‌الأـثير، كمـا يروى ابن أبى الحديـد عن المسيب بن نجيه أنه قال للحسن عليه‌السـلام: «ما ينقضـى عجبى منك صالحت معاويـة و معك أربعون ألفا»، و الأمر كذلك بالنسـبة لابن‌كثير، غير أن ابن‌قتيبة يروى عن سـليمان بن صـرد قوله للحسن «فان تعجبنا لا ينقضـى من بيعتك معاوية، و معك مائة ألف مقاتل من أهـل الفرق»، و على أى حال، فان الاختلاف فى عـدد الجيش ليس بـذى أهميـة، مهما كان عـدده كبيرا، اذا كان مختلف الأهواء، فلابد أن ينهزم، فالنصر لا يجىء الا بالاخلاص و الايمان و العقيدة و وحدة الكلمة.

[صفحه ۶۴]

و أيا ما كان الأمر، فلقـد خرج عبيـدالله بن عباس، حتى أتى شـينور ثم أتى شاهى، ثم لزم الفرات و الفالوجـة حتى أتى «مسـكن» فأقام

بها، و أصبح أمام العدو وجها لوجه، حیث کان معاویة نزل قریة الحبوبیة بمسکن، و بدأت خیل معاویة تغیر علی جیش عبیدالله الذی نجح فی ردهم الی معسکرهم، و هنا بدأ معاویة فی نشر المخاوف و الأراجیف بین جند عبیدالله، و کانت دسیسته الأولی «أن الحسن یکاتب معاویة علی الصلح، فلم تقتلون أنفسکم»، و تمکن بهذه الوسیلة من الاتصال بعبیدالله و جذبه الیه، فکتب الیه «ان الحسن قد راسلنی فی الصلح، و هو مسلم الأمر الی، فان دخلت فی طاعتی الآن کنت متبوعا، و الا دخلت و أنت تابع، و لک ان أجبتنی الآن أن أعطیک ألف ألف درهم، أعجل لک فی هذا الوقت نصفها، و اذا دخلت الکوفة النصف الآخر» و کما یقول أبوعلم - (نقلا عن مجلة العالم العربی - العدد الثانی السنة ۱۱)- «أن ایمان معاویة بالسفالة البشریة ایمانا لا حد له، و هو ایمان یقوم علی الاعتقاد بأن أقوم الناس خلقا و أشدهم عزما، و أتقاهم فضیلة، قد تستغویه الأطماع و یذله الحرص فی ساعة من ساعات الضعف الذی یطرأ علی النفوس، فی فترة من فترات الشک الذی لا ینفک عن مطاردة الناس، و لا یسلم من غوائه أفاضل الناس و أعالی البشریة»، و فی الواقع فلقد حذر الامام علی زیادا من معاویة، و قال له، فیما یروی ابن الأثیر «و ان معاویة یأتی الانسان من بین یدیه و من خلفه و عن یمینه و عن شماله فاحذر ثم احذر»، و هکذا نجح معاویة فی اغواء الفتی الهاشمی بأبشع صور الخیانة و الحطة و النذالة، ففی غلس اللیل البهیم تسلل عبیدالله الی معاویة و معه بضعة الآف من جنده، دخل دخول المهزوم المخذول الذی یعلم فی نفسه أی اثم عظیم أتاه، و أی عار جلبه علی الهاشمیین، و یری الکثیرون أن فی عنق عبیدالله بن عباس تقع المسئولیة الکبری، لکل ما سیحدث بعد ذلک، فلقد أدی ترکه للجیش الی زعزعة الثقة و تفلل وحداته و اضطرابه، ثم أصبحت البقیة الباقیة فلا تجد من یصلی بها صلاة الصبح، و رحم الله قیس بن سعد الأنصاری الذی قام فصلی بالناس و هدأ من روعهم، و أطفأ بعضا من نار غضبهم

[صفحه ۶۵]

ثم خطبهم فقال «أیها الناس: لا یهولنکم و لا یعظمن علیکم ما صنع هذا الرجل الوله الورع (الجبان)، ان هذا و أباه و أخاه لم یأتوا بیوم خیر قط... و ان هذا ولاه أمیرالمؤمنین علی الیمن، فهرب من بسر بن أرطأة، و ترک ولده، حتی قتلوا، و صنع الآن هذا الذی صنع»، فتنادی الناس «الحمدلله الذی أخرجه من بیننا، فانهض بنا الی عدونا فنهض بهم».

و لا ریب فی أن خذلان عبیدالله بن عباس هذا، انما کان العامل الأساسی فی تفکک الجیش و تخاذله، فلقد طعن الجیش و فتح باب الخیانة و الغدر، و مهد السبیل للکثیرین للالتحاق بمعاویة، و من ثم وجد ذوالنفوس المریضة مجالا واسعا لخیانة الامام، متخذین من غدر عبیدالله وسیلة و مثلا، فهو ابن عم الامام و من أقرب الناس الیه، و لا ریب کذلک فی أن غدر عبیدالله هذا انما کان له فی نفس الامام الحسن و أخیه أشد الحزن و أکبر الأسی، فان عبیدالله لم یرع الدین و لا الوتر و لا الرحم الماسة من رسول الله صلی الله علیه و سلم، و لا من قائده الأعلی، و لا المیثاق الذی واثق الله علیه فی البیعة و لا الخوف من حدیث الناس و نقمة التاریخ، فکان فعله هذا سبة فی جبین بنیالعباس أبدا.

لم یکتف معاویة بغدرة عبیدالله بل زادته مکرا و خدیعة، فبدأ یتلون تلونا مخیفا، فعمد الی سلة أکاذیب یختار منها ما یشاء، ثم یبعث بها الی معسکر الامام، فکان یدس الی معسکره فی المدائن من یتحدث بأن قیسا بن سعد، قد صالح کذلک معاویة، کما صالحه عبیدالله، و فی نفس الوقت الی معسکر قیس من یتحدث بأن الامام الحسن نفسه انما قد صالح معاویة و أجابه، ثم ینشر اشاعة أخری فی معسکر المدائن «ألا ان قیس بن سعد قد قتل فانفروا»، و هکذا بلغ معاویة بفتنته ما أراد، فنفر القوم بسرادق الحسن فنهبوا متاعه، حتی نازعوه بساطا کان تحته، و یقول بعض المؤرخین ان رجلا طعنه فلم یصب منه مقتلا، و ان هذا الرجل کان من أصحابه، غیر أن آخرین یرون أنه کان من الخوارج، و انه قال للامام الحسن و هو یهم به: أشرکت کما أشرک أبوک، فازداد الحسن لهم بغضا، و منهم ذعرا، و دخل المقصورة البیضاء بالمدائن، و کان الأمیر علی

[صفحه ۶۶]

المدائن سعد بن مسعود الثقفی، عم المختار بن أبی‌عبید، فقال المختار، و هو غلام شاب، هل لک فی الغنی و الشرف، قال و ما ذاک، قال: توثق الحسن و تستأمن به الی معاویة، فقال له عمه سعد: علیک لعنة الله، أثب علی ابن بنت رسول الله صلی الله علیه و سلم و أوثقه، بئس الرجل أنت، و هکذا بدأ الامام الحسن یفکر فی الصلح الذی دعاه الیه معاویة، و ان کان علی حد قوله «لیس فیه عز و لا نصفة»، روی ابن‌الأثیر: أن معاویة لما راسل الحسن فی تسلیم الخلافة الیه خطب الحسن الناس فقال: انا والله ما یثنینا عن أهل الشام شک و لا ندم، و انما کنا نقاتل أهل الشام بالسلامة و الصبر، فشیبت السلامة بالعداوة، و الصبر بالجزع، و کنتم فی مسیرکم الی صفین و دینکم أمام دنیاکم و أصبحتم الیوم و دنیاکم أمام دینکم، الا و قد أصبحتم بین قتیلین، قتیل بصفین تبکون علیه، و قتیل بالنهروان تطلبون ثأره، و أما الباقی فخادل، الا و ان معاویة دعانا لأمر لیس فیه عز و لا نصفة، فان أردتم الموت رددناه علیه و حاکمناه الی الله عزوجل بظبی السیوف، و ان أردتم الحیاة قبلناه و أخذنا لکم الرضی، فناداه الناس من کل جانب: البقیة البقیة، و أمضی الصلح».

[صفحه ۶۷]

صلح الامام الحسن

معاویة یطلب الصلح

اختلف المؤرخون، و ما یزالون مختلفین، فیمن بادر بطلب الصلح، أهو الامام الحسن، أم معاویة بن أبی‌سفیان، ففریق یری، و منهم الطبری و ابن‌الأثیر، أن معاویة هو الذی طلب الصلح و أنه أرسل الی الحسن صحیفة بیضاء مختوما أسفلها بختمه، و کتب الیه «أن اشترط فی هذه الصحیفة التی ختمت أسفلها ما شئت فهو لک»، علی أن فریقا آخر یری أن الحسن هو الذی طلب الصلح.

و الرأی عندی أن کلا من الطرفین کان راغبا فی الصلح، غیر أن معاویة هو الذی بدأ بطلب الصلح، اعتمادا علی أمور، منها (أولا) أن الطبری انما یروی أن الامام الحسن، بعد أن زادت الفرقة بینه و بین المتمردین من جنده، کاتب معاویة، و أرسل الیه بشروطه للصلح، و کان معاویة قد أرسل قبل هذا الی الحسن بصحیفة بیضاء مختوم علی أسفلها و کتب الیه أن اشترط فی هذه الصحیفة التی ختمت أسفلها ما شئت فهو لک، هذا الی أن روایة ابن الأثیر لا تختلف عن ذلک، انما تتفق مع الطبری، و ان اختلفت فی بعض ألفاظها، و منها (ثانیا) أن الرسائل التی کانت بین الحسین و معاویة، عقب بیعة الحسن اماما للمسلمین، انما کان کل منها یطلب أن یسمع الآخر له و یطیع، غیر أن رسائل

[صفحه ۶۸]

معاویة انما کانت دائما تعرض علی الحسن الصلح، علی أن یکون له الأمر من بعده، و هذا ما انتهت الیه بعض شروط الصلح، و منها (ثالثا) روایة عمرو بن دینار، کما جاءت فی سیر أعلام النبلاء للذهبی، من أن معاویة کان یعلم أن الحسن أکره الناس للفتنة، فلما توفی علی بعث الی الحسن فأصلح ما بینه و بینه سرا، و اعطاه معاویة عهدا ان حدث به حدث، و الحسن حی، لیسمینه، و لیجعلن هذا

الأمر اليه، و منها (رابعا) روى البخارى عن أبىموسى، قال سمعت الحسن البصرى يقول: استقبل الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص انى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية، و كان و الله خير الرجلين، أى عمرو، ان قتل هؤلاء هؤلاء، و هؤلاء هؤلاء، من لى بأمور الناس، من لى بنسائهم، من لى بضيعتهم، فبعث اليه برجلين من قريش من بنى عبدشمس، عبدالرحمن بن سمرة و عبدالله بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا الى هذا الرجل (أى الحسن) فاعرضا عليه و قولا له و اطلبا اليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلما و قالا له و طلبا اليه، فقال لهما الحسن بن على: انا بنو عبدالمطلب قد أصبنا من هذا المال، و ان هذه الأمة قد عاثت فى دمائها، قالا: فانه يعرض عليك كذا و كذا، و يطلب اليك و يسألك، قال فمن لى بهذا، قالا نحن لك به، فما سألهما شيئا الا قالا: نحن لك به، فصالحه».

اسباب الصلح

لعل من أبرز مناقب الامام الحسن، فيما يقول الأستاذ حسين يوسف، ظهورا، و أبعدها أثرا فى حياته، بل و فى حياة الأمة الاسلامية بأسرها فى ذلك الحين، هو زهده فى الامارة، و كراهيته للعلو فى الدنيا، شأنه فى ذلك شأن أبيه العظيم الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، لم يكن له أى هوى فى تحمل أمر المسلمين، فقد بايعه الناس كما بايعوا أباه من قبل، على غير رغبة منه و رضى، و من ثم فقد سعت اليه الخلافة، و هو الجدير بها، و لم يسع اليها، و اضطر الى قبولها حتى لا يصير أمر الناس الى فوضى، و تظهر عظمة ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى أوجها، و تبرز من أعماق نفسه القوة الكافية فى أروع صورها، حين

[صفحه ۶۹]

دانت له العراق و ما وراءها من خراسان، و اجتمعت له الكتائب أمثال الجبال، كما يروى البخارى، و مع ذلك لم تغلبه نفسه، و لم تفتنه الامارة، و لم تخدعه الدنيا باقبالها و سلطانها، فتنازل عنها لمعاوية، زهدا فيها و كراهية المنازعة عليها، و ما قد يجره ذلك من سفك الدماء، و تفرق الكلمة، حتى أنه ليقول، فيما يروى ابن عبدالله البر فى الاستيعاب «و الله ما أحببت، منذ علمت ما ينفعنى و يضرنى، أن ألى أمر أمة محمد صلى الله عليه و سلم على أن يهراق فى ذلك محجمة دم»، و هكذا كان فى استطاعة الامام الحسن، و هو ينظر الى جيوشه فى الحديد، تقطر أسيافهم جدا و حرصا على قتل أهل الشام، أن تندفع هذه الجيوش فى حرب ضروس ليصبح فى النهاية أميرالمؤمنين و خليفة المسلمين، ولو فعل ما أصابه لوم، فلم يكن أحد على وجه الأرض وقت ذلك، أحق بالخلافة منه، ولكنه لم يفعل، بل قال مستنكرا، فيما يروى ابن‌حجر فى الاصابة، «أضرب هؤلاء بعضهم ببعض فى ملك من ملك الدنيا، لا حاجة لى به».

هذا و يضيف المؤرخون و رجال الحديث الى ذلك أسبابا أخرى، منها (أولا) أن الامام الحسن، كما يقول الدكتور طه حسين، كان رجل صدق، قد كره الفرقة و آثر اجتماع الكلمة، و خاض غمرات الفتنة على كره منه، قاوم الفتنة أيام عثمان، ما وسعته مقاومتها، فلم يخض فيما خاض الناس فيه من حديثها، و لم يشارك فى المعارضة حين عظم الشر، و لو استطاع الحسن لاعتزل الفتنة اعتزالا، كما فعلت تلك المعتزلة من أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم، ولكنه عرف لأبيه حقه عليه، فأقام معه، و شهد مشاهده كلها، على غير حب لذلك أو رغبة منه فيه، و منها (ثانيا) الحديث النبوى الشريف الذى رواه البخارى عن أبى‌بكرة قال:رأيت النبى صلى الله عليه و سلم على المنبر، و الحسن بن على معه، و هو يقبل على الناس مرة، و عليه مرة، و يقول: «ان ابنى هذا سيد، و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»، و قد وقع هذا الحديث الشريف من نفس الامام الحسن موقعا عظيما، و قد ذكره حين ثارت الفتنة، و قد اجتهد عندما حاول أن يشير على والده

[صفحه ۷۰]

الامام على فى مواطن و أوقات متعددهٔ أن يصلح بين هاتين الفئتين من المسلمين فيحقق نبوءهٔ جده المصطفى صلى الله عليه و سلم، و الرأى عندى، بل اليقين، أن هذا الحديث الشريف بالذات انما كان أهم الأسباب التى دفعت الامام الحسن الى قبول الصلح مع معاويهٔ، فقد كان الامام يميل الى السلم بتأثير حديث جده رسول الله صلى الله عليه و سلم الذى أنبأ فيه أن ابنه الحسن سيصلح بين فئتين كبيرتين من المسلمين.

و منها (ثالثا) اختلاف أهل الكوفهٔ و فرقتهم، روى ابن‌الأثير أنه قيل للحسن: ما حملك على ما فعلت (يعنى الصلح) قال: «كرهت الدنيا، و رأيت أهل الكوفهٔ قوما لا يثق بهم أحد الا غلب، ليس أحد منهم يوافق آخر فى رأى و لا هوى، مختلفين لا نيهٔ لهم فى خير و لا شر، لقد لقى أبى منهم أمورا عظاما، فليت شعرى لمن يصلحون بعدى، و هم أسرع البلاد خرابا»، و فى ذلك يقول ابن‌كثير: و أقام أهل العراق الحسن بن على رضى الله عنه ليمانعوا به اهل الشام، فلم يتم لهم ما أرادوا، و انما كان خدلانهم من قبل تدبيرهم و آرائهم المختلفهٔ المخالفهٔ لأمرائهم، و لو كان يعلمون لعظموا ما أنعم الله به عليهم من مبايعتهم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم و سيد المسلمين»، و منها (رابعا) أنه فى الوقت الذى ظل فيه جيش معاويهٔ محتفظا بالولاء لحكومته، منى جيش الامام الحسن بالتفكك و التمرد، كما أن حروب صفين و النهروان قد أضعفت جيش الامام الحسن كثيرا، بخاصهٔ و أنه لم يربح شيئا من العتاد و الأموال فى تلك الحروب، هذا الى جانب فقده لكثير من قياداته من أعلام الاسلام الذين آمنوا بحق أهل البيت و عرفوا فضلهم.

و منها (خامسا) الأثر السيىء الذى تركه استشهاد الامام على فى نفس ولده الحسن، فقد قتل الامام على غير مال احتجبه، و لا سنهٔ فى الاسلام غيرها، و لا ـ حق اختص به دونهم، و كان يعيش بينهم حياهٔ الفقراء، و يسعى جادا فى اقامهٔ العدل، فعمدوا ال اغتياله، و لم يحفظوا له حرمته و لا ـ حرمهٔ رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد رأى الحسن بعد ارتكابهم لهذه الجريمهٔ النكراء أنه يمكن اصلاحهم، فزهد فى ولايتهم، و قد قال «يا أهل العراق، انه سخى بنفسى عنكم ثلاث، قتلكم

[صفحه ۷۱]

أبى، و طعنكم اياى و انتهابكم متاعى»، و منها (سادسا) ما يراه الشيعهٔ، كما يقول ابن أبى الحديد، أن الامام على قد أنبأ ولده الحسن فى أكثر من مرهٔ، أن معاويهٔ لا يموت حتى يملك ما تحت قدميه، و لما عوتب الامام الحسن من أصحابه فى أمر الصلح، قال: «سمعت أبى عليا رحمه الله يقول: سيلى أمر هذه الأمهٔ رجل واسع البلعوم كبير البطن، فسألته من هو، قال معاويهٔ، كذلك تنبأ النبى صلى الله عليه و سلم بملك بنى‌أميهٔ، اذا رآهم فى المنام يعلون منبره واحدا واحدا، فشق ذلك عليه، فأنزل الله سبحانه و تعالى (و ما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنهٔ للناس و الشجرهٔ الملعونهٔ فى القرآن)، كما تنبأ النبى صلى الله عليه و سلم أن ملكهم سيدوم ألف شهر، فأعطى الله النبى ليلهٔ القدر، هى خير من ألف شهر، و منها (سابعا) رغبهٔ الامام الحسن فى حقن دماء المسلمين و عدم اراقتها، و لو فتح باب الحرب مع معاويهٔ لضحى بشيعته و أهل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و يجتث بذلك الاسلام من أصله، و قد صرح عليه‌السلام بذلك فى جوابه عن دوافع صلحه فقال: «انى خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين ناعى»، و قال مرهٔ: «ما أردت بمصالحتى معاويهٔ الا ـ أن أدفع عنكم القتل»، و قال فى المدائن عن الصلح «أيها الناس، ان الأمر الذى اختلفت فيه أنا و معاويهٔ، انما هو حق أتركه لاصلاح أمر الأمهٔ و حقن دمائها».

و منها (ثامنا) ما وصل الى الامام، من أنه ان حارب معاويهٔ فقد يسلمه العراقيون اليه أسيرا، و أغلب الظن أنه لن يقتله، بل يخلى عنه و يسجل لنفسه بذلك مكرمهٔ و فضيلهٔ، و يسدى يدا بيضاء الى كل الهاشميين، و يغسل عن نفسه عار أنه طليق بن طليق، و قد صرح

الامام الحسن بهذه الخاطرة فقال «و الله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقى حتى يدفعونى اليه سليما، و الله لئن أسالمه و أنا عزيز، أحب الى من أن يقتلنى و أنا أسير، أو يمن على فتكون سبة على بنىهاشم الى آخر الدهر، و لمعاوية لا يزال يمن بها هو و عقبه على الحى منا و الميت»، و قد رأينا من قبل كيف حاول المختار بن أبىعبيدة أن يغرى عمه سعد بن مسعود والى المدائن بأن يوثق الحسن و يسلمه لمعاوية فزجره عمه.

[صفحه ۷۲]

و منها (تاسعا) خيانة بعض زعماء جيشه، و اتصالهم السرى بمعاوية، بل و خيانة قائده و ابن عمه عبيدالله بن العباس، لما أشرنا من قبل، و منها (عاشرا) عدم اطمئنان الامام الحسن على حياته بين أهل العراق، حتى وصل الأمر الى الاعتداء عليه، روى ابنسعد عن أبىجميلة أن الحسن لما استحلف حين قتل على رضى الله عنه، بينما هو يصلى اذ وثب عليه رجل من بنىأسد، ء و هو ساجد، فطعنه بخنجر، و يزعمون أن الطعنة وقعت فى وركه فمرض منها أشهر، ثم لما برىء فقعد على المنبر فقال: «يا أهل العراق اتقوا الله فينا فانا أمراؤكم و ضيفانكم، الذين قال الله عزوجل فيهم «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا»، قال فمازال يقول ذلك حتى ما أرى أحد من أهل المسجد الا ـ و هو يحن البكاء، قال هلال: فما سمعت يوما قط أكثر باكيا و مسترجعا من يؤمئذ»، و جمع يوما رؤساء أهل العراق فى قصر البيضاء بالمدائن ثم قال: و استلابكم ثقلى و ازارى عن عاتقى....»

و منها (حادى عشر) أنه قد تبين للامام الحسن أن أنصار معاوية كانوا من أهل الدنيا تلعب الأموال بأهوائهم، قد عرف معاوية علتهم فنثر عليهم الذهب و الفضة نثرا، فوجدوا فى يد معاوية ما يشتهون، و كان معاوية صالحا لأهل الدنيا، و كان أهل الدنيا صالحين لمعاوية، و قد قال عمرو بن العاص: «لا يصلح لهذا الأمر الا رجل له ضرسان يأكل بأحدهما، و يطعم بالآخر»، و قال معاوية «لاستميلن بالدنيا ثقاة على و لأقسمن فيهن الأموال حتى تغلب دنياى آخرته»، أما أنصار الحسن فهم أنصار أبيه الامام على، و قد وصفهم بقوله: «أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة اهواؤهم»، و قد طلب الأمام الحسن خلافة الراشدين، و خاف الله كأبيه فى أموال المسلمين، فلم ينثر على جنوده الأموال نثرا، و انما أراد أن يقاتل الناس معه انتصارا للحق و طلبا للآخرة، فلم يتحمس لذلك الا أهل الصدق و الوفاء، و الحق و الدين، و قليل ما هم، و لقد خذله فى وقت الجد قائد مقدمته و ابن عمه عبيدالله بن العباس، و انضم الى معاوية مع عشرات الألوف من أهل الدنيا، و عبدة الدرهم و الدينار.

[صفحه ۷۳]

و منها (ثانى عشر) أنه استجابة لقدر الله تعالى، و تنفيذا لقضائه سبحانه، و تحقيقا لاخباره صلى الله عليه و سلم بالمعجزة، معجزة «الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا و عضوضا، وافق الامام الحسن على الصلح مع معاوية، و لا ريب فى أن المسلمين جميعا عرفوا و يعرفون دائما و أبدا، أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو الناطق المعصوم، و الصادق الأمين، لا ينطق الا عن وحى، و لا يخبر الا عن حق، و صدق، فاخباره التزام و اعجاز، و بيانه اتيان و اقرار «و ما آتاكم الرسول فخذوه، و ما نهاكم عنه فانتهوا»، و قد أتانا رسول الله صلى الله عليه و سلم و أخبرنا، أن الخلافة بعدى ثلاثون سنة فقط، فلا تكون معجزة له صلى الله عليه و سلم الا بصدق مدتها، و لا يتحقق صدقها الا باثبات دقة وقتها، و مدة الخلافة بعد انتقاله صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأعلى، و منذ أن تولاها أبوبكر الصديق رضى الله عنه ثم عمر ثم عثمان على، رضى الله عنهم أجمعين، و حتى آخر لحظة من حياة الامام على، انما هى تسعة و عشرين سنة، بضعة أشهر، ثم تكون المدة التى قضاها الامام الحسن فى الخلافة حتى وقت صلحه انما هى تتمة «الخلافة بعدى

ثلاثون سنة»، و على حد تعبير ابن‌خلكان «و كانت آخر ولاية الحسن تمام ثلاثين سنة من أول خلافة أبی‌بكر الصديق، رضى الله عنهما، و روى الطبرى عن معاذ بن جبل و أبی‌عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «ان هذا الأمر بدأ رحمة و نبوة، ثم يكون رحمة و خلافة، ثم كائن ملكا غضوضا، ثم كائن عتوا و جبرية، و فسادا فى الأرض، يستحلون الحرير و الفجور و الخمور، و يرزقون على ذلك و ينصرون حتى يلقوا الله عزوجل» (رواه أبوداود الطيالسى، و ابن‌كثير و قال اسناده جيد).

و أما دوافع معاوية للصلح فكثير، منها (اولا) أنه كان يرى أن الامام الحسن، عليه‌السلام، انما هو صاحب الحق فى الأمر، و لا سبيل الى اقتناص هذا الأمر الا عن طريق اسكات الحسن بالصلح، و هناك الكثير من الأدلة على اعتقاده فى أحقية الحسن بخلافة المسلمين، من ذلك قوله مراسلاتهم «انك أولى بهذا الأمر، و أحق به»، و قوله مرة لابنه يزيد من أهل البيت «يا بنى ان الحق حقهم» كما كان يعترف للحسن بأنه «سيد المسلمين»، و هل سيد المسلمين الا

[صفحه ۷۴]

امامهم، و منها (ثانيا) أن معاوية انما كان يتظاهر فى حروبه ضد الامام على بأنه انما يطالب بالقصاص من قتلة عثمان، غير أن هذه الحجة لا- يمكن قبولها مع الحسن، الذى اشتهر بأنه قاوم الفتنة ما وسعته مقاومتها أيام عثمان، فلم يخض فيما خاض الناس فيه من حديثها، و لم يشارك من المعارضة حين عظم الشر، و كان على رأس الذين أسرعوا الى دار عثمان فقاموا دون الخليفة يريدون حمايته، بينما لم يفعل معاوية شيئا للدفاع عن عثمان، رغم أنه كان يملك كل وسائل الدفاع عنه، هذا فضلا عن أن كثيرين انما وصفوا الحسن بأنه كان عثمانيا، و أن حزنه لم يفارقه على عثمان بعد استشهاده، و منها (ثالثا) أن معاوية، على كثرة الوسائل الطيعة لأمره، كان شديد التوجس من نتائج حربه مع الحسن، و لم يكن كتوما حين وصف خصومه العراقين «فوالله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين الا لبس على عقلى»، و يوم قال «ما لهم غضبهم الله بشر ما قلوبهم الا كقلب رجل واحد» و من ثم فقد كان يرى الصلح وسيلته لعدم منازلتهم.

و منها (رابعا) أن معاوية كان يهاب موقع الامام الحسن من جده رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد قال فيه النبى صلى الله عليه و سلم ما قال، فهو ابن رسول الله و سبطه، و هو سيد المسلمين و أحد سيدا شباب أهل الجنة، هذا فضلا عن مكانة فريدة للحسن من الناس، و مقام روحى أعظم من العقيدة الاسلامية، و كفى الامامان الحسن و الحسين أن يعلن صلى الله عليه و سلم للناس كافة أن حبهما من حبه، و بغضهما من بغضه، أخرج الامام أحمد و ابن‌ماجه عن أبی‌هريرة بسنده أنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: من أحبهما فقد أحبنى، و من أبغضهما فقد أبغضنى»، و أخرج الترمذى عن عبدالرحمن بن أبى نم قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ان الحسن و الحسين هما ريحانتاى من الدنيا»، و منها (خامسا) أن معاوية كان قد حبس أهل الشام على التعرف على أحد من كبار الصحابة، خارج الشام، حتى لا يتعرفوا على فضائل أهل البيت، و قرابتهم القريبة من رسول الله صلى الله عليه و سلم، حتى روى المسعودى أن عبدالله بن على العباسى نزل الشام بعد مقتل مروان آخر حكام بنى‌أميه عام

[صفحه ۷۵]

۱۳۲ ه، و وجه الى السفاح بعض أرباب النعم و الرياسة من سائر أجناد الشام، فحلفوا لأبى العباس السفاح أنهم ما علموا لرسول الله صلى الله عليه و سلم قرابة و لا أهل بيت يرثونه غير بنى‌أمية حتى و ليتم الخلافة»، و رغم كل هذا التجهيل لأهل الشام فقد كان معاوية يخشى أن يقيض الله لمعسكر الشام من ينبههم الى حقيقة أمر الامام الحسن و قرابته لرسول الله صلى الله عليه و سلم فتستيقظ ضمائرهم

و ينقلبون عليه، و قد كان معاوية يتذكر دائما ما قاله له النعمان بن جبله فى صفين، فيما يروى المسعودى، «و الله لقد نصحتك على نفسى، و آثرت ملكك على دينى، و تركت لهواك الرشد و أنا أعرفه، وحدت عن الحق و أنا أبصره، و ما وفقت لرشد، و أنا أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم و أول مؤمن به و مهاجر معه، ولو أعطيناه ما أعطيناك، لكان أرأف بالرعية و أجزل من العطية، ولكن بذلنا لك الأمر، و لابد من اتمامه، كان غيا أو رشدا و حاشا أن يكون رشدا، و سنقاتل عن تين الغوطة و زيتونها، اذ حرمنا أثمار الجنة و أنهارها»، و هكذا خوفا من أن يتكرر ذلك، و يعرف غير النعمان ما لآل بيت النبى صلى الله عليه و سلم من حق و فضل، كان الصلح لمعاوية خيرا.

و منها (سادسا) كان يقصد من وراء الدعوة للصلح على ظاهرها التمهيد لغده القريب الذى ستكشف عنه نتائج الحروب بينه و بين الحسن، و كان أحد الوجهين المحتلين أن يدال للشام من الكوفة، و أن تقضى الحروب و ذيولها على الحسن و الحسين و على من معهما من أهل البيت و شيعتهما، و لا تدبير يومئذ للعذر من هذه البائقة الكبرى أروع من أن يلقى معاوية مسئوليتها الامام الحسن نفسه فيقول للناس «انى دعوت الحسن للصلح ولكنه أبى الا ـ الحرب، و كنت أريد له الحياة، ولكنه أراد لى القتل، و أردت حقن الدماء ولكنه أراد هلال الناس بينى و بينه»، و لعل من سخرية القدر أن ما كان يخشاه معاوية، فعله ولده الفاجر يزيد فى مذبحة كربلاء التى راح ضحيتها جل آل البيت و على رأسهم الامام الحسين و ولده على الأكبر، و عبدالله و القاسم و أبوبكر من أبناء الامام الحسن، هذا الى جانب خمسة من أبناء الامام على، غير الامام الحسين.

[صفحه ۷۶]

شروط الصلح

اختلف الباحثون فى شروط الصلح التى ثم بمقتضاها تنازل الامام الحسن عن الأمر لمعاوية بن أبى‌سفيان، فلقد ذكر الشعرانى فى كشف الغمة، و ابن‌حجر فى الصواعق أن جماعة من المؤرخين ذكروا نص وثيقة الصلح التالية: هذا ما صالح عليه الحسن بن على بن أبى‌طالب، معاوية بن أبى‌سفيان، صالحة على أن يسلم اليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و سيرة الخلفاء الصالحين، و ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، و على أن الناس آمنون حيث كانوا فى أرض الله فى شامهم و عراقهم و حجازهم و يمنهم،ء على أن أصحاب على و شيعته آمنون على أنفسهم و أموالهم و نسائهم و أولادهم، و على معاوية بن أبى‌سفيان عهد الله و ميثاقه، و ما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء، و بما أعطى الله على نفسه، و على ألا ـ يبغى للحسن بن على، و لأخيه الحسين بن على، و لا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم غائلة سرا و لا جهرا، و لا يخيف أحد منهم فى أفق من الآفاق، شهد عليه فلان ابن فلان...، و كفى بالله شهيدا».

على أن فريقا آخر من الباحثين، انما يفرق بين شروط الامام الحسن، و شروط معاوية، أما شروط الحسن فيرونها كالتالى: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن على معاوية بن أبى‌سفيان، صالحه على أن يسلم اليه ولاية المسلمين، على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و سيرة الخلفاء الصالحين، و على أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده عهدا، بل تكون الخلافة للحسن من بعده، أو أن يكون الأمر شورى بين المسلمين، و على أن الناس آمنون حيث كانوا فى أرض الله تعالى، فى شامهم و عراقهم و أموالهم و نسائهم و أولادهم حيث كانوا، فلا يتعرض لأحد منهم بسوء، و على أن لا ينبغى للحسن بن على، و لا لأخيه الحسين، و لا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم غائلة سرا و لا جهرا، و لا يخيف أحد منهم فى أفق من الآفاق، و على أن يوصل لكل ذى حق حقه، و على أن يوفر للحسن حقا قدره خمسون ألف ألف درهم فى كل سنة، و على

[صفحه ۷۷]

أن یقضی له جمیع دیونه، و علی أن لا یطالب أهل الحجاز و العراق بشیء مما کان أیام أبیه، و علی أن یعطیه ما فی بیت مال الکوفة و هو خمسة الآف ألف درهم، و علی أن یکون له خراج دار أبجرد بفارس أو کورین من کور البصرة، و علی معاویة بذلک عهد الله میثاقه، شهد علیها، عبدالله بن الحارث و عمرو بن سلمة و غیرهما، و کفی بالله شهیدا».

و أما شروط معاویة للامام الحسن فهی: لک (أی للحسن) الخلافة من بعدی، فأنت أولی الناس بها، و لک بذلک عهد الله و میثاقه و ذمته و ذمة رسوله صلی الله علیه و سلم و أشهد ما أخذه الله علی أحد فی خلقه من عهد و عقد، و لک (أی للحسن) ما فی بیت مال العراق من مال بالغا ما بلغ، تحمله الی حیث شئت، و لک خراج أی کور العراق شئت، معونة علی نفقتک، یجبیها أمینک، و یحملها الیک فی کل سنة، و علی أن لا یستولی علیک بالاساءة، و لا أبغیک غائلة و لا مکروها و لک ألا تقضی الأمور دونک، و أن یتبع أحدا بما مضی بالسب أو القذف، و أن لا تعصی فی أمر أردت فیه طاعة الله و أن لا یذکر علی الا بخیر، و أن تکون الولایة للحسین، و ان حدث بنا حدث، و لک (أی للحسن) خراج دار الحرب من أرض فارس، و خراج أبجرد أیضا، و لک فی کل سنة خمسون ألف ألف درهم».

و انطلاقا من کل هذا، فیمکن اجمال شروط الصلح فی النقاط التالیة:

۱ - تسلیم الأمر لمعاویة علی أن یعمل بکتاب الله و سنة رسوله صلی الله علیه و سلم و سیرة الخلفاء الصالحین.

۲ - لیس لمعاویة أن یعهد بالأمر لأحد من بعده و انما الأمر من بعده للحسن، فان حدث به حدث فالأمر للحسن، و فی روایة ابن أبی‌خیثمة أن الحسن سار فی أهل العراق، و سار معاویة فی أهل الشام، فلما التقوا کره الحسن القتال، و بایع معاویة علی أن یجعل العهد لأخیه الحسین من بعده، و روی ابن‌حجر فی الاصابة عن ابن‌شوذب قال: «لما قتل علی سار الحسن فی أهل العراق، و معاویة فی أهل الشام، فالتقوا فکره الحسن القتال، و بایع معاویة علی أن یجعل العهد له من بعده»، و روی ابن عبدالبر فی الاستیعاب، أنه لا خلاف بین العلماء أن الحسن انما

[صفحه ۷۸]

سلم الخلافة لمعاویة فی حیاته لا غیر، ثم تکون له من بعده، و علی ذلک انعقد بینهما ما انعقد من ذلک، و رأی الحسن ذلک خیرا من اراقة الدماء فی طلبها، و ان کان نفسه أحق بها»، و قد تعهد معاویة فی شروطه التی شرطها علی نفسه بأن الخلافة من بعده للحسن، فهو أولی الناس بها، و للحسن بذلک عهد الله و میثاقه و ذمته و ذمة رسوله صلی الله علیه و سلم و أشد ما أخذه الله علی أحد من خلقه فی عهد و عقد.

۳ - الأمن العام للناس جمیعا، حیث کانوا فی أرض الله.

۴ - أن یترک معاویة سب أمیرالمؤمنین الامام علی و أن لا یذکره الا بخیر.

۵ - الأمن العام لشیعة أمیرالمؤمنین علی، و أنهم آمنون علی أنفسهم و اموالهم و نسائهم و أولادهم حیث کانوا، فلا یتعرض معاویة لأحد منهم بسوء.

۶ - أن یوصل معاویة لکل ذی حق حقه.

۷ - أن یفرق الحسن فی أولاد من قتل مع أبیه فی یوم الجمل و صفین ألف ألف درهم من خراج دار أبجرد، و أن یعطی معاویة

للامام الحسن ما فی بیت مال الکوفهٔ، و یقضـی عنه دیونه، و أن یدفع الیه فی کل عام خمسـین ألف ألف درهم، و أن یکون له خراج دار أبجرد بفارس أو کورین من کور البصرهٔ.
غیر أن هـذه الشـروط لم تنفـذ، أو لم یف معاویـهٔ بمعظمهـا، روی أبوالفرج، و هو أموی، فی «مقاتل الطالبیین» عن عمرو بن ثابت عن أبی‌اسـحاق قال: سـمعت معاویهٔ بالنخیلهٔ یقول: ألا ان کل شـیء أعطیته الحسن بن علی، تحت قدمی هاتین، لا أفی به، قال أبواسحاق: «و کان و الله غدارا» و علی أی حال، فان معاویهٔ لم یف بشروطه، من غیر شرط المال، فأما شرط خلافهٔ الحسن له (ثم الحسین ان مات الحسن فی حیاهٔ معاویهٔ، علی رأی بعض الروایات) فلم یف به معاویهٔ فیما بعد، حیث أوصی بعد ذلک بالخلافهٔ لابنه یزید، علی الرغم ممـا اشـتهر عنه من أمور لا تتفق و شأن خلافـهٔ المسـلمین و امامتهم، وقـد أحاطت الشـبهات حول اشتراکه فی سم الامام الحسن، الأمر الذی سـنناقشه فی مکانه من هذه الدراسهٔ، و أما شـرط الأمان لأنصار الامام علی فی أنفسهم و أموالهم و نسائهم و أنبائهم، فلم یف به کذلک، فلقد أساء کثیرا الی أنصار الامام علی و مریدیه فأخاف البعض

[صفحه ۷۹]

و سـجنهم، وروع الآخرین و شـردهم، بل و تمادی فی التشـفی فقتل بعضـهم، و لأول مرهٔ فی الاسلام، صبرا، و الأمثلهٔ علی ذلک أکثر من أن تحصـی، نذکر منها، علی سبیل المثال، محمد بن أبی‌حذیفهٔ و عبدالله بن هاشم المرقال، و عبدالله بن خلیفهٔ الطائی، و صعصـعهٔ بن صوحان، و عدی بن حاتم الطائی، ثم الصحابی الجلیل حجر بن عدی و أصحابه، و أما سب الامام علی علی منابر المسلمین، فتلک بدعـهٔ سـیئهٔ بـدأها معاویـهٔ، و اسـتمرت طول عهـد بنی‌أمیـهٔ، ما عدا عهد عمر بن عبدالعزیز، روی ابن الأثیر أن الامام الحسن طلب من معاویهٔ أن لا یشـتم علیا، فلم یجبه الی الکف عن شـتم علی، فطلب أن لا یشـتم و هو یسـمع، فأجابه الی ذلک ثم لم یف له به أیضا، و أما خراج دار أبجرد، فان أهل البصرهٔ منعوه منه (أی الحسن) و قالوا: و هو فیئنا لا نعطیه لأحد، و کان منهم بأمر معاویهٔ أیضا».

مکان الصلح و زمانه

اختلف المؤرخون فی مکان الصـلح، و زمانه، الا أن أرجـح الآراء أنه تم فی «مسـکن» بناحیـهٔ الأنبار، أو فی المدائن، و ان رآه البعض فی القدس أو فی أذرح، و أما متی تم الصـلح، فقد ذهبت آراء الی أن ذلک انما کان عام ۴۰ ه، غیر أن أرجح الأراء أنه کان فی ربیع الأول عام ۴۱ ه، و ربما فی جمادی الأول عام ۴۱ ه، روی ابن عبدالبر فی «الاستیعاب فی معرفهٔ الأصـحاب» أن الحسن مکث نحوا من ثمانیهٔ أشـهر، لا یسـلم الأمر الی معاویهٔ، و حج بالناس فی تلک السـنهٔ، سنهٔ أربعین للهجرهٔ، المغیرهٔ بن شعبهٔ، من غیر أن یؤمره أحد، و کـان بالطائف، و سـلم الأمر الحسن الی معاویـهٔ فی النصف من جمادی الأولی من سـنهٔ احـدی و أربعین للهجرهٔ (۶۶۱ م) فبایع الناس معاویـهٔ حینئـذ، و معاویهٔ یومئذ ابن ست و ستین الا شـهرین، و هذا أصح ما روی عن عام الجماعهٔ، و علیه أکثر أهل هذه الصـناعهٔ من أهل السیر و العلم بالخیر، و کل من قال ان الجماعـهٔ کانت سـنهٔ أربعین فقد و هم و لم یقل بعلم، و الله أعلم، و لم یختلفوا أن المغیرهٔ حج عام أربعین، علی ما ذکر أبومعشر، و لو کان لاجماع علی معاویهٔ قبل ذلک لم یکن کذلک، و الله أعلم.
و یذهب ابن‌الأثیر و الطبری الی أن المغیرهٔ بن شعبه حج بالناس عام ۴۰ ه،

[صفحه ۸۰]

یعنی من العام الذی قتل فیه علی، علیه‌السـلام، فقد کتب المغیرهٔ بن شـعبهٔ کتابا افتعله علی لسان معاویهٔ، فأقام الناس الحج سنهٔ أربعین،

و یقال انه عرف یوم الترویهٔ، و نحر یوم عرفهٔ، خوفا أن یفطن بمکانه، و قد قیل انه انما فعل ذلک المغیرهٔ لأنه بلغه أن عتبهٔ بن أبی‌سفیان مصبحه والیا علی الموسم، فعجل الحج من أجل ذلک.

دخول معاویهٔ الکوفهٔ

اتفق الامام الحسن علیه‌السلام، و معاویهٔ بن أبی‌سفیان، علی أن یعلنا الصلح رسمیا فی الکوفهٔ، روی الطبری أن الحسن بن علی، علیه‌السلام، سلم الی معاویهٔ الکوفهٔ فدخلها معاویهٔ لخمس بقین من ربیع الأول، و یقال فی جمادی الأولی سنهٔ احدی و أربعین للهجرهٔ، و هناک فی النخیلهٔ، علی مشارف الکوفهٔ، خطب معاویهٔ، فقال، فیما یروی الشعبی، «ما اختلفت أمهٔ بعد نبیها، الا ظهر أهل باطلها علی أهل حقها، ثم انه انتبه فندم، فقال: «الا هذه الأمهٔ فانها، و انها»، و روی عن عمرو بن ثابت عن أبی‌اسحاق، قال: سمعت معاویهٔ بالنخیلهٔ یقول: ألا ـ ان کل شیء أعطیته الحسن بن علی، تحت قدمی لا ـ أفی به، قال أبواسحاق: و کان و الله غدارا» و روی الطبری و أبوالفرج بسنده عن سعید بن سویدان أنه قال: صلی بنا معاویهٔ بالنخیلهٔ الجمعهٔ فی الصحن، ثم خطبنا فقال «انی و الله ما قاتلتکم لتصلوا، و لا لتصوموا لا لتحجوا، و لا لتزکوا، انکم لتفعلون ذلک، و انما قاتلتکم لأتأمر علیکم، و قد أعطانی الله ذلک، و أنتم کارهون، قال شریک فی حدیثه هذا هو التهتک»، و روی بسنده عن حبیب بن أبی‌ثابت قال: لما بویع معاویهٔ خطب، فذکر علیا، فنال منه، و نال من الحسن، فقام الحسین لیرد علیه، فأخذ الحسن بیده فأجلسه، ثم طلب معاویهٔ من الحسن أن یعتلی منصهٔ الخطابهٔ لیبین للناس تنازله عن الأمر، فقام الامام الحسن فحمد الله و أثنی علیه بما هو أهل له، ثم صلی علی سیدنا رسول الله صلی الله علیه و سلم ثم قال:

«أما بعد، فوالله انی لأرجو أن أکون قد أصبحت بحمد الله و منه، و أنا

[صفحه ۸۱]

أنصح خلق الله لخلقه، و ما أصبحت محتملا علی مسلم ضغینهٔ و لا مریدا له سوءا و لا غائلهٔ، ألا و ان ما تکرهون فی الجماعهٔ خیر لکم مما تحبون فی الفرقهٔ، ألا ـ و انی ناظر لکم خیرا من نظرکم لأنفسکم، فلا ـ تخالفوا أمری و لا ـ تردوا علی رأی، غفر الله لی ولکم، و أرشدنی و ایاکم لما فیه المحبهٔ و الرضا، ثم قال: قد علمتم أن الله هداکم بجدی محمد صلی الله علیه و سلم، فأنقذکم به من الضلالهٔ، و رفعکم به من الجهالهٔ، و أعزکم به بعد المذلهٔ، و کثرکم به بعد القلهٔ، ان معاویهٔ نازعنی حقا هو لی دونه، فنظرت لصلاح الأمهٔ، و قطع الفتنهٔ، و قد کنتم بایعتمونی علی أن تسالمون من سالمت، و تحاربون من حاربت، فرأیت أن أسالم معاویهٔ و أضع الحرب بینی و بینه، وقد بایعته، و قد رأیت أن أحقن الدماء خیر من سفکها، و لم أرد بذلک الا صلاحکم و تقاءکم «و أن أدری لعله فتنهٔ لکم و متاع الی حین»، ان معاویهٔ زعم لکم أنی رأیته للخلافهٔ أهلا، و لم أر نفسی لها أهلا، و نحن أولی الناس فی کتاب الله عزوجل، و علی لسان نبیه صلی الله علیه و سلم، و لم نزل أهل البیت، مظلومین منذ قبض الله نبیه صلی الله علیه و سلم فالله بیننا و بین من ظلمنا، ثم قال «فوالذی بعث محمدا صلی الله علیه و سلم بالحق، لا ینقص من حقنا أهل البیت أحد، الا نقصه الله فی عمله، و لا تکون علینا دولهٔ الا و تکون لنا العافیهٔ، و لتعلمن نبأه بعد حین».

ثم التفت الامام الحسن الی معاویهٔ، فرد علیه سبه لأبیه، فقال له: أیها الذاکر علیا، أنا الحسن و أبی علی، و أنت معاویهٔ و أبوک صخر، و أمی فاطمهٔ و أمک هند، و جدی رسول الله صلی الله علیه و سلم و جدک عتبهٔ بن ربیعهٔ، و جدتی خدیجهٔ، و جدتک قتیلهٔ، فلعن الله أخملنا ذکرا، و ألأمنا حسبا، و شرنا قدیما و حدیثا، و أقدمنا کفرا و نفاقا»، فقال، طوائف من أهل المسجد: آمین، قال فضل: فقال یحیی بن معین، و نحن نقول آمین، قال أبوعبید: و نحن نقول آمین، قال أبوالفرج: و أنا أقول آمین، و کاتب هذه السطور یقول: آمین

آمین آمین.

و روی ابن عبدالبر فی الاستیعاب بسنده عن ابن‌شهاب قال: لما دخل معاویة الکوفة حین سلم الأمر الیه الحسن بن علی، کلم عمرو بن العاص،

[صفحه ۸۲]

معاویة، أن یأمر الحسن بن علی، فیخطب الناس، فکره ذلک معاویة و قال: لا حاجة بنا الی ذلک، فقال عمرو ولکنی أرید ذلک لیبدو عیه، فانه لا ـ یدری هذه الأمور ما هی، و لم یزل بمعاویة حتی طلب من الحسن أن یخطب، و قال له: قم یا حسن، فکلم الناس فیما جری بیننا، فقام الحسن فتشهد، و حمد الله و أثنی علیه ثم قال فی بدیهته: أما بعد، أیها الناس، فان الله هداکم بأولنا، و حقن دماءکم بآخرنا، و ان لهذا الأمر مدة، و الدنیا دول، و ان الله عزوجل یقول (و ان أدری أقریب أم بعید ما توعدون، انه یعلم الجهر من القول و یعلم ما تکتمون، و ان أدری لعله فتنة لکم و متاع الی حین)، فلما قالها له معاویة: اجلس، فجلس، ثم قام معاویة فخطب الناس، ثم قال لعمرو: هذا من رأیک (یعنی ما قاله الامام الحسن)، هذا و روی ابن عبدالبر کذلک عن الشعبی قال: لما جری الصلح بین الحسن بن علی و معاویة، قال له معاویة: قم فاخطب الناس و اذکر ما کنت فیه، فقام الحسن فخطب فقال: الحمدلله الذی هدی بنا أولکم، و حقن بنا دماء آخرکم، ألا ان أکیس الکیس التقی، و أعجز العجز الفجور، و ان هذا الأمر الذی اختلفت فیه أنا و معاویة، اما أن یکون کان أحق به منی، و اما أن یکون حقی فترکته لله، و لاصلاح أمة محمد صلی الله علیه و سلم و حقن دمائهم، ثم التفت الی معاویة فقال: (و ان أدری لعله فتنة لکم و متاع الی حین) ثم نزل، فقال عمرو لمعاویة: «ما أدرت الا هذا»، و روی أبوالفرج بسنده عن اسماعیل بن عبدالرحمن: أن معاویة أمر الحسن أن یخطب، و ظن أنه سیحصر، فقال فی خطبته «انما الخلیفة من سار بکتاب و سنة نبیه صلی الله علیه و سلم، و لیس الخلیفة من سار بالجوار، ذلک ملک ملک ملکا، یمتع به قلیلا، ثم تنقطع لذته و تبقی تبعته (و ان أدری لعله فتنة لکم و متاع الی حین).

و أخرج ابن‌عساکر و الیعقوبی بسنده قال: خطب الحسن رضی الله عنه حینما قال له معاویة بعد الصلح، اذکر فضلنا، فقام فحمدالله و أثنی علیه، و صلی علی محمد النبی و آله، ثم قال: من عرفنی فقد عرفنی، و من لم یعرفنی، فأنا الحسن بن رسول الله، أنا ابن البشیر النذیر، أنا ابن المصطفی

[صفحه ۸۳]

بالرسالة، أنا ابن من صلت علیه الملائکة، أنا ابن من شرفت به الأمة، أنا ابن من کان جبریل السفیر من الله الیه، أنا ابن من بعث رحمة للعالمین، صلی الله علیه و آله أجمعین»، فلم یقدر معاویة أن یکتم عداوته و حسده فقال: یا حسن علیک بالرطب فانعته لنا، قال نعم یا معاویة: الریح تلفحه و الشمس تنفخه، و الحر ینضجه و اللیل یبرده، ثم أقبل علی منطقه فقال: أنا ابن المستجاب الدعوة، أنا ابن من کان من ربه کقاب قوسین أو أدنی، أنا ابن مکة و منی، أنا ابن من خضعت له قریش رغما، أنا ابن من سعد تابعه و شقی خاذله، أنا ابن من جعلت الأرض له طهورا و مسجدا، أنا ابن من کانت أخبار السماء الیه تتری، أنا ابن من أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهیرا، فقال معاویة أظن نفسک یا حسن تنازعت الی الخلافة، فقال الامام الحسن: ویلک یا معاویة انما الخلیفة من سار بسیرة رسول الله صلی الله علیه و سلم و علم بطاعة الله، و لعمری انا لأعلام الهدی، و منار التقی، ولکنک یا معاویة ممن أبار السنین و أحیاء البدع، و اتخذ عباد الله خولا، و دین الله لعبا، فکان قد أخمل ما أنت فیه، فعشت یسرا، و بقیت علیک تبعاته، یا معاویة، و الله لقد خلق الله

مدينتين، احداهما بالمشرق، و الأخرى بالمغرب، أسماهما جابلقا و جابلسا، ما بعث الله اليها أحد غير جدى صلى الله عليه و سلم».
و دخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة، و بين يديه خالد بن عرفطة، و معه رجل يقال له: حبيب بن عمار، يحمل رايته حتى دخل الكوفة، فصار الى المسجد، فدخل من باب الفيل، فاجتمع الناس اليه، و هنا تذكر الناس نبوءة الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، فلقد روى أبوالفرج و ابن أبى الحديد، عن عطاء بن السائب عن أبيه، قال: بينما على، عليه‌السلام، على المنبر، اذ دخل رجل قال يا أميرالمؤمنين: مات خالد بن عرفطة، فقال الامام: لا والله ما مات، اذ دخل رجل آخر، فقال يا أميرالمؤمنين مات خالد بن عرفطة، فقال الامام لا و الله ما مات و لا يموت حتى يدخل من باب هذا المسجد (يعنى باب الفيل) براية ضلالة، يحملها له حبيب بن عمار، قال فوثب رجل، فقال يا أميرالمؤمنين: ان حبيب بن عمار، و أنا لك شيعة، قال الامام: فانه كما أقول، فقدم خالد بن عرطفة على مقدمة معاوية، يحمل رايته حبيب بن عمار».

[صفحه ۸۴]

موقف آل البيت و انصار الامام من الصلح

اختلف المؤرخون فى موقف الامام الحسين من صلح أخيه الامام الحسن مع معاوية، فذهب فريق الى أن الامام الحسين قد أنكر هذا الصلح، و ذهب فريق الى أنه قبله، كما قبله أخوه، يروى ابن‌حجر فى الاصابة عن ابن‌سعد بسنده الى عمرو بن دينار، ان معاوية كان يعلم أن الحسن كان أكره الناس للفتنة، لما توفى على رضى الله عنه بعث اليه فأصلح الذى بينه و بينه سرا، و أعطاه عهدا، ان حدث به حدث و الحسن حى، ليسمينه و ليجعلن هذا الأمر اليه، فلما توثق منه الحسن، قال ابن‌جعفر: «والله انى لجالس عنده اذ أخذت لأقوم، فجذب ثوبى و قال: يا هناه اجلس، فجلست، و قال انى قد رأيت رأيا و انى أحب أن تتابعنى عليه، قلت ما هو، قال قد رأيت أن أعهد الى المدينة فأنزل لها، و أخلى بين معاوية و هذا الحديث، فقد طالت الفتنة و سفكت فيها الدماء، و قطعت فيها الأرحام، و قطعت السبل، و عطلت الفروج، فقال ابن‌جعفر: جزاك الله عن أمة محمد خيرا، و أنا معك، فبعث الى الحسين فأتاه فقال: أى أخى انى رأيت رأيا، و أحب أن تتابعنى عليه، فقال ما هو، فقص عليه الذى قال لابن‌جعفر. فقال له الحسين، رضى الله عنه، أعيذك بالله أن تكذب عليا فى قبره، و تصدق معاوية، فقال الحسن: و الله ما أردت أمرا قط، الا قد خالفتنى الى غيره، و الله لقد هممت أن أقذفك فى بيت فأطينه عليك حتى أقضى أمرى، فلم يزل به حتى رضى، و فى احدى الروايات: فلما رأى الحسين غضبه قال: أنت أكبر ولد على، و أنت خليفتى، و أمرنا لأمرك تبع، فافعل ما بدا لك».
على أن هناك فريقا آخر انما يذهب الى أن موقف سيدالشهداء الامام الحسين، عليه‌السلام، من قضية الصلح، كموقف أخيه الامام الحسن، عليه‌السلام، فكان يرى ضرورة المهادنة و لزوم المسألة، و أنه ليس من الحكمة و لا من الصالح فتح باب الحرب مع معاوية، فان يعود بالمضاعفات السيئة على الاسلام، و يجر الويلات و الخطوب للمسلمين، و ذلك لتضلل الجيش الذى نزح معهم، و يدلل هذا الفريق على موافقة الامام الحسين على الصلح أنه حين أبرم الصلح أقبلت الى

[صفحه ۸۵]

الامام الحسين طائفة من الزعماء و الوجوه يطلبون منه أن ينقض ما أبرمه أخوه و يناجز معاوية فأبى و امتنع، و لو كان معارضا لرأى أخيه لأجابهم الى ذلك و ربما لأن الحسين ما كان يرضى أن يسود الناس و الحسن حى، و من ثم فقد رأيناه حين اشترط الامام

الحسن أن تنص بیعته علی أن یحاربوا من حارب، و یسالموا من سالم، فأتی المخالفون الامام الحسین و قالوا له: أبسط یدک نبایعک علی ما بایعنا علیه أباک یوم بایعناه، و علی حرب الحالین الضالین أهل الشام، فقال الحسین: معاذ الله أن أبایعکم ما دام الحسن حیا»، و من ثم فاننا نقول، مع الأستاذ أبوعلم، أنه مما لا شک فیه أن الصلح قد ترک فی نفس الامام الحسین أسی مریرا، و حزنا مرهقا، کما ترک فی نفس الحسن أیضا لوعة و حزنا، ولکنهما سلام الله علیهما، ماذا یصنعان و الظروف لم تکن مواتیة لهما حتی یقوما بمناجزة معاویة.

و أما أنصار آل البیت و مریدهم، فلا ریب أن کثیرا منهم انما کان یعارض الصلح، و لم یبایع لمعاویة الا مضطرا، و من هؤلاء قیس بن سعد و کما یقول أبوالفرج: فلما أرادوا أن یدخلوه الیه قال: «انی قد خلفت أن لا ألقاه الا بینی و بینه الرمح و السیف، فأمر معاویة برمح أو سیف، فوضع بینه و بینه لیبر یمینه»، و مع ذلک لم یبایع حتی أحله الحسن من بیعته، روی أبومخنف أن قیسا أقبل علی الحسن، فقال: أنا فی حل من بیعتک، قال نعم، فألقی لقیس کرسی و جلس معاویة علی سریره، فقال له معاویة: أتبایع یا قیس، قال نعم فوضع یده علی فخذه و لم یمدها الی معاویة، فجثا معاویة علی سریره، و أکب علی قیس حتی مسح یده علی یده، فما رفع الیه قیس یده.»

علی أن فریقا من أنصار أهل البیت و مریدیهم لم یستطیعوا أن یکبحوا جماح أنفسهم، و أن یلتزموا جانب الأدب مع الامام الحسن، حتی أنه لقی منهم عنتا شدیدا، و حتی أنه کان اذا مر بجماعه من أشد أصحابه حماسة فی نصرته و نصرة أبیه الامام علی من قبله یتلقونه قائلین «یا عار المؤمنین»، فکان یجیبهم فی هدوء و وقار، و یقول «العار خی من النار»، ذلک لأن الصلح، فیما یقول الدکتور طه حسین، قد أسخط علی الحسن جماعة من أصحابه الذین أخلصوا له و لأبیه فی بغض معاویة

[صفحه ۸۶]

و أهل الشام، ورأوا فی الصلح نوعا من التسلیم لم یکن یلائم ما بذلوا أیام الامام علی من جهد، و لم یلائم کذلک أیدیهم من قوة، فمنهم من کان یقول للحسن یا مذل المؤمنین أو یا مذل العرب، ولکن الامام الحسن لم یحفل بشیء من ذلک، و انما رضی عن خطته کل الرضا، رأی فیها حقنا للدماء، و وضعا لأوزار الحرب، و جمعا لکلمة الأمة، و تمکینا للمسلمین من أن یستقبلوا أمورهم مؤتلفین لا مختلفین و متفقین لا ـ متفرقین، و من أن یفرغ أهل الثغور لثغورهم، یردون عنها طمع العدو فیها و فیما وراءها، و من أن یفرغ الجند للفتح یستأنفونه من حیث وقفته الفتنة.

و روی ابن عبدالبر فی الاستیعاب بسنده عن أبی الغریف أحد أنصار الحسن أنه قال: کنا فی مقدمة الحسن بن علی اثنی عشر ألفا بمسکن مستمیتین تقطر أسیافنا من الجرد و الحرص علی قتال أهل الشام و علینا «أبوالعمیر طه»، فلما جاءنا صلح الحسن بن علی کأنما کسرت ظهورنا من الغیظ و الحزن، فلما جاء الحسن الکوفة أتاه شیخ منا یکنی أباعامر شعبان بن أبی‌لیلی، فقال: السلام علیک یا مذل المؤمنین، فقال: «لا تقل یا أباعامر فانی لم أذل المؤمنین، ولکنی کرهت أن أقتلهم فی طلب الملک»، بل ان «حجر بن عدی» و الذی دفع حیاته فیما بعد فداء لحبه للامام علی و آل البیت الطاهرین، قد أقبل علی الحسن، و قد مشت الرعدة بأوصاله و استولی علیه الحزن، فقال: «أما والله لوددت أنک مت فی ذلک الیوم و متنا معک و لم نر هذا الیوم، فانا رجعنا راغمین بما کرهنا، و رجعوا مسرورین بما أحبوا»، و یعلق الأستاذ باقر القرشی فی کتابه «الامام الحسن» علی هذا القول «لا ـ أدری کیف فاه حجر بهذا الکلام القاسی، و هو أعلم بمرکز الامام من غیره، و أدری بالظروف العصیبة و المصاعب الشدیدة التی أحاطت بالامام حتی اضطرته الی الصلح، ولکن عذره أن لوعة المصاب و ذهول النفس، قد تخرج الانسان عن موازین الاعتدال و الاستقامة.

و لعل من أکثر الأمور اثارة أن نسمع کلمة «مذل المؤمنین» من رجل جلیل من أصحاب الامام الحسن، و نعنی به «سلیمان بن صرد»، کما سنشیر فیما بعد، و هناک المسیب بن نجیة، و هو من خیار الصالحین الذین عرفوا بحب آل

[صفحه ۸۷]

البيت، فلقد تأثر بالصلح، و أقبل على الامام الحسن، محزون النفس، مكلوم القلب، فقال: «ما ينقضى تعجبى منك، بايعت معاوية و معك أربعون ألفا، و و لم تأخذ لنفسك وثيقة و عهدا ظاهرا أعطاك أمرا فيما بينك و بينه، ثم قال ما قد سمعت (يعنى انكار معاوية لعهوده مع الحسن) و الله ما أراد غيرك، فقال الحسن: ما ترى، قال: أرى أن ترجع الى ما كنت عليه،فقد كان نقض ما بينك و بينه، فقال الامام الحسن: «يا مسيب انى لو أردت بما فعلت الدنيا، لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء، و لا أثبت عند الحرب منى، ولكنى أردت صلاحكم و كف بعضكم عن بعض»، و هناك الصحابى الجليل «عدى بن حاتم الطائى» الذى ذابت حشاه من الحزن و انكار الصلح، فقال للامام الحسن: «يا ابن رسول الله، لوددت أنى مت قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل الى الجور، فتركنا الحق الذى كنا فيه، و دخلنا فى الباطل الذى كنا نهرب منه، و أعطينا الدنية من أنفسنا و قلبنا الخسيس التى لم تلق بنا»، فقال له الامام الحسن: يا عدى انى رأيت هوى معظم الناس فى الصلح، و كرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحروب الى يوم ما، فان الله قال: (كل يوم هو فى شأن).

و هكذا استمرت هذه الثورة المكبوتة فى نفوس الناس ضد هذا الصلح، روى الترمذى و أبوداود الطيالسى عن يوسف بن سعد بسنده أنه قال، قال رجل للحسن، بعدما بايع معاوية «سودت وجوه المؤمنين أو يا مسود وجوه المؤمنين، فقال الحسن: لا تؤنبنى رحمك الله، فان النبى صلى الله عليه و سلم أرى بنى‌أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت: (انا أعطيناك الكوثر) يا محمد، يعنى نهرا فى الجنة، و نزلت: (انا أنزلناه فى ليلة القدر، و ما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر) يملكها بعدك بنوأمية يا محمد، قال الفضل: «فعددنا فاذا هى ألف شهر لا تزيد يوما و لا تنقص».

و يروى ابن‌كثير أن الحسن قد ترحل و معه أخوه الحسين و بقية اخوتهم و ابن عمهم عبدالله بن جعفر، من أرض العراق الى أرض المدينة المنورة،

[صفحه ۸۸]

على ساكنها أفضل الصلاة و السلام، و جعل كلما مر بحى من شيعتهم يبكتونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية، و هو فى ذلك، هو البار الراشد الممدوح، و ليس يجد فى صدره حرجا و لا تلوما و لا ندما، بل هو راض بذلك مستبشر به، و ان كان هذا قد ساء خلقا من ذويه و أهله و شيعتهم، و لاسيما بعد ذلك بمدد، و هلم جرا الى يومنا هذا، و الحق فى ذلك اتباع السنة و مدحه فيما حقن به دماء الأمة، كما مدحه على ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم، كما تقدم فى الحديث الصحيح، الذى أخرجه البخارى عن أبى‌بكرة قال: أخرج النبى صلى الله عليه و سلم ذات يوم الحسن، فصعد به على المنبر فقال: «ابنى هذا سيد، و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

و انتهى الامام الحسن الى المدينة، فلقى من أهلها اثر وصوله اليها من لامه فى الصلح، كما لامه فيه أهل الكوفة فكان يقول للائميه: «كرهت أن ألقى الله عزوجل، فاذا سبعون ألفا أو أكثر تشخب أوداجهم دما، يقول كل منهم: يا رب فيم قتلت».

و تمضى الأيام، و يسير ولاة معاوية فى العراق بما لا يرضى أهل العراق، و يبدأ أهل الكوفة يذكرون حياتهم على أيام الامام على، فيحزنون عليها، و يندمون على ما كان من تفريطهم فى جنب خليفتهم، و يندمون كذلك على ما كان من الصلح بينهم و بين أهل الشام، و جعلوا كلما لقى بعضهم بعضا تلاوموا فيما كان، و أجالوا الرأى فيما يمكن أن يكون، و لم تكد تمضى أعوام قليلة حتى

جعلت وفودهم تفد الى المدينة للقاء الحسن و القول له و الاستماع منه، و جاء يوم وفد على رأسه «سليمان بن صرد»، و هو من صفوة أصحاب الامام، و يقال انه لم يكن حاضرا فى المدائن حين جرى الصلح، و عاتب الامام على الصلح، مع أن معه أربعين ألف مقاتل، ثم جاءت وفود أخرى، و كلها تطالب الحسن بأن يعيد الحرب جذعة، و كان رد الحسن، فيما يروى البلاذرى «أنتم شيعتنا و أهل مودتنا، فلو كنت بالحزم فى أمر الدنيا أعمل، و لسلطانها أعمل و أنصب، ما كان معاوية بأبأس منى بأسا، ولا أشد شكيمة و لا أمضى عزيمة، ولكنى أرى غير ما

[صفحه ۸۹]

رأيتم، و ما أردت فيما فعلت الا حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله و سلموا و ألزموا بيوتكم و أمسكوا و كفوا أيديكم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر».

عام الجماعة

يجمع المؤرخون، أو يكادون، على أن الامام الحسن انما سلم الأمر لمعاوية فى الخامس و العشرين من شهر ربيع الأول عام ۴۱ ه (۶۶۱ م)، على أن يكون الأمر من بعده للحسن على رأى، و هو الأرجح، أو أن يكون الأمر شورى بين المسلمين يولون عليهم من أحبوا، على رأى ثان، و أيا ما كان الأمر، فلقد أصبح معاوية منذ ذلك اليوم صاحب السلطان المطلق فى جميع الولايات الاسلامية، و من ثم فقد سمى هذا العام (۴۱ ه) «عام الجماعة»، غير أن هناك من يرى غير ذلك تماما فى هذا العام، فالأستاذ العقاد يقول: فليس أضل ضلالا، و لا أجهل جهلا من المؤرخين الذين سموا سنة «احدى و أربعين هجرية» بعام الجماعة، لأنها السنة التى استأثر فيها معاوية بالخلافة فلم يشاركه أحد فيها، لأن صدر الاسلام لم يعرف سنة تفرقت فيها الأمة، كما تفرقت فى تلك السنة، و وقع فيها الشتات بين كل فئة من فئاتها، كما وقع فيها.

و الجاحظ يقول: «فعندها استولى معاوية على الملك، و استبد على بقية الشورى، و على جماعة المسلمين من المهاجرين و الأنصار فى العام الذى سموه «عام الجماعة»، و ما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة و قهر، و جبرية و غلبة، و العام الذى تحولت فيه الامامة ملكا كسرويا، و الخلافة منصبا قيصريا»، و يقول ابن‌كثير «قد تقدم الحديث أن الخلافة بعده عليه الصلاة و السلام ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا، و قد انقضت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فأيام معاوية أول الملك، فهو أول ملوك الاسلام».

هذا و يذهب فريق من الباحثين و منهم نيكلسون، كما يقول الدكتور حسن ابراهيم فى تاريخ الاسلام السياسى، الى أن كثيرا من المسلمين اعتبروا هذا العام الذى انتصر فيه بنوأمية، برياسة معاوية، انما هو انتصار للأرستقراطية

[صفحه ۹۰]

الوثنية التى ناصبت الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه العداء، و التى جاهدها رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى قضى عليها، و صبر معه المسلمون على جهادها و مقاومتها حتى نصرهم الله، فقضوا عليها و أقاموا على أنقاضها دعائم الاسلام، ذلك الدين السمح الذى جعل الناس سواسية فى السراء و الضراء، و أزال سيادة رهط كانوا يحتقرون الفقراء، و يستذلون المستضعفين، و يبتزون الأموال، و من ثم فلا عجب، اذا كره المسلمون بنى‌أمية و غطرستهم و كبرياءهم، و اثارتهم الأحقاد القديمة، و نزوعهم للروح الجاهلية، و لاسيما و أن جمهور المسلمين كانوا يرون بين الأمويين رجالا كثيرين لم يعتنقوا الاسلام الا سعيا وراء مصالحهم الشخصية، كما كان

معاويـة يرمى الى جعل الخلافـة ملكا كسـرويا، و ليس أدل على ذلك من قوله هو نفسه «أنا أول الملوك»، و كان سـعيد بن المسـيب يقول: فعل الله بمعاوية و فعل، فانه أول من أعاد هذا الامر ملكا.

و لعل أهم ما كان يميز سـياسة معاوية فى ولايته و ملكه هى سـياسة «فرق تسد»، كما يقولون فى عصـرنا الحاضـر، فقد كان معاوية، لو اسـتطاع، أن يجعل كل رجل فى دولته حزبا منابذا لغيره من رجال الدولة كافة، لفعل، و لو حاسـبه التاريخ حسابه الصـحيح لما وصـفه بغير «مفرق الجماعات»، و من عجب أن نجـد بين المؤرخين من يسـمى عامه حين انفرد بالدولـة «عام الجماعـة»، مع أنه قـد فرق الأمة شيعـا شـيعا، فلاـ تعرف كيف تتفق، اذا حاولت الاتفاق، و كانت خطته فى التفرقـة عامـة، لا يفرق فيها بين الخصوم و الأعوان، و كأنها غرض مقصود لذاته، أو كأنها خير مطلق لا شر فيه، حتى حاول ذلك فى البيت الأموى نفسه، من غير السفيانيين.

فلم يكن معاوية ليهدأ أو يستريح حتى يوقع بين آل عمومته الأقربين من بنى‌العاص، و طبقا لرواية الطبرى، فكان يأمر سـعيد بن العاص بهدم بيت مروان، ثم يأمر مروان بهدم بيت سـعيد، و قد هم مروان أن يفعل، لولا أن كشف سـعيد خدعة معاوية، كما كان يغرى أبناء عثمان رضى الله عنه بالمروانيين، كما يغرى المروانيين بأبناء عثمان، و الأمر كذلك بالنسبة الى رجال دولته من غير

[صفحه ۹۱]

بنى‌أميـة، كمـا كـان يحـدث بين المغيرة بن شـعبة و عمرو بن العاص، فكان يسـمع لكل منهما فى الآخر، و يطيع كل منهما فى دسه و اغرائه ليعلم كل منهما بما صنعه من الكيد لصاحبه، فلا يتفقان عليه.

و هكـذا عمل على أن يضـرب الشيعة بالخوارج، و يضـرب الخوارج بالشـيعة، فضـلا عن التفرقة بين العشائر العربية بمداولة التقريب و الاقصـاء لعشيـرة منهم بعـد عشيـرة، كما حاول أن يفرق المهاجرين و الأنصار، و سـمح للأخطل الشاعر النصـرانى، أن يهجو الأنصار و يمدح قريشا فقال:

ذهبت قريش بالمكارم كلها

و اللؤم تحت عمائم الأنصار

ثم عمد الى أهل مكة و الطائف، ففرق بينهما حين آثر الثقفيين بزلفاه، و سن لمن بعده سـنة هذا الايثار، حتى كانت الطائف على عهد معاويـة و خلفائه كالحرس على أهل مكة ممن بقى فيها من غير الأمويين و السـفيانيين، و فرق بين المضـرية و اليمنية، فكان يميل تارة الى هؤلاـء، و تـارة الى اولئك، و كان هو نفسه من المضـريين، ولكنه كان يبـدو فى بعض الأحيان، و كأنه من أبناء اليمن عـدو لأبناء مضـر، و فرق بين العرب و الموالى، و أوشـك أن ينكـل بالموالى، ليقصـيهم عن مناصب الدولـة، و عن الاقامـة فى عواصـمها، ثم اتبع خطـة التفرقـة هـذه حتى بين أهل الشام الذين تمهدت له ولايتهم، فاسـتخلص لنفسه فرقة منهم لا تخرج من الشام، ولا تلتقى بأحد من دعـاة العراق أو مصـر أو الحجـاز أو افريقيـة، ثم نقـل الى الشـام طوائف شـتى من غير أهلهـا، فنقـل اليهـا طوائف الزط و السـيابجة من البصرة، و نقل الى الأردن و صور طوائف من الفرس و الموالى، و نقل الى أنطاكية أساورة الموانىء بالعراق، و خلط العرب بالعجم، و هؤلاء بسـلالة الشاميين فى كل بقعـة من البلاد السورية، كما كانت تعرف قديما، و ان لـم ينجح فى اسـتخلاص قبيلة «كلب» كلها، لأن منهم أنصار عثمان و بيت مروان، و من ثم فقد استخلص منهم أخوال يزيد فحسب، فأصبحت «كلب» بالتالى فريقين، الواحد يدعو الى خالد بن يزيد، و الآخر يدعو الى مروان [۲] .

[صفحه ۹۳]

اجتهادات معاوية و شروط الصلح

اشاره

لعل من الأفضل أن نشير هنا مرة أخرى الى شروط الصلح التى تمت بين الامام الحسن و معاوية، و هى تلزم كل منهما بأمور، تلزم الامام الحسن أن يسلم الأمر لمعاوية، و تلزم معاوية بأمور، منها أن يعلم بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم و سيرة الخلفاء الراشدين، و منها أن لا يعهد معاوية بالأمر الى أحد من بعده، و انما الأمر من بعده للحسن، فان حدث به حدث فالأمر للحسين (أو أن يكون الأمر شورى بين المسلمين يولون عليهم من أحبوا)، و منها أن يترك سب أميرالمؤمنين على، و ألا يذكره الا بخير، و منها أن يعطى الامام الحسن خراج دار أبجرد، يفرقه فى أولاد من قتل مع أبيه فى يوم الجمل و صفين، و منها أن يعطيه ما فى بيت مال الكوفة و يقضى عنه ديونه، و يدفع اليه كل عام مائة ألف، و منها أن لا يبغى للحسن أو الحسين و لا لأهل البيت غائلة سرا و لا جهرا، و لا يخيف أحدا منهم فى أفق من الآفاق، و منها الأمن العام لشيعة الامام على و ألا يتعرض لهم بمكروه، الى غير ذلك من شروط.

و لنحاول الآن، جهد الطاقة، أن نناقش مدى التزام كل من الامام الحسن و معاوية بشروط الصلح:

أولا: الامام الحسن

كان الشرط الوحيد من شروط الصلح الذى كان لمعاوية على الحسن هو

[صفحه ۹۴]

أن يسلم اليه الأمر، و تجمع المصادر كلها على أن هذا الشرط هو الشرط الوحيد الذى حظى بالوفاء من شروط الصلح و لم يحدث من الامام الحسن، أو من أخيه الامام الحسين، و أو من آل بيته الطاهرين، أية محاولة لنقض هذا الشرط بل حتى مجرد التفكير فيه، و رغم أن معاوية أعلن التخلى عن شروطه فقال «ألا ان كل شىء أعطيته الحسن بن على تحت قدمى هاتين، لا أفى به»، و رغم أن أنصار الامام الحسن قد عرضوا عليه، بعد عودته للمدينة المنورة، أنفسهم و أتباعهم للجهاد بين يديه، و وعده الكوفيون منهم باخلاء الكوفة من عاملها الأموى، و ضمنوا له السلاح لاعادة الكرة على الشام، فلم تهزه العواصف و لا أقلقته حوافز الأنصار المتوثبين، و قال لهم «ليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس بيته، مادام معاوية حيا، فان يهلك، و نحن و أنتم أحياء، سألنا الله العزيمة على رشدنا، و المعونة على أمرنا، و ألا يكلنا الى أنفسنا، فان الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون، بل ان بعض هؤلاء الأنصار، ذهب الى الامام الحسين، بعد أن فشل مع الامام الحسن، و قال له: يا أباعبدالله، شربتم الذل بالعز، و قبلتم القليل و تركتم الكثير، أطعنا اليوم و أعصنا الدهر، دع الحسن و ما رأى من هذا الصلح، و أجمع اليك شيعتك من أهل الكوفة و غيرها، و ولنى و صاحبى هذه المقدمة فلا يشعر ابن هند الا و نحن نقارعه بالسيوف»، فرد الامام الحسين عليه (نعنى عدى بن حاتم و صاحبه عبيدة بن عمر) قائلا «انا قد بايعنا و عاهدنا، و لا سبيل لنقض بيعتنا».

و هكذا ظل الامام الحسن، كما يقول الدكتور طه حسين، وفيا لمعاوية ببيعته، حفيظا على عهده، مستعينا به ان احتاج الى معونة، ولكنه على ذلك كان معارضا، و لم يكن يستخف بمعارضته، و انما كان يظهر منها ما يشاء فى المدينة حيث كان يقيم، وفى مكة حين كان يلم بها أثناء الموسم، و كانت الفرص تواتيه أحسن المواتاة و أيسرها، فهو كان عذب الروح حلو الحديث، كريم المعاشرة حسن الألفة

محببا الی الناس، یحبه أترابه من شباب قریش و الأنصار لهذه الخصال، و یحبه الشیوخ من أصحاب النبی صلی الله علیه و سلم لهذه الخصال،

[صفحه ۹۵]

و لمکانه من النبی صلی الله علیه و سلم، و یحبه عامة الناس لکل هذا، و لسخائه وجوده و اعطائه المال حین یسأل و حین لا یسأل، و کان یصبح فیصلی الصبح و یجلس فی مکانه، حتی اذا ارتفعت الشمس طاف بأمهات المؤمنین. زائرا لهن متحدثا الیهن، یبرهن و یبررنه، و یهدی الیهن و یهدین الیه، ثم یفرغ لبعض شأنه، فاذا صلیت الظهر جلس للناس فی المسجد فأطال الجلوس یسمع منهم و یقول لهم، یعلم من احتاج منهم الی العلم، و یؤدب من احتاج منهم الی الأدب، و یسمع من شیوخ الصحابة من یفیده علما و أدبا، و کان فی أثناء هذا کله، اذا ذکر السلطان أو ذکر السلطان عنده، یعرف الخیر و ینکر الشر فی أرق لفظ و أعذبه، ولکنه کان یشتد حتی یبلغ القسوة، ان ذکر أبوه بغیر ما یحب، أو لقی من بعی أباه الغوائل أو سعی الیه بمکروه.

ثانیا: معاویة

لا ریب فی أن معاویة لم یف بشروط الصلح کلها، أو لم یف بکثیر منها، و لنحاول أن نناقش ذلک بشیء من التفصیل، و خاصة فیما یتصل بترک الأمر من بعده للحسن أو أن یکون شوری بین المسلمین یولون علیهم من أحبوا، ثم ترک سب الامام علی، و اعطاء الحسن خراج دار أبجرد، فضلا عن الأمان العام لأنصار الامام علی، و أن لا یبغی غائلة للحسن أو الحسین سرا أو جهرا.

بیعة یزید

کان أول الشروط التی شرطها معاویة علی نفسه للامام الحسن، أن له الأمر من بعده، و قد کرر معاویة هذا الشرط أو الوعد فی کل رسائلة التی کتبها للأمام یطلب فیهما أن یتنازل له عن الأمر، علی أن یکون له من بعده، و قد أجمع المؤرخون، فیما یقول الأستاذ أبوعلم، علی أن العهد الذی أعطاه معاویة للحسن فی شروط الصلح هو أن لا یعهد بالأمر من بعده لأحد، و هذا یعنی رجوع الأمر من بعده الی صاحبه الشرعی، و هو الحسن بن علی، فان لم یکن فللحسین أخیه، تمشیا مع مفهوم الشرط، کما أجمعوا کذلک علی أن معاویة نقض هذا العهد علنا، و عهد من بعده لابنه یزید، و فی الواقع

[صفحه ۹۶]

فلقد کشف معاویة بعمله هذا أحد وجوه القضیة الجلیلة التی قاتل الامام علی دونها، هذا الوجه المتمثل فی أن لا تصیر خلافة المسلمین الی طلقاء بنیأمیة أبدا، و أن تظل فی الصالحین الأولین من المهاجرین و الأنصار.

غیر أن وجود الامام الحسن، و هو الذی تعهد معاویة أن یخلفه فی أمر المسلمین، و شرط علی نفسه بذلک، انما کان یمثل عقبة کؤود، تقف دون البیعة لیزید، و من ثم فقد رأینا الأحنف بن قیس، حین استشاره فی الأمر، «قد علمت أنک لم تفتح العراق عنوة، ولکنک أعطیت الحسن بن علی من عهود الله ما قد علمت لیکون له الأمر من بعدک، فان تف فأنت أهل الوفاء، و ان تغدر تعلم و الله أن وراء الحسن خیولا جیادا، و أذرعا شدادا، و سیوفا حدادا، ان تدن له شبرا من غدر، تجد وراءه باعا من نصر، و انک تعلم أن أهل العراق ما أحبوک منذ أبغضوک، و لا أبغضوا علیا و حسنا منذ أحبوهما، و ان السیوف التی شهروها علیک مع علی یوم صفین لعلی عواتقهم، و القلوب التی أبغضوک بها بین جوانحهم، و ایم الله ان الحسن لأحب الی أهل العراق من علی»، و من هنا لم یکن مکان

الحسن من معاویـة محببا الیه، فقـد کان معاویـة رجلا بعید النظر، لم یکد یطمئن الی الخلافة و یری أنها قد اطمأنت الیه، حتی فکر فی أن یجعلها تراثا بعـده لآل أبی‌سـفیان، و کان یفکر فی ابنه یزید دائما، فیری أن الحسن هو الحائل بینه و بین ما یرید من ذلک، فهو قد تعجل الصـلح مع الحسن، فعرض علیه ولایـة الأمر من بعده، و من الحق، فیما یری البعض، أن الحسن لم یقبل منه ذلک، و انما اشترط علیه أن تکون الخلافة بعده شوری بین المسلمین یختارون لها من أحبوا، و کان الحسن، فی أکبر الظن یری أن المسلمین لن یعدلوا به أحـدا، بعـد وفاة معاویـة، و کانت الشـیعة تؤمن بذلک أشد الایمان، و تدعو له فتلح فی الدعاء، و علی أی حال، فسواء کان معاویة قد شرط علی نفسه أن یکون الأمر من بعـد للامام الحسن، و سواء أکـان الحسن قـد قبل ذلک أو اشترط أن تکون الخلافـة بعـد معاویة شوری بین المسلمین، فالذی لا شک فیه أن الامام الحسن قد أصبح عقبة فی تتابع ملوک آل أبی‌سفیان، و کما یقول أبو

[صفحه ۹۷]

الفرج فی «مقاتل الطالبیین»، «و أراد معاویة البیعة لابنه یزید، فلم یکن شـیء أثقل من أمر الحسن بن علی، و سعد بن أبی‌وقاص، فدس الیهما سـما فماتا منه»، الأمر الذی سـنناقشه فیما بعد، و مع ذلک فقد خشی معاویة أمر الامام الحسین، رغم أن الحسین لم ینصب نفسه للبیعة، و لم یکن اماما للمسـلمین، و لم یکن معاویة قد صالحه و لا وعده و لا شـرط له، و ان کان مفهوم شـرط الحسن علی أن یکون له الأمر بعد معاویة، و انما ینطبق، فیما یری البعض، علی الحسین، تمشیا مع مفهوم الشرط، لا حرفیته.

و أیا ما کان الأمر، فقـد هم معاویـة أن ینحی الامام الحسـین عن مکانه شیئا لتلخص له الطریق من ابنی فاطمـة الزهراء، و سـبطی النبی صلی الله علیه و سلم، و سـیدی شـباب أهـل الجنـة، و ریحانتی رسول الله صـلی الله علیه و سـلم، و یروی أنه قال ذات یوم، بعـد موت الحسن، لعبـدالله بن عباس ممازحا، و هو یریـد الجـد: أنت سـید قومک بعد الحسن، ولکن عبدالله بن عباس لم ینخدع له، و أجابه فی صراحـة «أما و أبوعبـدالله (یعنی الحسـین) حی فلا»، و مع ذلک فلم یتردد معاویـة، کما سـنری، فی أن یبایع بولایة العهد لابنه یزید، و أکره الامام الحسین، کما أکره غیره من شباب المهاجرین علی أن یسکتوا عن هذه البیعة التی کانوا ینکرونها أشد الانکار.

و هکذا اسـتحدث معاویة فی الاسـلام أمرا جدیدا، غیر به السـنة الموروثة تغییرا خطیرا، و لم یکره المسلمون شیئا فی الصدر الأول من أیـامهم، کمـا کرهـوا وراثـة الخلافـة، فقـد عهـد أبوبکر الی عمر، رضـی الله عنهمـا، و لم یخطر له أن یعهـد الی أحـد من بنیه، و زجر الفاروق رضـی الله عنه من طلب الیه أن یعهـد لولـده عبـدالله، و لم یخطر لعثمان رضـی الله عنه أن یعهـد الی أحـد و لا ینبغی أن یقال أعجـل عثمـان عن ذلک، فلقـد لبث فی الخلافـة اثنی عشـر عاما، و أبی الامام علی رضـی الله عنه أن یسـتخلف، و قال لأصـحابه حین سألوه: أترککم کما ترککم رسول الله صلی الله علیه و سلم و سأله الناس: أیبایعون الحسن ابنه، فقال لا آمرکم و لا أنهاکم، کما أشرنا من قبل، و کان المسـلمون یذکرون الکسرویة و القیصریة، یریدون بذلک حکم القیاصرة و الأکاسرة، و لم تکن وراثة الملک عندهم الا لونا

[صفحه ۹۸]

من الحکم الأعجمی، و لو وقف عند هذا الحد، لکان من الممکن أن یقال: اجتهد للناس، فأخطا أو أصاب ولکنه قاتل الامام علیا علی دم عثمان من جهة، و علی أن یرد الخلافة شوری بین المسـلمین، من جهة أخری، فلما اسـتقام له السلطان نسی ما قاتل علیه أو أعرض عمـا قاتل علیه، و لما أراد مصالحـة الحسن عرض علیه أن یجعل له ولایـة الأمر من بعـده فقبل الحسن، و ان ذهب رأی الی أنه اشترط أن یعود الأمر بعد معاویة شوری بین المسـلمین یختارون لخلافتهم من أحبوا، فقبل ذلک معاویة فیما قبل من شروط، فهو اذا کان یری

الشورى فى أمر الخلافة قبل أن يستقيم له الأمر، ثم نسى هذا كله بأخرة.

و يذهب بعض المؤرخين الى أن فكرة البيعة ليزيد انما أشار بها المغيرة بن شعبة، كما أشار من قبل للفاروق بالبيعة لولده عبدالله فزجره، و ذلك حين أحس أن معاوية انما يفكر فى عزله عن ولاية الكوفة، فوسوس الى يزيد أن يطلب الى أبيه تسميته لولاية العهد، و زين له الأمر، و كان معاوية، كما رأينا، يعد العدة لذلك، ولكنه يكتمه، فما أن علم بمشورة المغيرة، و أنه سيكفيه أمر الكوفة، و يكفيه زياد البصرة، حتى طلب منه أن يعمل ذلك سرا وفى تؤده، فما كان أحد من المسلمين من أهل التقوى يقبل بولاية يزيد، و لا ندرى كيف سمحت نفس المغيرة له أن يفعل ذلك، مع ثقته، على حد قوله أنه فتق على أمة محمد فتقا لا يرتق أبدا، كما روى ابن الأثير و غيره، ولكنها السياسة يرمى بها بعض الناس الى أن ينالوا لأنفسهم من ورائها غنما أو كسبا، لا يعنيهم مغبتها على الناس، و سار المغيرة حتى قدم الكوفة، و حدث بعض من يثق فيهم و يعلم أنهم من شيعة بنى‌أمية، فأجابوه فأوفد منهم عشرين الى معاوية، اشتراهم بدراهم، و كان ذلك أسلوب معاوية، يعرفه و يوعز به و يغرى عليه، و لهذا قال لموسى بن المغيرة، و كان على رأس الوفد، بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ فقال ابن‌المغيرة: بثلاثين ألفا، فقال معاوية: لقد هان على الناس دينهم، غير أن ذلك انما من عزم معاوية على البيعة ليزيد، مادامت الذمم تباع رخيصة، و العهود تشترى بالقليل، و معاوية يملك من المال الكثير، و من ثم بدأ يرشوا

[صفحه ۹۹]

الناس بالمال، و ان أخطأت رشوته طريقها فى بعض الأحيان، و من ذلك أنه أرسل الى عبدالله بن عمر، مأتة ألف درهم، فقبلها عبدالله على أنها معونة خالصة لوجه الله، و لم يكن يدرى أنها ثمن البيعة ليزيد، فما أن علم حتى قال: ان دينى عندى اذا لرخيص، و امتنع عن البيعة، و أخذ يقول: «ما أجدنى آسى على شىء فاتنى فى حياتى، الا على أنى لم أقاتل مع على الفئة الباغية»، كما ثار كذلك كبار الصحابة و أبنائهم و جمهور كبير من أهل الورع و التقوى، و غلى رأسهم الامام الحسين و عبدالله بن الزبير و عبدالرحمن بن أبى‌بكر، الذى قال لمروان بن الحكم، عندما عرض البيعة ليزيد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم: كذبت والله يا مروان و كذب معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمد صلى الله عليه و سلم ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل».

و روى ابن‌كثير فى تفسيره (الآية ۱۷ من الأحقاف) روى ابن أبى‌حاتم عن عبدالله المدينى قال: انى لفى المسجد حين خطب مروان فقال: ان الله تعالى قد أرى أميرالمؤمنين (أى معاوية) فى يزيد رأيا حسنا، و أن يستخلفه فقد استخلف أبوبكر عمر رضى الله عنهما، فقال عبدالرحمن بن أبى‌بكر، رضى الله عنهما: أهرقلية، أن أبابكر رضى الله عنه، و الله ما جعلها فى أحد من ولده، و لا أحد من أهل بيته، و لا جعلها معاوية فى ولده الا رحمة و كرامة لولده، فقال مروان: ألست الذى قال لوالديه: أف لكما، فقال عبدالرحمن رضى الله عنه ألست ابن اللعين الذى لعن رسول الله صلى الله عليه و سلم أباك، قال: و سمعتهما عائشة رضى الله عنها فقالت يا مروان، أنت القائل لعبدالرحمن رضى الله عنه كذا و كذا، و كذبت، ما فيه نزلت، ولكن نزلت فى فلان بن فلان، ثم انتحب مروان، ثم نزل عن المنبر، حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف» (رواه البخارى باسناد آخر و لفظ آخر).

و أخرج النسائى فى سننه عن محمد بن زياد قال قال: لما بايع معاوية رضى الله عنه لابنه قال مروان: سنة أبى‌بكر و عمر، رضى الله عنهما، فقال عبدالرحمن بن أبى‌بكر، رضى الله عنهما، سنة هرقل و قيصر، فقال مروان: هذا

[صفحه ۱۰۰]

الذى أنزل الله تعالى فيه «و الذى قال لوالديه أف لكما»، فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت: «كذب مروان، و الله ما هو به، ولو

شئت أن أسـمی الذی أنزلت فیه لسـمیته، ولکن رسول الله صـلی الله علیه و سـلم لعن أبامروان، و مروان فی صـلبه، فمروان فضض من لعنة الله» (أی قطعة من لعنة الله)

هـذا و قـد وصل الغضب علی هـذه البیعـة الی بنی‌أمیـة أنفسـهم، و منهم مروان نفسه، و سـعید بن عثمان بن عفان، روی الطبری و ابن الأثیر و ابن‌کثیر، أن سـعید بن عثمان قال لمعاویـة: «لقد اصـطنعک أبی حتی بلغت باصـطناعه المدی الذی لا تجاری الیه و لا تسامی، فمـا شـکرت بلاءه و لاـ جـازیته، فقـدمت هـذا، یعنی یزیـد، و بـایعت له، و الله لأنـا خیر منه أبـا و أما و نفسا»، و أرضاه معاویـة بولایة خراسان.

و روی ابن الأثیر أن معاویة قال للضـحاک بن قیس الفهری: اذا اجتمعت الوفود عندی، فانی متکلم فاذا سـکت فکن أنت الذی تدعوا الی بیعـة یزیـد و تحثنی علیها، و تکلم معاویـة، و تکلم الضـحاک یطلب البیعـة لیزید، ثم تکلم غیره، حتی قام یزید بن المقنع العذری فقال: هـذا أمیرالمؤمنین، و أشار الی معاویة، فان هلک فهذا، و أشار الی یزید، و من أبی فهذا، و أشار الی سـیفه، فقال معاویة: اجلس فأنت سـید الخطباء، ثم سافر الی المدینة فخطب و مدح ولده یزید، فقال: من أحق منه بالخلافة فی فضـله و عقله و موضـعه، و ما أظن أن قوما بمنتهین حتی تصیبهم بوائق تجتث أصولهم، و قد أنذرت ان أغنت النذر»، و هکذا أصبح یزید بسلطان أبیه و بأموال المسلمین التی اشتری بها أبوه ضـمائر البعض، أحق الناس بالخلافة و أنه صاحب فضل و عقل، فضـلا عن أنه ابن‌معاویة، ثم لا ینتهی معاویة عند هذا الحد، و انما یتهدد و یتوعد من یخالف رأیه.

و علی أی حال، فان المؤرخین یرون أن أربعـة نفر من قریش، و هم الامام الحسـین و عبـدالله بن عمر و عبدالله بن الزبیر و عبدالرحمن بن أبی‌بکر و زاد فریق عبدالله بن العباس، و لم یبلغ منهم معاویة شیئا بالوعد أو الوعید، صارحه

[صفحه ۱۰۱]

بعضـهم بعـدم البیعـة لیزیـد، و التـوی علیه بعضـهم الآـخر، و أخیرا عرضـوا علیه ثلاـث خصـال، روی ابن‌الأـثیر، أن معاویـة أقبـل علی ابن‌الزبیر، فقال: هات لعمری انک خطیبهم، فقال نعم، نخیرک بین ثلاث خصال، قال: أعرضـهن، قال تصـنع کما صنع رسول الله صلی الله علیه و سـلم أو کما صـنع أبوبکر أو کما صـنع عمر، قال معاویة: ما صنعوا، قال قبض رسول الله صلی الله علیه و سلم و لم یستخلف أحـدا، فارتضـی الناس أبابکر، قال لیس فیکم مثل أبی‌بکر و أخاف الاختلاف، قالوا صـدقت، فاصـنع کما صـنع أبوبکر، فانه عهد الی رجل من قاصیـة قریش، لیس من بنی أبیه فاسـتخلفه، و ان شـئت فاصنع کما صنع عمر، جعل الأمر شوری فی ستة نفر، لیس فیهم أحد من ولـده و لاـ من بنی أبیه، قال معاویـة: «هل عنـدک غیر هـذا، قال لا، ثم قال فأنتم، قالوا قولنا قوله، قال: فاننی قـد أحببت أن أتقـدم الیکم، انه قـد أعـذر من أنـذر، انی کنت أخطب فیکم فیقوم القائم منکم فیکـذبنی علی رؤوس الناس، فأحمل ذلک و أصـفح، و انی قائم بمقالة فاقسم بالله لئن رد علی أحدکم کلمة فی مقامی هذا لا ترجع الیه کلمة غیرها حتی یسبقها السیف الی رأسه فلا یبقین رجل الا علی نفسه».

هذا و یذهب بعض المؤرخین الی أنه أقام علی رؤوسـهم شرطا، حین خطب الناس، و تقدم الی هؤلاء الشرط فی أن یضربوا عنق أیهم کـذبه فیما یقول، ثم خطب الناس فـذکر بیعـة یزیـد بولایة العهد، و أن الناس قد أجمعوا علی قبول ما اختار لهم، و أن هؤلاء النفر من أعلاـم قریش و سادتهـا قـد دخلوا فیمـا دخـل فیه النـاس فبـایع الناس و انصـرف هؤلاء النفر یحلفون لمن لامهم، ما بایعوا و ما قبلوا، و هکـذا اسـتکره معاویـة هؤلاـء النفر علی الصـمت، بعـد أن لم یسـتطع أن یسـتکرههم علی البیعـة، و هو بعـد لم یؤامر الأمـة فیما اختار لخلافتها، علی أی نحو من المؤامرة، و انما شاور قوما من خاصـته و الطامعین فی سـلطانه و ماله، فکلهم أغراه بـذلک و حببه الیه، و لم یستطع أحد من خاصة الناس و لا من عامتهم أن ینکر علی معاویة مما أراد شیئا.

و انطلاقا من كل هذا، يمكن القول ان أربعين سنة سلخها معاوية فى

[صفحه ۱۰۲]

حكم الشام الى جوار امبراطورية الروم، و فى ديارها السابقة، قد انحرفت به عن أن يسلك الطريق الاسلامى فى أمر الحكم، و الذى رأينا أساليب مختلفة له فى عهد الراشدين، و انما سلك طريقا رومانيا، و أراده أسلوبا ملكيا على أسلوبهم، و انتوى نية فطفق يتألف لها الناس، و يهيىء لها الأمور، و هكذا استقر فى الاسلام، و لأول مرة، بجهود معاوية و على يديه، هذا الملك الذى يقوم على البأس و البطش، و الذى يرثه الأبناء عن الآباء، أصبحت الأمة و كأنها ملك لصاحب السلطان ينقله الى من أحب من أبنائه، كما ينقل اليه ما يملك من سائل المال و جامده، و هكذا أحدث معاوية فى المسلمين بدعة جديدة طالما أنكروها من قبل، و هى توريث الملك، و كانت عاقبة هذه البدعة وبالا على المسلمين، أى وبال، فما أكثر ما استحل الملوك من المحارم، و ما أكثر ما سفكوا من الدماء، و أهدوا من الحقوق، وضحوا بمصالح الأمة فى سبيل ولاية العهد، و ما أكثر ما كاد بعض الأمراء من أبناء الملوك لبعض فى سبيل هذا التراث الذى لم يبحه لهم كتاب و لا سنة، و لا عرف مألوف من صالحى المسلمين، و هكذا انتقلت الدولة من نظام الخلافة الذى يعتمد على الشورى، و يستند الى الدين، الى النظام الملكى الذى يقوم أساسا على التوريث و يستند الى السياسة أولا، و الى الدين ثانيا.

و لعل سائلا أن يتساءل: هل يمكن أن يكون معاوية فى كل هذا مجتهدا، فلقد أخذ البيعة لولده يزيد، نابذا الشورى وراء ظهره، مع اشتهار يزيد بفسقه و فجوره، فى وقت كان ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم الامام الحسين علما خفاقا على ظهر الأرض، يتمنى الناس امامته، و لم يكن معاوية يجهل أن استخلاف يزيد فيه خروج عن حدود الله، و فيه خروج على شروط الصلح مع الامام الحسن، الذى عرض عليه معاوية أن يكون الأمر من بعده، سواء قبل أو رأى أن يكون الأمر شورى بين المسلمين.

هذا فضلا عن أن الله تعالى يقول فى كتابه العزيز (و اعلموا أنما من أموالكم و أولادكم فتنة، و أن الله عنده أجر عظيم)، و يقول ابن تيمية فى

[صفحه ۱۰۳]

«السياسة الشرعية» (ط ابريل ۱۹۶۰) تعليقا على الآية الكريمة فان الرجل لحبه لولده أو لعتيقه قد يؤثره فى بعض الولايات أو يعطيه ما لا يستحقه، فيكون قد خان أمانته، و كذلك قد يؤثره زيادة فى ماله أو حفظه بأخذ ما لا يستحقه أو محاباة من يداهنه فى بعض الولايات، فيكون قد خان الله و رسوله و خان أمانته.

و روى الحاكم بسنده عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال «من ولى من أمر المسلمين شيئا، فولى رجلا و هو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله و رسوله، و فى رواية: و من قلد رجلا عملا على عصابة، و هو يجد فى تلك العصابة أرضى منه، فقد خان الله، و خان رسوله، و خان المؤمنين»، و روى بعضهم - فيما يقول ابن‌تيمية - أنه من قول عمر، لابن‌عمر، روى ذلك عنه، و قال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه «من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله و رسوله و المسلمين». و فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه و سلم أن قوما دخلوا عليه فسألوه ولاية، فقال: «انا لا نولى أمرنا هذا من طلبه،» و قال لعبدالرحمن بن سمرة: يا عبدالرحمن لا تسأل الامارة، فانك أعطيتها من غير مسأله أعنت عليها، و ان أعطيتها من مسأله و كلت اليها».

هذا و قد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم على أن الولاية أمانة يجب أداؤها فى مواضعها، مثل قوله لأبى‌ذر رضى الله عنه فى

الأمـارة «انهـا أمانـة و انها يوم القيامـة خزى و ندامـة، الا من أخـذها بحقها، و أدى الـذى عليه فيها» (رواه مسـلم)، و روى البخارى فى صحيحه بسـنده عن أبى‌هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «اذا ضيعت الأمانة انتظر الساعة، قيل يا رسول الله: و ما اضاعتها؟ قال: اذا و سد الأمر الى غير أهله، فانتظر الساعة» و قال صـلى الله عليه و سـلم «ما من راع يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت و هو عاش لها، الا حرم الله عليه رائحة الجنة» (أنظر: ابن تيمية: السياسة الشرعية ص ۱۵ – ۱۰).

و على أية حال، فلقد أراد معاوية أن يؤسـس ملكا لآل أبى‌سـفيان يرثونه واحدا بعد الآخر، فمعاوية لا يكتفى باغتصاب الخلافة، ثم لا يرغب، و هو على و شك لقاء ربه، أن يترك أمر المسلمين للمسلمين، و انما يعمل على

[صفحه ۱۰۴]

تحويل الخلافـة الى ملك عضوض، و الى مزرعة أموية، فيأخذ البيعة لولده يزيد، يأخذها بالذهب و السيـف، ولكن الله أراد أن يموت يزيد فى شبابه، بعد أعوام أربعة من حكمه، و ربما أقل، ثم يتحول ملك معاوية سريعا الى مروان و بنيه، و لم يكن ذلك ليسر معاوية، و خاصـة أن مروان عارضه بشدة فى بيعة يزيد، و قال له: «فأقم الأمر يا ابن أبى‌سـفيان، و اهدأ من تأميرك الصبيان، و اعلم أن لك فى قومك نظرا، و أن لهم على مناوأتك وزراء».

و هكـذا تمت بيعة يزيد خليفة لأبيه معاوية، أو قل وليا لعهد أبيه الملك، على حد وصف معاوية لنفسه، أو وصف سـعد بن أبى‌وقاص له، و هكذا بدأ نظام توريث الملك فى الدولة الاسلامية، و غير معاوية نظام الخلافة الراشدة الى النظام الملكى، و من ثم فقد أصبحت خلافة الأمويين أشـبه بنظام الأكاسـرة و القياصـرة، منه بخلافة المسـلمين، و بالتالى فقد حرم الأمويون، و العباسـيون و من جاء بعدهم، المسـلمين من حقهم الطبيعى فى الشورى، التى ألفها العرب، و جاء بها القرآن، و أيـدتها الأحاديث النبوية، و غلا القوم حتى أصـبحوا يولون عهدهم اثنين، بل ثلاثة.

و قد تم ذلك سنة ست و خمسين للهجرة، أى قبل ينتصف القرن على انتقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم الى الرفق الأعلى، و رحم الله الحسن البصـرى، فقـد كـان يقول، فيمـا يروى الطبرى، «أربع خصـال كن فى معاويـة لو لم يكن فيه منهن الا ـ واحـدة لكـانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسـفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، و فيهم بقايا الصـحابة و ذو الفضـيلة، و اسـتخلافه ابنه بعده، سكيرا خميرا، يلبس الحرير و يضـرب بالطنـابير، و ادعـاؤه زيـادا، و قـد قـال رسول الله صـلى الله عليه و سـلم: الولـد للفراش، و للعـاهر الحجر، و قتله حجر، ويل له من حجر و أصحاب حجر، ويل له من حجر و أصحاب حجر».

و رغم أننا نقول، مع الدكتور طه حسين، لا نشارك الحسن فى أن هذه الخصال كلها أو بعضها قد أوبقته، فأمر ذلك الى الله وحده، و هو القائل عزوجل (ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر من دون ذلك لمن يشاء) ولكننا فى الوقت

[صفحه ۱۰۵]

نفسه نتساءل: هل كان معاويـة فى كل هـذا مجتهـدا؟ الا أن يكون هـذا الاجتهاد فى بناء دولة بنى‌أمية، و فى القضاء على نظام الخلافة الراشـدة، و بداية الملك العضوض، الذى ما رفضه معاوية أبدا، رغم محاولة ابن‌خلدون أن يحسـبه بقية الراشدين، ولكن معاوية نفسـه يقول: أنـا أول الملوك، و يـدخل عليه سـعد بن أبى‌وقـاص فيحييه قائلا ـ «السـلام عليـك أيها الملك»، و روى الطبرى عن عبـدالله بن المبارك بسـنده عن عبدالله بن مسعده أن معاوية مرت عليه يوما القطرات و الحائل و الجوارى و الخيول، فقال: رحم الله أبابكر لم يرد الـدنيا و لم ترده، و أما عمر، أو قال ابن‌حنتمـة، فأرادته الدنيا و لم يردها، و أما عثمان فأصاب من الدنيا و أصابت الدنيا منه، و أما نحن

فتمرغنا فيها، ثم كأنه ندم فقال: و الله انه لملك آتانا الله اياه»، و هكذا كانت خلافة المسلمين فى نظره ملكا آتاه الله اياه، بل ان الطبرى انما يقدم لنا الكثير من الروايات التى تبين مدى سعادة معاوية بملكه، حتى أنه ترك لضعاف النفوس من الناس يلقبونه، نفاقا أو رعبا، بألقاب النبوة و غيرها، دون أى حساب أو عقاب، أو حتى توجيه (أنظر تاريخ الطبرى ۵: ۳۳۴، ۳۳۲، ۳۳۰ و غيرها).

سب الامام على

كان من شروط صلح الامام الحسن مع معاوية أن يترك معاوية سب أميرالمؤمنين الامام على، كرم الله فى الجنة، و ألا يذكره الا بخير، فقد كان معاوية، فيما يروى ابن‌الأثير، «اذا قنت سب عليا و ابن‌عباس و حسن و حسين و الأشتر»، و كان الناس يحبون لمعاوية و عصبته من بنى‌أمية حين ملكوا و أن يعفوا، ولكن الذى بدا منهم غير عفيف، و غير كريم، لا يتفق مع الاسلام كدين و لا مع العروبة كحسب و نسب، فلقد أخذ معاوية بعد ابرام الصلح مباشرة فى سب الامام على، و بالغ فى انتقاصه، و لم يمنعه عنه انتقال الامام الى جوار ربه، و كان الباعث الى ذلك أن معاوية علم أنه لا يستقيم له أمر، الا بانتقاص الامام و النيل منه، و بهذه الطريقة يريد أن يشيد ملكه، و يقرر فى أنفس الناس أن بنى‌هاشم لا حظ لهم من هذا الأمر، و أن سيدهم الذى به يصولون، و بفخره

[صفحه ۱۰۶]

يفخرون (غير النبى بطبيعة الحال) هذا حاله، و هذا مقداره، فيكون من ينتمى اليه و يدل به عن الأمر أبعد، و عن الوصول اليه أشحط و أنزح، هذا فضلا عن احساس عميق من بنى‌أمية، بأن القلوب ما تزال تمسك كثيرا من الميل الى الامام على و آل بيته الطاهرين المطهرين، و من أجل ذلك راحوا يحاربون الناس حربين، حربا باللسان، و حربا بالسيف، يخيفونهم بالأولى فيحملونهم على الطاعة قسرا، و يزعزعون عقيدتهم بالثانية فيشوشون عليهم أفكارهم و يبلبلون عليهم خواطرهم.

بل انهم ليدفعونهم على الخروج على سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و التنكر لما أوصى به صلى الله عليه و سلم من حق أهل البيت الطاهرين المطهرين، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى صحيحة بسنده عن يزيد بن أرقم، قال: قام رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة و المدينة، فحمد الله و أثنى عليه، و وعظ و ذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، و أنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى و النور، فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به، فحث على كتاب الله و رغب فيه، ثم قال: و أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى».

هذا و يذهب الأستاذ العلايلى فيه كتابه «الامام الحسين» الى أن معاوية انما كان يرمى من سبه للامام على و آل البيت القضاء على الاثنين، يرمى بهذه الخطة الاستفزازية الى القضاء على بقايا أنصار الامام على من الرجالات الموهوبين، ذلك لأن سب الامام انما سيثير أنصاره، و هم فلول، و يؤكد هذا عنفه فى أخذ «حجر بن عدى» و سواه من الكثيرين، لما أظهروا الاستياء من السب العلنى، و النيل الخالى من الذوق الدينى و الأدبى، و فى نفس الوقت كانت الخطة تهدف الى الهاشميين، و بالأخص الامام الحسن و الامام الحسين و عبدالله بن جعفر، و بذلك يقضى معاوية على النزاع التاريخى بين بنى‌هاشم و بنى‌أمية.

[صفحه ۱۰۷]

هذا و قد بدأت هذه العادة الخسيسة، منذ اللحظة الأولى لتنازل الامام الحسن لمعاوية، و طبقا لرواية أبوالفرج فى «مقاتل الطالبيين»،

فلقـد خطب معاویـة لما بویع فذکر علیا فنال منه، و نال من الحسن، فقام الحسن لیرد علیه فأخذ الحسن بیده، ثم قال فقال: «أیها الذاکر علیـا، أنـا الحسن، و أبیعلی، و أنت معاویـة، و أبـوک صـخر، و أمی فاطمـة، و أمـک هنـد، وجـدی رسول الله صـلی الله علیه و سـلم وجـدک حرب، وجـدتی خدیجـة، وجـدتک قتیلـة، فلعن الله أخملنـا ذکرا، و ألأمنا حسـبا، و شـرنا قـدما، و أقـدمنا کفرا و نفاقا، فقال طوائـف من أهـل المسـجد: آمین، قـال فضـل، فقـال یحیی بن معین: نحن نقـول آمین، قـال أبوعبیـد: و نحن أیضـا نقـول: آمین، قـال أبوالفرج، و أنا أقول آمین».

و بـدهی لئن کانت حرمـة الصـحابة واجبـة، فالذی لا شک فیه أن حرمـة آل بیت رسول الله صـلی الله علیه و سـلم أوجب، و بخاصـة أن الحق کان علی الدوام فی جانبهم، کما کانوا هم علی الدوام فی جانب الحق، لا شبهة فی ذلک، فاذا کانت قریش قد حاجت العرب و أهـل الأمصـار بـالنبوة، فـآل النبی صـلی الله علیه و سـلم هم بیت النبوة، و لاـ شک أن بدعـة سب الامام علی و آل بیته، انما هی بـدعة خسـیسة دنیئـة، لاـ تخرج عن أصل کریم، أو حتی عـدو شـریف، و قـد أقام معاویـة و خلفـؤه من بعـده من بنیأمیـة منابر یتناوب علیها الخطباء فی سب الامام علی، کرم الله وجهه فی الجنة، و فی افتراء الأباطیل للنیل منه و الزرایة علیه، و قد روی أن معاویة عزل سعید بن العاص عن ولایة المدینة لأنه امتنع عن سب الامام علی علی منبر رسول الله صلی الله علیه و سلم، کما روی ذلک أن معاویة کان یقول فی آخر خطبته «اللهم ان أباتراب (و أبوتراب أطلقه النبی علی الامام علی) ألحـد فی دینک وصد عن سبیلک فالعنه لعنا وبیلا، و عذبه عـذابا ألیما»، و کتب بـذلک من عماله معاویـة الذین فعلوا ذلک المغیرة بن شـعبة، یترضـی معاویة بالطعن فی الامام علی، ثم لا یقف عنـد هـذا، بل یلعنه علی المنابر، ثم یجاوز ذلک الی أن یغری الناس بلعنه، حتی یحتفظ بولایـة الکوفـة، و روی الطبری أن معاویـة لما أولی المغیرة الکوفة عام ۴۱ ه دعاه فقال له: أردت ایصاءک بأشیاء کثیرة فأنا تارکها اعتمادا

[صفحه ۱۰۸]

علی بصـرک... و لست تارکا ایصاءک بخصـلة، لا تتم (لا تتورع) عن شـتم علی و ذمه، و الترحم علی عثمان و الاسـتغفار له، و العیب علی أصـحاب علی، و الاقصاء لهم، و ترک الاسـتماع منهم... و أقام المغیرة (والیا علی الکوفة) سبع سنین و أشهرا، و لا یدع شتم علی و لا الوقوع فیه»، و روی الجاحظ فی بعض رسائله قال، قال المغیرة بن شعبة، و هو عامل معاویة یؤمئذ، لصعصعة بن صوحان، قم فالعن علیـا، فقام فقال: «ان أمیرکم هـذا أمرنی أن ألعن علیا، فالعنوه، لعنه الله، و هو یضـمر المغیرة»، و روی الطبری أن المغیرة قال لصعصـعة بن صوحان العبـدی: «ایاک أن یبلغنی عنک أنک تذکر شیئا من فضل علی علانیة، فانک لست ذاکرا من فضل علی شـیئا أجهله، بل أنا أعلم بـذلک، ولکن هـذا السـلطان قـد ظهر، و قد أخذنا باظهار عیبه، أی عیب الامام علی، للناس، فنحن نذکر شیئا مما أمرنا به، و نذکر الشـیء الذی لا نجد منه بدا، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسـنا تقیة»، و روی ابنالأثیر أن المغیرة لما ولی الکوفة استعمل «کثیر بن شهـاب» علی الری، و کـان کثیر یکثر سب علی علی منبر الری، و بقی علیهـا الی أن ولی زیـاد الکوفـة فـأقره علیها»، و هناک بسـر بن أرطأه الـذی ولاه معاویـة البصـرة، روی الطبری أنه خطب علی منبر البصـرة فشـتم علیا، علیهالسـلام، ثم قال: «نشدت الله رجلا علم أنی صادق الا صـدقنی أو کاذب الا کـذبنی، فقال أبوبکرة: اللهم انا نعلمک الا کاذبا، قال فأمر به فخنق، فقام أبولؤلؤة الضبی فرمی بنفسـه علیه فمنعه، فقیل لأبیبکرة ما أردت لما صنعت، قال: أیناشدنا بالله ثم لا نصدقه».

و روی الحافظ السیوطی أنه کان فی أیام بنیأمیة أکثر من سـبعین ألف منبر یلعن علیها ابن أبیطالب، و ذلک بما سنه لهم معاویة، و فی الواقع لقد کان مجهود معاویة فی هذه السبل ما طفحت به السـیر و التواریخ و هو أول من سن الجهر بسب صحابة رسول الله صلی الله علیه و سلم و أول من فتح هذا الباب علی مصراعیه، و هکذا ظل بنوأمیة طیلة عهد دولتهم، التی استمرت قرابة تسعین عاما، یسبون الامام علی و أهل البیت علی منابر المسلمین، - الا أیام عمر بن عبدالعزیز -،

[صفحه ۱۰۹]

فما نالوا من ذلك منالا،و لا حولوا أحدا عن حب الامام و آل البيت الكرام على تعاقب الزمن و اختلاف العصور، يقول أبوجعفر الاسكافى فى كتابه «نقض رسائل العثمانية للجاحظ»، فكان الأمويون لا يألون جهدا فى طول ملكهم أن يخمدوا ذكر على، عليه‌السلام، و ولده، و يطفئوا نورهم، و يكتموا فضائلهم و مناقبهم و سوابقهم،و يحملوا الناس على سبهم و لعنهم على المنابر، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم، مع قلة عددهم، و كثرة عدوهم، فكانوا بين قتيل و أسير، و شريد و هارب، و مستخف و خائف مترقب، حتى أن الفقيه و المحدث و القاص و المتكلم، ليتقدم اليه و يتوعد بغاية الابعاد و أشد العقوبة، ألا يذكر شيئا من خصائصهم،و لا يرخصوا لأحد أن يطيف بهم، و حتى بلغ من تقية المحدث اذ ذكر حديثا شريفا، رواه على، عليه‌السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، كنى عن ذكر الامام على، فقال، قال رجل من قريش، و فعل رجل من قريش، و لا يذكر الامام عليا و لا يتفوه باسمه، ثم ان بعض المختلفين قد حاولوا نقض فضائلة و وجهوا الحيل و التأويلات نحوها، و من خارجى مارق، و ناصبى حنق، و ناشىء معاند، و منافق مكذب، يعترض فيها و يطعن، و معتزلى قد نظر فى الكلام، و أبصر علم الاختلاف و عرف الشبه و مواطن الطعن و ضروب التأويل، قد التمس الحيل فى ابطال مناقبه، عليه‌السلام، و تأويل مشهور فضائله، فمرة يتأولها بما لا يحتمل، و مرة يقصد أن يضع من قدره بقياس منتقص، و لا يزداد مع ذلك، الا رفعة و علوا، و وضوحا و استنارة»، و قد روى صاحب العقد الفريد أن بعض العلماء قال لولده: يا بنى ان الدنيا لم تبن شيئا الا هدمه الدين، و ان الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا، ألا ترى أن قوما لعنوا عليا ليخفضوا منه، فكأنما أخذوا بناصيته جرا الى السماء».

هذا و قد أثار سب الامام على، كرم الله وجه فى الجنة، سخط الأخيار من المسلمين، و أهل التقوى و الورع منهم، فضلا عن كرام الحسب، و أصحاب الأخلاق الكريمة، هذا فضلا عن أن سب المسلم من أفحش المحرمات، فقد أثر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال «سباب المسلم فسوق»،

[صفحه ۱۱۰]

و قال «لا يكون المؤمن لعانا»، و روى عن الصحابى الجليل زيد بن أرقم أنه رأى المغيرة بن شعبة يسب أميرالمؤمنين على رضى الله عنه فانبرى له منكرا سبه للامام قائلا: «يا مغيرة ألم تعلم أن رسول الله نهى عن سب الأموات، فلم تسب عليا، و قد مات»، هذا و قد كان سعد بن أبى‌وقاص رضى الله عنه من أوائل صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم الذين غضبوا لسب الامام على، فلقد أخرج مسلم فى صحيحه، و الامام النسائى فى فضائل الامام على، و الترمذى فى الجامع عن عامر بن سعد بن أبى‌وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبى‌سفيان سعدا، فقال ما منعك أن تسب أباتراب، فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه و سلم فلن أسبه، لأن تكون لى واحدة منهن أحب الى من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول له، خلفه فى بعض مغازيه، فقال له على: يا رسول الله، خلفتنى مع النساء و الصبيان، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، الا أنه لا نبوة بعدى، و سمعته يقول يوم خيبر، لأعطين الراية رجلا يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، قال فتطاولنا لها، فقال أدعو لى عليا، فأتى به أرمد، فبصق فى عينيه و دفع الراية له، ففتح الله عليه، و لما نزلت هذه الآية (فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم...) (آل عمران ۶۱) دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم عليا و فاطمة و حسنا و حسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلى».

و لعل هذا الحديث الشريف، (و غيره مما سيأتى) يقطع كل حجة لمن يعتذرون لمعاوية، بأنه ربما لم يكن على معرفة بمكانة الامام

علی فی الاسلام - و قد أسلم یوم فتح مکهٔ - أما الآن، و قد ذکره سعد بن أبی‌وقاص (أحد العشرهٔ المبشرین بالجنهٔ و أحد و الستهٔ الذین ذکروا فی الشوری)، فهل کف معاویهٔ بعد ذلک، عن سب الامام علی، رضی الله عنه و کرم الله وجهه فی الجنهٔ، و الجواب یعرفه جیدا أولئک المتعصبون لبنی‌أمیهٔ (و انظر الآیات و الأحادیث التی وردت فی فضل الامام علی، فی کتابنا عن الامام علی).

و روی المسعودی و الطبری أنه لما حج معاویهٔ طاف البیت و معه سعد بن أبی‌وقاص، فلما فرغ معاویهٔ انصرف الی دار الندوهٔ، فأجلسه معه علی سریره،

[صفحه ۱۱۱]

و وقع معاویهٔ فی علی و شرع فی سبه، فزحف سعد ثم قال: «أجلستنی معک علی سریرک ثم شرعت فی سب علی، و الله لأن تکون فی خصلهٔ واحدهٔ من خصال کانت لعلی أحب الی من أن یکون لی ما طلعت علیه الشمس، و الله لأن أکون صهر رسول الله صلی الله علیه و سلم و أن لی من الولد ما لعلی أحب الی من أن یکون لی ما طلعت علیه الشمس، و الله لأن یکون رسول الله صلی الله علیه و سلم قال لی ما قاله یوم خیبر، و الله لأعطین الرایهٔ غدا رجلا یحب الله و رسوله، و یحبه الله و رسوله، لیس بفرار یفتح الله علی یدیه، أحب الی من أن یکون لی ما طلعت علیه الشمس، و الله لأن یکون رسول الله صلی الله علیه و سلم قال لی فی غزوهٔ تبوک: ألا ترضی أن تکون منی بمنزلهٔ هارون من موسی، الا أنه لا نبی بعدی، أحب الی من أن یکون لی ما طلعت علیه الشمس، و ایم الله لا دخلت لک دارا ما بقیت، ثم نهض»، و روی أن سعدا لما قال ذلک لمعاویهٔ و نهض لیقوم ضرط له و قال له: أقعد حتی تسمع جواب ما قلت: ما کنت عندی ألأم منک الآن، فهلا نصرته، و لم قعدت عنه، فانی لو سمعت من النبی صلی الله علیه و سلم ما سمعت فیه لکنت خادما لعلی ما عشت، فقال سعد: و الله انی لأحق بموضعک منک، فقال معاویهٔ: یأبی ذلک بنوعذرهٔ، و کان سعد، فیما یقال لرجل من بنی‌عذرهٔ.

علی أن ابن عبدربه انما یروی أن معاویهٔ لما حج دخل المدینهٔ و أراد أن یعلن علیا علی منبر رسول الله صلی الله علیه و سلم فقیل له ان ها هنا سعد بن أبی‌وقاص، و لا نراه یرضی بهذا، فابعث الیه و خذ رأیه، فأرسل الیه و ذکر لک ذلک، فقال: ان فعلت لأخرجن من المسجد، لا أعود الیه، فأمسک عن لعن علی حتی مات سعد، فلما مات لعنه علی المنبر، و کتب الی عماله یلعنونه علی المنابر ففعلوا، فکتبت أم المؤمنین أم‌سلمهٔ الی معاویهٔ: «انکم تلعنون الله و رسوله علی منابرکم، و ذلک أنکم تلعنون علیا بن أبی‌طالب و من أحبه، و أنا أشهد أن الله أحبه و رسوله، فلم یلتفت معاویهٔ الی کلامها».

و أخرج الامام أحمد و الحاکم الهیثمی و الطبری و أبویعلی عن عبدالله الجدلی قال: دخلت علی أم‌سلمهٔ، فقالت لی: أیسب رسول الله صلی الله علیه و سلم فیکم،

[صفحه ۱۱۲]

فقلت معاذ الله (أو سبحان الله أو کلمهٔ نحوها)، قالت سمعت رسول الله صلی الله علیه و سلم یقول: «من سب علیا فقد سبنی.»

و فی روایهٔ للحاکم فی المستدرک: قالت (أی أم المؤمنین أم‌سلمهٔ): سمعت رسول الله صلی الله علیه و سلم یقول: من سب علیا فقد سبنی و من سبنی فقد سب الله. (و ذکره المتقی فی کنز العمال و قال: أخرجه ابن أبی‌شیبهٔ)، و روی المحب الطبری فی الذخائر عن عمرو بن شاش الأسلمی أنه قال قال رسول الله صلی الله علیه و سلم: من أحب علیا فقد أحبنی، و من أبغض علیا فقد أبغضنی، و من آذی علیا فقد آذانی، و من آذانی الله عزوجل. (قال: اخرجه أبوعمر النمری).

و روى أن ابن‌عباس مر بقوم ينالون من الامام على و يسبونه فقال ابن‌عباس لقائده (و كان قد فقد بصره): أدننى منهم، فلما أدناه منهم، قال لهم: أيكم الساب لله، فقالوا نعوذ بالله أن نسب الله، فقال لهم أيكم الساب لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا نعوذ بالله أن نسب الله صلى الله عليه و سلم، فقال لهم أيكم الساب لعلى بن أبى‌طالب، قالوا: أما هذه فنعم، فقال لهم: أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من سبنى فقد سب الله، و من سب عليا فقد سبنى»، فأطرق القوم و لم يتكلموا فوجلوا»، و هكذا كان نتيجة للضغط السياسى، و اغراء الناس بمال، و تخويفهم بالوعد و الوعيد، و تأويلهم الأحداث طبقا لهوى معاوية و بقية قومه الأمويين، أصبح الناس يرون رضى معاوية و طاعته، انما تظهر فى سب الامام على كرم الله وجهه فى الجنة، و بمرور الأيام رأوا طاعة معاوية فى جعل لعن الامام على و سبه (و العياذ بالله) سنة ينشأ عليها الصغير، و يهلك عليها الكبير، روى ابن‌حجر الصواعق المحرقة، أن رجلا من أهل الشام كان يلعن عليا كل يوم ألف مرة، و فى يوم الجمعة الآف المرات، و أولاده معه، فرأى النبى صلى الله عليه و سلم فى المنام، فبصق فى وجهه، فأصبح وجهه وجه خنزير.

هذا و قد بلغ بنوأمية فى الاصرار على لعن الامام على (و العياذ بالله) أن غيروا سنن الدين فى الصلاة، و ابتدعوا فيه ما ليس فيه، حتى روى أن معاوية (و قيل مروان بن الحكيم) قدم خطبة العيد على الصلاة، و كان النبى صلى الله عليه و سلم

[صفحه ۱۱۳]

يؤخرها، و ذلك لأن معاوية - أو مروان، و هذا ما نميل اليه - انما كان يصر على لعن الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، على المنبر فى خطبته، فكان الناس ينصرفون بمجرد أن يفرغ من الصلاة، كى لا يسمعوا هجوه و لعنه لأشرف بيت فى تاريخ الدنيا، فقدم الخطبة على الصلاة ليحبس الناس و يضطرهم لسماع التشهير و اللعن للامام على و آل بيته الطاهرين المطهرين، بل لقد بلغ كره الأمويين للامام على و آل البيت الى درجة الاعتداء على حرمة مولانا و سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، روى السمهودى فى «وفا الوفا بأخبار دار المصطفى» عن هارون بن عبدالملك بن الماجسون، و أن خالد بن الوليد بن الحارس بن الحكيم بن العاص الأموى، قام على منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم جمعة، فقال: لقد استعمل رسول الله صلى الله عليه و سلم على بن أبى‌طالب و هو يعلم أنه خائن، ولكن شفعت له ابنته فاطمة، و كان داود بن قيس فى الروضة، فقال: آس أى يسكته قال فمزق الناس قميصا كان عليه شقائق حتى و تروه، و أجلسوه، حذرا عليه، ثم قال هارون بن عبدالملك، رأيت كفا خرجت من قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يقول: «كذبت يا عدو الله، كذبت يا كافر، مرارا».

و روى عن عبدالله بن ظالم أنه قال: «لما بويع لمعاوية أقام المغيرة بن شعبة خطباء يلعنون عليا، فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (أحد العشرة المبشرين بالجنة): ألا ترون الى هذا الظالم أمر بلعن رجل من أهل الجنة»، و عن أبى‌بكر بن عبدالله الأصبهانى قال: كان لبنى‌أمية دعى يقال له، خالد بن عبدالله القسرى، لا يزال يشتم عليا، فلما كان يوم الجمعة، و هو يخطب الناس قال: و الله أن كان رسول الله ليستعمله، و انه ليعلم ما هو، ولكنه كان ختنه (صهره) و قد نعس سعيد بن المسيب ففتح عينيه و قال و يحكم، ما قال هذا الخبيث، رأيت القبر انصدع، و رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: كذبت يا عدو الله».

و هكذا، وفى عهد معاوية و ولده يزيد، و فى ولاية الحجاج على العراق، كان سبيل من يتهم بحب أهل بيت النبى صلى الله عليه و سلم القتل أو الضرب أو السجن أو التشريد، و رغم ذلك فقد ازداد الناس ايمانا و تمسكا بحبهم و ولائهم، و قد قتل

[صفحه ۱۱۴]

معاویـة خلقا کثیرا ممن أبی أن یعلن الامام علیا أو یتبرأ منه أو عارض مبدأ اللعن و البراءة من أساس، و کان الامام علی کرم الله وجهه فی الجنـة، علی علم بما سیلحق بشیعته بعد وفاته، فقال لهم: سـتدعون الی سبی فسـبونی، ثم تدعون الی البراءة منی، فلا تتبرأوا منی، فانی لعلی دین محمد صـلی الله علیه و سـلم، أخرج الحافظ عبدالرزاق فی المصنف عن حجر المدری قال، قال لی علی بن أبی‌طالب: کیف بک اذا أمرت أن تلعننی، قلت و کائن ذلک، قال نعم، فکیف أصنع، قال: العنی و لا تتبرأ منی، و قال فأمرنی محمد بن یوسف، أخو الحجـاج، و کـان أمیرا علی الیمن، أن ألعن علیـا، فقلت: «ان الأمیر أمرنی أن ألعن علیا، فالعنوه، لعنه الله، فما فطن لها الا رجل»، و مع ذلک فلقـد فضل جماعـة من أنصار أهل البیت القتل علی السب و اللعن و البراءة، بل فضـلوا القتل علی أن یسـمعوا من یمس مقام الامام علی بمکروه، و منهم الصـحابی الجلیل عمرو بن الحمق، فقتله معاویة، و أرسل برأسه الی امرأته، فوضـعت الرأس فی حجرها، و قالت لرسول معاویة: سترتموه عنی طویلا، و أهدیتموه لی قتیلا، فأهلا و سهلا من هدیة، غیر قالیة و لا بمقلیة، و منهم حجر بن عدی و أصحابه.

و روی ابن عبـدربه، أن رجلاـ من أهـل الشـام دخل علی معاویـة، فقام خطیبا، فکان آخر کلامه أن لعن الامام علیا، کرم الله وجهه فی الجنـة، فأطرق الناس، و تکلم الأحنف بن قیس، فقال یا أمیرالمؤمنین ان هـذا القائل لو یعلم أن رضاک فی لعن المرسـلین لعنهم، فاتق الله ودع عنک علیا، فقد لقی ربه، و أفرد فی قبره، و خلا بعمله، و کان الله ما علمنا، المبرر بسـبقه (الی الاسـلام) الطاهر خلقه، المیمون نقیبته، العظیم مصـیبته، فقال له معاویة: یا أحنف، لقد أغضـیت العین علی القذی و قلت ما تری، و ایم الله لتصـعدن المنبر فتلعنه، طوعا أو کرهـا، فقـال له الأـحنف یـا أمیرالمؤمنین ان تعفنی فهو خیر لک، و ان تجبرنی علی ذلک، فوالله لا تجری فیه شـفتای أبـدا، قال قم فاصعد المنبر، قال الأحنف: أما والله مع ذلک لأنصفنک فی القول و الفعل، قال و ما أنت قائل یا أحنف ان أنصفتنی، قال أصعد المنبر فأحمد الله بما هو أهله، و أصلی علی

[صفحه ۱۱۵]

نبیه صـلی الله علیه و سـلم ثم أقول: أیها الناس: ان أمیرالمؤمنین معاویـة أمرنی أن ألعن علیا، و ان علیا و معاویـة اختلفا فاقتتلا، و ادعی کـل واحـد منهمـا أنه بغی علیه و علی فئته، فـان دعـوت فـأمنوا رحمکم الله، ثم أقول: اللهم ألعن أن و ملائکتـک و أنبیـاؤک و جمیع خلقک، الباغی منهما علی صاحبه، و العن الفئة الباغیة اللهم العنهم لعنا کبیرا، أمنوا رحمکم الله، یا معاویة لا أزید علی هذا و لا أنقص منه حرفا، و لو کان فیه ذهاب نفسی، فقال معاویة: اذا نعفیک یا أبابحر» و کان کثیر بن السهمی الشاعر من أشد المنکرین لسب الامام علی، و فی ذلک الوقت یقول:

لعن الله من یسب علیا
و حسینا من سوقة و امام

أیسب المطهرون جدودا
و الکرام الأخوال و الأعمام

یأمن الطیر و الحمام و لا
یأمن آل الرسول عند المقام

طبت بیتا و طاب أهلک

أهل بیت النبی و الاسلام

رحمة الله و السلام علیهم

کلما قام قائم بسلام

و استمرت هـذه المهزلـة الأمویـة سبة فی جـبین صاحبهـا و قومه، و لیس فی حق الامـام علی، فهو أفضـل عنـد الله من معاویـة و قومه الأمویین جمیعا، لو کانوا یعرفون للناس أقـدارهم، و من عجب فقـد خاض جمیع خطباء المساجـد فی الدولـة، دونما حیاء أو خجل، و نفاقا و تزلفا لمعاویـة و خلفائه، فی سب ابن عم رسول الله صـلی الله علیه و سـلم و آل بیته، و جاوز خطباء بنیأمیة حد النهیة و المروءة فی الجهـد بـذلک، و نطق بها عبـدالعزیز بن مروان علی منبر المسـجد الجامع بفسـطاط مصـر، ولکنه کان فطنا فقلق و رجف، و تعثر و تلعثم کلما هم بها، و لو وجـد من یکفه لکف، روی ابنه الخلیفة الزاهد عمر بن عبدالعزیز رضـی الله عنه فقال: کان أبی اذا خطب فنال من علی رضی الله عنه، تلجلج، فقلت یا أبت انک تمضی فی خطبتک فاذا أتیت علی ذکر علی عرفت منک تقصیرا، قال أو فطنت الی ذلک، قلت نعم، قال یا بنی ان الذین حولنا لو یعلمون من علی ما نعلم تفرقوا عنا الی أولاده»، غیر أن عمر سرعان ما نسی ذلک عندما عاد الی المدینة لطلب العلم، فخاض فی البدعة مع قومه، حتی نبهه الی ذلک معلمه عبید

[صفحه ۱۱۶]

الله بن عبدالله بن عتبة بن مسـعود، فترک ذلک السـفه الأموی اللئیم، و ما أن أصبح خلیفة المسلمین (۱۰۱ - ۹۹) حتی قضی علی هذه الخسـیسة الأمویـة، فلقد کان عمر بن عبدالعزیز رضـی الله عنه، رغم أنه أموی، علی غیر سـنة قومه، فلم یقترف بدعتهم هذه التی سـنها لهم أول ملوکهم، و من ثم فقد ترک خسـیسة لعن الامام علی منابر المسلمین، و جعل مکانها الآیة ۱۰ من سورة الحشر (ربنا اغفرلنا و لاخواننا الـذین سـبقونا بالایمان و لا تجعل فی قلوبنا غلا للـذین آمنوا، ربنا انک غفور رحیم)، و قیل بل الآیة ۹۰ من سورة النحل (ان الله یـأمر بالعـدل و الاحسان و ایتاء ذی القربی و ینهی عن الفحشاء و المنکر و البغی یعظکم لعلکم تـذکرون)، قیل بل جعلهما جمیعا، فاسـتعمل الناس ذلک فی الخطبة الی هذا الیوم، و بدهی أن هذه شـهادة أمویة ضد معاویة و باطله، فضـلا عن شـهادة أخری من حفید معاویة نفسه و أعنی به معاویة الثانی بن یزید بن معاویة، کما أنها فی الوقت نفسه مکرمة للخلیفة الزاهد عمر بن عبدالعزیز لا تنسـی، و من ثم فقد مدحه کثیر من الشعراء علی ذلک، و منهم کثیر عزة الذی یقول.

و لیت فلم تشتم علیا و لم تخف

بریا و لم تتبع مقاله مجرم

تکلمت بالحق المبین انما

تبیین آیات الهدی بالتکلم

و صدقت معروف الذى قلت بالذى
فعلت فأضحى راضيا كل مسلم

فلما أتم «كثيرة عزة» انشاده، قال عمر أفلحنا اذن و قال السيد الشريف الرضى:

يا ابن عبدالعزيز لو بكت الع
ين فتى من أمية بكيتك

غير أنى أقول أنك قد طب
ت و ان لم يطب و يزك بيتك

أنت نزهتنا عن السب و القذ
ف فلو أمكن الجزاء جزيتك

و هناك مكرمة أخرى للخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز، فلقد أمر برد فدك الى ورثة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم بجميع حدودها و حقوقها المنسوبة اليها و ما فيها من الرقيق و الغلات، كما أشرنا الى ذلك فى كتابنا عن

[صفحه ۱۱۷]

«فاطمة الزهراء»، ثم مكرمة ثالثة، فلقد أرجع لموالى الامام على و مريديه حقوقهم المشروعة، ذلك أن قومه الأمويين لم يكتفوا بسب الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، على منابر المسلمين، و انما حرموا كذلك مجرد ذكر اسمه، كما أشرنا من قبل، يروى المؤرخون أن «رزيق» مولى الامام على قد حفظ القرآن و الفرائض، ولكنه لم يرزق شيئا من بيت المال، فوفد على عمر بن عبدالعزيز، شاكيا فلما سأله من أى الناس أنت، قال رجل من موالى بنى‌هاشم، فقال عمر: مولى من، فسكت رزيق، فقال عمر: أتكتمنى من أنت، قال رزيق بصوت خافت كأنه نجوى، مولى على بن أبى‌طالب (قد خاف أن يجهر) فقال عمر رافعا صوته: و أنا مولى على، أتكاتمنى ولاء على، حدثنى سعيد بن المسيب عن سعد بن أبى‌وقاص عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «من كنت مولاه، فعلى مولاه»، و روى عمر مورق أنه كان بالشام، و عمر يعطى الناس، فتقدم اليه، فلما سأله: من أنت، تردد، ثم قال من بنى‌هاشم، قال من أيهم، قال مولى على بن أبى‌طالب، فوضع يده على صدره و قال: أنا مولى على بن أبى‌طالب، حدثنى عدة أنهم سمعوا النبى صلى الله عليه و سلم يقول «من كنت مولاه، فعلى مولاه» ثم قال يا مزاحم: كم تعطى أمثاله، قال مائة درهم أو مائتين، فقال: اعطه خمسين دينارا لولايته لعلى بن أبى‌طالب عليه‌السلام، ثم قال له عمر: «الحق ببلدك فسيأتيك مثل نظرائك».
و هكذا جهد الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز أن يزيل كل ما لحق بالامام على و أهل بيته و مواليه من جرائم قومه، غير أن الأمور سرعان ما تعود الى ما كانت عليه قبل عهد الخليفة الزاهد، فعاد الأمويون مرة أخرى الى سب الامام على، و هكذا استمر بنوأمية منذ عهد معاوية، أول ملوكهم، و حتى نهاية دولتهم، ما عدا عهد عمر بن عبدالعزيز، يسيرون على هذه البدعة الدنيئة فى سب آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم، و على رأسهم الامام على بقية النبوة، و الذى جعل الرسول صلى الله عليه و سلم حبه علامة صحة ايمان

المؤمن، فلقد أخرج الترمذى بسنده عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال لعلى: «لا يحبك الا مؤمن و لا يبغضك الا منافق» و أخرج

[صفحه ۱۱۸]

الترمذى بسنده عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول «لا يحب عليا منافق، و لا يبغضه مؤمن»، و أخرج الامام أحمد بسنده عن على أنه قال «و الله انه مما عهد الى رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه لا يبغضنى الا منافق، و لا يحبنى الا مؤمن».

و روى الامام مسلم فى صحيحه بسنده عن عدى بن ثابت عن زر قال قال على: و الذى فلق الحبة وبرأ النسمة، انه لعهد النبى الأمى صلى الله عليه و سلم الى، أن لا يحبنى الا مؤمن، و لا يبغضنى الا منافق، (و رواه أيضا الترمذى و النسائى و ابن‌ماجة و الامام أحمد و الخطيب و أبونعيم و المتقى الهندى)، و أخرج الطبرانى بسنده عن أم‌سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من أحب عليا فقد أحبنى، و من أحبنى فقد أحب الله، و من أبغض عليا فقد أبغضنى، و من أبغضنى فقد أبغض الله، و أخرج الحاكم فى المستدرك بسنده عن أبى‌ذر قال: ما كنا نعرف المنافقين الا بتكذيبهم الله و رسوله، و التخلف عن الصلوات، و البغض لعلى بن أبى‌طالب، و أخرج الامام أحمد فى المناقب و الهيثمى فى مجمع الزوائد و الطبرانى فى الأوسط و المحب الطبرى فى الذخائر و ابن عبدالبر الاستيعاب عن جابر بن عبدالله قال: ما كنا نعرف منافقينا معشر الأنصار، الا ببعضهم عليا.

و روى أنس عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال «عنوان صحيفة المؤمن حب على بن أبى‌طالب»، و حق للامام على أن يكون كذلك، فقد كان من رسول الله صلى الله عليه و سلم بمنزلة الأخ الذى يحمل معه عبء الرسالة، و يشد أزره فيها، و هو كما قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنت منى بمنزلة هارون من موسى، الا أنه لا نبى بعدى»، و من ثم فحب الامام على من حب مولانا و سيدنا و جدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و حب سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم من تمام الايمان، أما من كان فى قلبه دخل، و فى صدره ضيق و حرج من دين الله، فانه يلبس الاسلام تقية، و يأخذه مظهرا، ثم لا يجد ما ينفس به شنآنه للاسلام و استخفافه به، و هو مع ذلک محسوب على المسلمين، الا بغض من يحبه رسول الله صلى الله عليه و سلم و انتقاص من يكرمه النبى صلى الله عليه و سلم و يدنيه منه، ففى هذا النفاق عاش و يعيش أولئك الذين يحاربون الله و رسوله، و يؤذون أولياء الله و رسوله أما من خلص قلبه من النفاق، فانه لا يجد فى قلبه الا الحب الوثيق، و الولاء

[صفحه ۱۱۹]

المكين، لآل رسول الله صلى الله عليه و سلم و صحابته الذين صحبهم، و فى مقدمة هؤلاء هؤلاء جميعا، ربيبه و ابن عمه و زوج ابنته الزهراء، و أبوسبطيه الحسن و الحسين، الامام على رضى الله عنه و كرم الله وجهه فى الجنة، أكرمنا بحب الله و رسوله، و حب الامام على، و حب آل بيت النبى و صحابته الكرام البررة.

خراج دار ابجرد

كان من شروط صلح الامام الحسن التى اشترطها على معاوية أن يعطيه خراج دار أبجرد يفرقه على الفقراء و المعوزين من شيعته، و على أبناء من قتلوا مع أبيه يوم الجمل و صفين، ولكن معاوية لم يف بذلک، يقول ابن‌الأثير: و أما خراج دار أبجرد، فان أهل البصرة منعوه منه و قالوا: هو فيئنا لا نعطيه لأحد، و كان منعهم بأمر معاوية أيضا، و هكذا سرعان ما طرد أهل البصرة عمال الحسن من الكورتين و أبوا أن يدفعوا اليه شيئا من خراجهما، و ان كان معاوية قد بر الحسن نفسه بالمال، فلم يجد فى حياته عسرا و لا ضيقا، و

ربما کان السبب فی منع خراج دار أبجرد أن معاویـهٔ أراد أن یکون المال بیـده، یبر به الامام الحسن ان شاء، و یمنعه ان أراد، کما أن الحسن أراد خراج دار أبجرد لینفق، کما أشرنا آنفا، علی الفقراء و المعوزین من شـیعهٔ آل البیت، هذا ما لا یریده معاویهٔ أبا، بل هو لا یرید أن یکون لآل البیت شیعهٔ أصلا، فضلا عن الانفاق علی الفقراء من هذه الشیعهٔ.

الامان العام لشیعهٔ علی و آل البیت

کـان من شـروط الصـلح الأمـان العـام و عـدم التعرض بسؤ لأنصـار الامـام علی علی الخصوص، و أنصار آل البیت بوجه عام، غیر أن معاویـهٔ جعل من أهـدافه القضاء علی هـذه الطبقـهٔ المؤمنـهٔ بحق أهل البیت، و قـد لاقی أنصار آل البیت من الأذی و الاضـطهاد ما تنؤ بحملهٔ الجبال، و کان أشدهم بلاء و أعظمهم محنهٔ أهل الکوفهٔ، فقد اسـتعمل معاویهٔ علیهم زیادا، بعد هلال المغیرهٔ، و کان بهم عالما، لأنه و یا للعجب کان منهم قبل استلحاقه بأبی‌سفیان، فأشاع فیهم القتل

[صفحه ۱۲۰]

و شـردهم، و قیـل أن معاویـهٔ کتب الی جمیع عمـاله «أنظروا الی مـا قـامت علیه البینـهٔ أنه یحب علیـا و أهل بیته فامحوه من الـدیوان و اسـقطوا عطاءه و رزقه»، و روی ابن أبی‌الحدیـد أن معاویهٔ کتب الی عماله «برئت الذمهٔ ممن یروی شـیئا فی فضائل علی و أهله بیته، و أن لا ـ یجیزوا للشـیعهٔ شـهادهٔ، و أن یمحو کل شـیعی من دیوان العطاء و ینکلوا به و یهـدموا داره»، و امتثل العمال لأمر سـیدهم، فقتلوا الشـیعهٔ و شـردوهم و قطعوا الأیـدی و سـملوا الأعین و صـلبوهم فی جـذوع النخل، و زاد الضـغط بعد معاویهٔ أضـعافا، خاصهٔ فی عهد عبیدالله بن زیاد، قاتل الامام الحسـین، و الحجاج الثقفی هادم الکهبهٔ، فقتلوا الشیعهٔ کل قتلهٔ، و أخذوا بکل ظنهٔ و تهمهٔ حتی أن الرجل لیقال له زندیق أو حتی کافر، أحب الیه من أن یقال له شـیعی، و فی ذلک یقول الامام الباقر رضـی الله عنه: و قتلت شیعتنا بکل بلدهٔ و قطعت الأیدی و الأرجل علی الظنهٔ، و کان من یذکر بحبنا أو الانقطاع الینا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره»، و هکذا أصبحت مودهٔ أهل بیت النبی صلی الله علیه و سلم کفرا و الحادا، و مروقا عن الدین، و فی هذا یقول الشاعر الکمیت.

یشیرون بالأیدی الی قولهم
ألا خاب هذا و المشیرون أخیب

فطائفه قد کفرتنی بحبکم
و طائفه قالوا مسیء و مذنب

یعیبوننی من خبهم و ضلالهم
علی حبکم بل یسخرون و أعجب

و قالوا ترابی هواه و رأیه
بذلک أدعی فیهم و ألقب

و يقول عبدالله بن كثير السهمى:

انى امرؤ أمست معايبه

حب النبى لغير ذى ذنب

و بنى أبى حسن و والدهم

من طاب فى الأرحام و الصلب

أيعد ذنبنا أن أحبهم

بل حبهم كفارة الذنب

و هكذا ما استقرت الأمور لمعاوية، و خلا الميدان الا منه، حتى أخذ ينتقم شر انتقام من أنصار الامام على و آل بيت الطاهرين، ففريق منهم روع فى ظلمات السجون، و بقى فيها يلاقى الأمرين حتى انتقل الى الرفيق الأعلى، كما

[صفحه ۱۲۱]

حدث مع محمد بن أبى‌حذيفة، و منهم من شرد فى الأرض حتى مات منفيا عن وطنه و أهله كصعصعة بن صوحان، و منهم من قتل صبرا فى الاسلام، من أمثال عمرو بن الحمق و حجر بن عدى و أصحابه، هذا و تصور محنة حجر و أصحابه محنة امتحن بها زياد الاسلام و المسلمين، و شاركه معاوية فى هذا الامتحان، فتركت فى نفوس المعاصرين لهما أقبح الأثر و أشنعه، و كانت صدمة عنيفة لمن بقى من خيار الناس فى تلك الأيام، روى ابن‌حجر فى الاصابة عن الحاكم أن ابن‌سعد و مصعب الزبيرى، ذكرا أنه وفد على النبى صلى الله عليه و سلم و أخوه هانىء بن حجر، فهو اذن صحابى، و أن رأى آخرون أنه من التابعين، هذا و تكاد تجمع المصادر على أنه شارك فى حرب الشام و أحسن فيها البلاء، و كان فى مقدمة الجيش الذى دخل «مرج عذراء» قريبا من دمشق، فكان هو الذى افتتحها ثم قتل فيها، كما يقول ابن‌حجر، و روى أن حجر لما عرف أنه بهذه القرية، حين أمر معاوية بقتله، قال «و الله انى لأول مسلم نبحته كلابها، و أول مسلم كبر بواديها» ثم تحول الى العراق مجاهدا فى سبيل الله، فشارك فى غزو بلاد الفرس، و أبلى أحسن البلاء فى نهاوند، و رابط فى الكوفة مع المرابطين بعد الفتح.

و كان حجر بن عدى رجلا حرا، صادق الدين، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و يرضى عن السلطان ان أحسن، و يسخط عليه ان أساء، و كان بعد صلح الحسن معارضا لسلطان معاوية و عامله المغيرة بن شعبة، ولكنه لم يخلع يدا عن طاعة، و انما كان، كما كان عامة أهل الكوفة، يذعن للسلطان حتى يستريح بر أو يموت فاجر، و كان ينكر أشد الانكار سنة بنى‌أمية فى شتم الامام على و أصحابه على المنبر، و لم يكن يخفى انكاره، و انما كان يبادى به المغيرة بن شعبة، و كما أشرنا من قبل، أن معاوية كان قد أوصى المغيرة، و حين ولاه الكوفة، أن لا يترك شتم الامام على و ذمه، و أن المغيرة أقام سبع سنين و أشهرا فى الكوفة لا يدع شتم الامام على و الوقوع فيه، و كان حجر اذا سمع المغيرة يشتم الامام على لا يسكت، و انما كان هو و أنصاره، و هم جمهور أهل الكوفة، يردون عليه «بل اياكم قد ذمم الله و لعن»، و استمر الأمر كذلك المغيرة

[صفحه ۱۲۲]

شتم الامام علی و أنصاره، و حجر یرد علیه ولی زیاد الکوفة بعد المغیرة، و کان لحجر صدیقا، فقربه و نصح له بایثار العافیة، و حذره من بأسه، ان جعل علی نفسه سبیلا، ولکن الأمر ما لبث أن فسد بین حجر و زیاد، و ظهر هذا الفساد حین قتل عربی مسلم رجلا من أهل الذمة، فکره زیاد أن یقید من العربی المسلم لذمی، و قضی بالدیة، و أبی أهل الذمی الدیة و قالوا: کنا نخبر أن الاسلام یسوی بین الناس، و لا یفضل عربیا علی غیر عربی، و غضب حجر لقضاء زیاد و أبی أن یسکت علی امضائه، و قام الناس معه فی ذلک حتی أشفق زیاد من الفتنة ان أمضی قضاءه، فأمر بالقصاص علی کره منه، و کتب فی حجر و أصحابه الی معاویة یشکو صنیعهم، فکتب الیه معاویة أن ینتظر به و بأصحابه أول حجة تقوم علیه.

ثم سرعان ما ازدادت الأمور سوءا بین حجر و زیاد بسبب شتم الامام علی، کرم الله وجهه فی الجنة، ثم أظهر زیاد، کما یقول ابن عبدالبر فی الاستیعاب، من الغلظة و سوء السیرة، ما أظهر خلعه حجر، و لم یخلع معاویة و تابعه جماعة من أصحاب علی و شیعته و حصبه یوما فی تأخیر الصلاة هو و أصحابه، فکتب فیه زیاد الی معاویة فأمره أن یبعث به الیه، مع وائل بن حجر الحضرمی، فی اثنی عشر رجلا کلهم فی الحدید»، غیر أن زیادا انما طلب من أهل الکوفة کذلک أن یشهدوا علی حجر و أصحابه، و طبقا لروایه الطبری، فلقد شهد رؤوس الأرباع (عمرو بن حریث و خالد بن عرفطة و قیس بن الولید بن عبدشمس و أبوبردة بن أبی‌موسی) علی أن حجرا جمع الیه الجموع و أظهر شتم الخلیفة و دعا الی حرب أمیرالمؤمنین، و زعم أن هذا الأمر لا یصلح الا فی آل أبی‌طالب، و وثب بالمصر، و أخرج عامل أمیرالمؤمنین، و أظهر عذر أبی‌تراب (یعنی الامام علی) و الترحم علیه و البراءة من عدوه، و أهل حربه، و أن هؤلاء النفر الذین معه هم رؤوس أصحابه، و علی مثل رأیه و أمره»، و رغم ما فی هذه الشهادة الکذوب من أباطیل و افتراءات علی حجر و أصحابه، فقد رأی زیاد أن هذه الشهادة غیر قاطعة، کما أحب أن یکون أکثر من أربعة، فکتب له ابن أبی

[صفحه ۱۲۳]

موسی الأشعری شهادة أخری، جاء فیها «هذا ما شهد علیه أبوبردة بن أبی‌موسی لله رب العالمین، شهد أن حجرا خلع الطاعة، و فارق الجماعة و لعن الخلیفة، و دعا الی الحرب و الفتنة، و جمع الیه الجموع یدعوهم الی نکث البیعة و خلع أمیرالمؤمنین معاویة، و کفر بالله عزوجل کفرة صلعاء» و هنا رضی زیاد و طلب الی الناس أن یمضوا هذه الشهادة، فأمضاها خلق کثیر، حتی بلغ الشهود سبعین رجلا، و کان منهم جماعة من أبناء المهاجرین، بینهم ثلاثة من بنی طلحة، و عمر بن سعد بن أبی‌وقاص و المنذر بن الزبیر، و لم یتحرج زیاد من أن یکتب أسماء نفر لم یشهدوا و لم یحضروا هذه الشهادة، فمن هؤلاء من برأ نفسه أمام الناس، و منهم من کتب الی معاویة یبریء نفسه من هذه الشهادة الکذوب، و منهم شریح القاضی، الذی کتب الی معاویة یشهد أن حجرا رجل صالح من المسلمین، یقیم الصلاة و یؤتی الزکاة و یصوم و یحج و یعتمر، و أن دمه حرام، فلما قرأ معاویة کتاب شریح لم یزد علی أن قال: «أما هذا فأخرج نفسه من الشهادة».

و حمل حجر و أصحابه الی معاویة، فأمر ألا یدخلوا دمشق و أن یحبسوا بمرج عذراء، و هی القریة التی کان حجر أول مسلم دخلها فکبر فی بوادیها، ثم أمر معاویة بقراءة کتاب زیاد و شهادة الشهود، ثم استشار فی الأمر من حضره من أشراف قریش و وجوه أهل الشام، فمنهم من أشار علیه بحبسهم، و منهم من أشار بتفریقهم فی قری الشام، ولکن سرعان ما جاءه کتاب من زیاد یقول: «ان کانت لک حاجة بالعراق فلا تردهم الی»، و هنا أمر معاویة نفر من أهل الشام أن یعرضوا علیهم البراءة من الامام علی و اللعن له، فان فعلوا و الا قتلوا، و رفض حجر و سبعة معه، و هنا یروی الطبری أن یزید بن حجیة أقبل حتی مر بهم بعذراء، فقال یا هؤلاء، أما و الله ما أری

براءتکم، و لقد جئت بکتاب فیه الذبح، فمرونی بما أحببتم مما ترون أنه نافع لکم أعمل به لکم و أنطق به، فقال حجر: أبلغ معاویهٔ أنا علی بیعتنا، لا نستقیلها و لا نقیلها، و أنه انما شهد علینا الأعداء و الأظناء، فقدم یزید بالکتاب الی معاویهٔ فقراه، و بلغه یزید مقالهٔ حجر، فقال

[صفحه ۱۲۴]

معاویهٔ: «زیاد أصدق عندنا من حجر»، هذا کما أقبل کذلک عامر بن الأسود العجلی، و هو بعذراء، یرید معاویهٔ، لیعلمه علم من بعث بهم زیاد، فلما ولی لیمضی قام الیه حجر بن عدی یرسف فی القیود، فقال یا عامر: «اسمع منی، أبلغ معاویهٔ أن دماءنا علیه حرام، و أخبره أنا قد أو منا و صالحناه، فلیتق الله و لینظر فی أمرنا»، علی أن روایهٔ أخری تذهب الی أن حجرا و أصحابه ذهبوا الی معاویهٔ فی دمشق، و أن حجرا، فیما یروی ابن‌حجر فی الاصابهٔ، و ابن عبدالبر فی الاستیعاب، قال لمعاویهٔ: السلام علیک یا أمیرالمؤمنین، فقال معاویهٔ: أو أمیرالمؤمنین أنا، قال حجر: نعم فأمر بقتله، فقال حجر: «لا تطلقوا عنی حدیدا و لا تغسلوا عنی دما فانی لاق معاویهٔ بالجادهٔ و انی مخاصم، و روی الرویانی و الطبرانی و الحاکم من طریق أبی‌اسحاق، قال رأیت حجر بن عدی، و هو یقول: «ألا انی علی بیعتی لا أقیلها و لا أستقیلها».

و قام جماعهٔ من أهل الشام فشفعوا عند معاویهٔ فی بعض أصحاب حجر، و قبل معاویهٔ شفاعتهم، حتی لم یبق منهم الا ثمانیهٔ عرضت علیهم البراءهٔ من الامام علی فأبوا، ثم قبل رجل أن یعلن البراءهٔ من الامام، فأظهرها بلسانه، ثم شفع فیه شافع من أهل الشام، فحبسه معاویهٔ شهرا ثم ألزمهٔ الاقامهٔ فی الشام، و حرم علیه العراق، فأقام فی الموصل حتی مات، ثم عرضت البراءهٔ علی رجل آخر فأبی و أسمع معاویهٔ فی نفسه ما یکره، فرده معاویهٔ الی زیاد و أمره أن یقتله شر قتلهٔ، فأمر به زیاد فدفن حیا، و أما حجر، و بقیهٔ أصحابه الستهٔ، فقد أصر معاویهٔ علی قتلهم بدمشق أو بعذراء، رغم من تشفعوا فی حجر عند معاویهٔ من خاصته و من کانوا معه فی حربه ضد الامام، و روی ابن‌حجر فی الاصابهٔ عن ابراهیم بن الجنید فی کتاب الأولیاء أن حجر بن عدی أصابته جنابهٔ، فقال للموکل به أعطنی شرابی أتطهر به، و لا تعطنی غدا شیئا، فقال: «أخاف أن تموت عطشا فیقتلنی معاویهٔ، قال، فدعا الله فانسکبت له سحابهٔ بالماء، فأخذ منها الذی احتاج الیه، فقال له أصحابه: ادع الله أن یخلصنا، فقال اللهم خر لنا، فقتل هو و طائفهٔ منهم»، و روی الطبری و ابن عبدالبر، أن حجرا طلب قبل

[صفحه ۱۲۵]

مقتله أن یتوضأ، فلما توضأ، قال: دعونی أصلی رکعتین، فأیمن الله ما توضأت قط الا صلیت رکعتین، قالوا: لتصل، فصلی ثم انصرف فقال: و الله ما صلیت صلاهٔ قط أقصر منها، و لولا أن تروا أن ما بی جزع من الموت لأحببت أن أستکثر منها، ثم قال: اللهم انا نستعدیک علی أمتنا، فان أهل الکوفهٔ شهدوا علینا، و أن أهل الشام یقتلوننا، أما و الله لئن قتلتمونی بها (أی عذراء) انی لأول فارس من المسلمین هلل فی وادیها، و أول رجل من المسلمین نبحته کلابها، فمشی الیه الأعور بالسیف، فأرعدت خصائله، فقال کلا، زعمت أنک لا تجزع من الموت، فأنا أدعک، فابرأ من صاحبک (أی الامام علی) فقال حجر: «ما لی لا أجزع و أنا أری قبرا محفورا، و کفنا منشورا، و سیفا مشهورا، و انی و الله لئن جزعت من القتل، لا أقول ما یسخط الرب، فقتله، و أقبلوا یقتلونهم واحدا واحدا حتی قتلوا ستهٔ»، و هکذا کان حجر بن عدی رضی الله عنه أول من قتل صبرا فی الاسلام.

و هکذا انتهت هذه المأساهٔ المنکرهٔ، مأساهٔ حجر و أصحابه، و التی استباح فیها أمیر من أمراء المسلمین أن یعاقب الناس علی معارضهٔ

لا اثم فیها، و أن یکره وجوه الناس و أشرافهم علی أن یشهدوا علیهم زورا و بهتانا، و أن یکتب شهادهٔ القاضی علی غیر علم من هذا القاضی و رضی، حتی قال حجر، کما رأینا، حین قدم لتضرب عنقه «الله بیننا و بین أمتنا، شهد علینا أهل الکوفهٔ، و قتلنا أهل الشام»، استباح أمیر من المسلمین لنفسه هذا الاثم، و استحل هذا البدع، و استباح خلیفهٔ المسلمین لنفسه أن یقضی بالموت علی نفر من الذین عصم الله دماءهم، بشهادهٔ کذوب، دون أن یراهم أو یسمع لهم أو حتی أن یأذن لهم فی الدفاع عن أنفسهم، و ما أکثر ما أرسلوا الیه أنهم علی بیعتهم لا یقیلونها و لا یستقیلونها، و حین ألحوا فی قلوبهم هذا، أصر علی قتلهم و قال، کما رأینا، «زیاد أصدق عندنا من حجر»، و قد ذعر المسلمون فی أقطار الأرض لهذه الجریمهٔ المنکرهٔ، و تلک المقتلهٔ الجزاف، و آیهٔ ذلک، فیما یرویه ابن عبدالبر و الطبری و ابن‌الأثیر، أن أم المؤمنین عائشهٔ، رضی الله عنها، ما أن علمت

[صفحه ۱۲۶]

بتسییر هؤلاء الرهط من الکوفهٔ حتی أرسلت عبدالرحمن بن الحارث بن هشام الی معاویهٔ یراجعه فی أمرهم، فوصل عبدالرحمن الی الشام فوجد القوم قد قتلوا، فقال لمعاویهٔ: کیف ذهب عنک حلم أبی‌سفیان، فأجابه معاویهٔ: «حین غاب عنی أمثالک من حلماء قومی، حملنی زیاد فاحتملت»، فقال له، فیما یروی ابن عبدالبر: «و الله لا تعد لک العرب حلما بعد هذا أبدا، و لا رأیا، قتلت قوما بعث بهم الیک أساری من المسلمین»، و آیهٔ ذلک أیضا أن الخبر بقتل هؤلاء الرهط قد انتهی الی المدینهٔ و سمعه عبدالله بن عمر فأطلق حبوته، و تولی و الناس یسمعون نحیبه، روی ابن‌حجر فی الاصابهٔ و ابن عبدالبر فی الاستیعاب عن أبی‌الدنیا و الحاکم و عمر بن شیبهٔ عن نافع قال: لما انطلق بحجر بن عدی کان ابن‌عمر یتخبر عنه فأخبر بقتله و هو بالسوق فأطلق حبوته و ولی و هو یبکی، و روی ابن‌حجر فی الاصابهٔ و السیوطی فی الخصائص عن یعقوب بن سفیان فی تاریخه و البیهقی و ابن‌عساکر عن أبی‌الأسود، قال: دخل معاویهٔ علی عائشهٔ فعاتبته فی قتل حجر و أصحابه، و قالت: سمعت رسول الله صلی الله علیه و سلم یقول: «یقتل بعدی أناس یغضب الله لهم و أهل السماء»، و فی روایهٔ دخل معاویهٔ علی عائشهٔ فقالت: ما حملک علی قتل أهل عذراء، حجر بن عدی و أصحابه، قال رأیت قتلهم صلاحا للأمهٔ، و بقاءهم فسادا للأمهٔ، فقالت سمعت رسول الله صلی الله علیه و سلم یقول: «سیقتل بعذراء أناس یغضب الله لهم و أهل السماء»، فقال معاویهٔ: «لم یکن حولی رشید»، و أخرج البیهقی و ابن‌عساکر عن علی بن أبی‌طالب أنه قال: «یا أهل العراق سیقتل منکم سبعهٔ نفر، مثلهم کمثل أصحاب الأخدود» فقتل حجر و أصحابه، و روی أن معاویهٔ بن خدیج انتهی الیه الخبر فی افریقیهٔ، فقال لقومه الذین کانوا معه من کندهٔ: «ألا ترون أنا نقاتل لقریش، و نقتل أنفسنا لنثبت ملکها، و أنهم یثبون علی بنی عمنا فیقتلونهم».

و هکذا اهتز العالم الاسلامی هزهٔ عنیفهٔ لمقتل حجر و أصحابه، أورثته مبغضهٔ أعنف لدولهٔ بنی‌أمیهٔ، و روی ابن عبدالبر عن ابن المبارک بسنده عن محمد بن سیرین أنه کان اذا سئل عن الرکعتین عند القتل، قال «صلاهما خبیب

[صفحه ۱۲۷]

و حجر، و هما فاضلان»، و روی أن شبح الشهید الوقور انما کان یساور معاویهٔ الی یوم وفاته، فجاء فی روایهٔ لابن سیرین أن معاویهٔ لما حضرته الوفاهٔ جعل یقول: «یومی منک یا حجر طویل». و روی البلاذری أن معاویهٔ کتب لزیاد «أنه قد تلجلج فی صدری شیء من أمر حجر، فابعث الی رجلا من أهل المصر، له فضل دین و علم»، فأشخص الیه عبدالرحمن بن أبی‌لیلی، و أوصاه ألا یقبح له رأیه فی حجر، و توعده بالقتل ان فعل، قال ابن أبی‌لیلی: فلما دخلت علیه رحب بی و قال: اخلع ثیاب سفرک و البس ثیاب حضرک، ففعلت، و أتیته، فقال: أما والله لوددت أنی لم أکن قتلت حجرا، و وددت أنی کنت حبسته و أصحابه و فرقتهم فی کور الشام فکفتنیهم

الطواعین أو مننت بهم علی عشائرهم، فقلت: وددت و الله أنک فعلت واحدة من هذه الخلال، فوصلنی، فرجعت و ما شیء أبغض الی من لقاء زیاد، فلما قدمت الکوفة صلیت فی بعض المساجد، فلما انفتل الامام، اذا رجل یذکر موت زیاد، فما سررت بشیء سروری بموته، بل ان الرواة لیقولون ان قتل حجر کان له صدی حق فی أعماق دار معاویة، فقد حدثنا البلاذری أن معاویة صلی یوما فأطال الصلاة، و امرأته تنظر الیه، فلما فرغ من صلاته قالت له امرأته: ما أحسن صلاتک یا أمیرالمؤمنین لولا أنک قتلت حجرا و أصحابه.

هذا و کان ابن‌سیرین بعد مقتل حجر، اذا سئل عن الشهید یغسل، حدثهم حدیث حجر، مما یشیر الی أن المسلمین کانوا یرون فی حجر، المسلم الصادق الآمر بالمعروف و الناهی عن المنکر، قضی شهیدا فی سبیل الجهر بالحق، ما خلع طاعة، و لا فارق جماعة، و انما أنکر علی ولاة معاویة لعنهم خیرة أصحاب رسول الله صلی الله علیه و سلم، و روی ابن عبدالبر فی الاستیعاب أن الامام أحمد قال قلت لیحیی بن سلیمان: أبلغک أن حجرا کان مستجاب الدعوة، قال نعم، و کان من أفاضل أصحاب النبی صلی الله علیه و سلم، و من ثم فقد هال قتل حجر و أصحابه کثیرا من الناس، حتی أن الربیع بن زیاد الحارثی والی خراسان، قد بلغ من سخطه علی قتل حجر أن قال: «لا تزال العرب تقتل صبرا بعده، ولو نفرت عند

[صفحه ۱۲۸]

قتله لم یقتل رجل منهم صبرا، ولکنها أقرت الذل فذلت»، و أنه مل الحیاة حتی أنه خرج یوم جمعة فقال: أیها الناس، انی مللت الحیاة، و انی داع بدعوة فأمنوا، ثم رفع یدیه بعد الصلاة فقال: «اللهم ان کان لی عندک خیر فأقبضنی الیک عاجلا»، و أمن الناس ثم خرج فما أن توارت ثیابه حتی سقط فحمل الی بیته فمات».

و لا ریب فی أن هذا انما یمثل ضیق الناس بعسف معاویة، فما وجدوا الا أن یسألوا الله للأمة أمنا، ثم لأنفسهم خروجا من الحیاة، و کان الناس یقولون: أول ذل دخل الکوفة موت الحسن بن علی، و قتل حجر، و دعوة زیاد، و کان الامام الحسن البصری یقول: أربع خصال کن فی معاویة، لولم تکن فیه الا واحدة، لکانت موبقة، انتزاؤه علی هذه الأمة بالسیف حتی أخذ الأمر من غیر مشورة، و فیهم بقایا الصحابة و ذوو الفضیلة، و استخلافه بعده ابنه سکیرا خمیرا یلبس الحریر و یضرب بالطنابیر، و ادعاؤه زیادا، و قد قال: «رسول الله صلی الله علیه و سلم الولد للفراش و للعاهر الحجر» و قتله حجرا و أصحاب حجر، فیا ویلا له من حجر و أصحاب حجر».

هذا و قد فات معاویة کل عذر فی مقتل حجر و أصحابه، حتی ما کان من عذر واه، کعذر ابنه فی مقتل الامام الحسین رضی الله عنه فان یزید قد أحال الذنب علی ابن‌زیاد، و انعکست الآیة فی أمر معاویة و حجر، فکان زیاد هو الذی نفض یدیه من وزر هؤلاء الشهداء، و ألقاه علی معاویة، و ضاق معاویة فی انتحال المعذرة بعد حین، فکان جوابه لسائلیه مما یخجل الطفل بین الصغار، فضلا عن العاهل بین الساسة، و فی ذمة التاریخ، قال له عبدالرحمن بن الحارث، کما رأینا، أین غاب عنک حلم أبی‌سفیان، فقال معاویة: حین غاب عنی مثلک من حلماء قومی، و حملنی ابن‌سمیة فاحتملت، و سألته السیدة عائشة مثل هذا السؤال، فقال لم یکن حولی رشید، و کانت السیدة عائشة، فیما یروی الطبری، تقول: «لولا أنا لم نغیر شیئا الا آلت بنا الأمور الی أشد مما کنا فیه، لغیرنا قتل حجر، أما و الله ان کان ما علمت لمسلما حجاجا معتمرا»، و روی ابن

[صفحه ۱۲۹]

عبدالبر فی الاستیعاب عن مسروق بن الأجدع قال: سمعت عائشة أم‌المؤمنین تقول: «أما و الله لو علم معاویة أن عند أهل الکوفة منعة ما اجترأ علی أن یأخذ حجرا و أصحابه من بینهم حتی یقتلهم بالشام، ولکن ابن آکلة الأکباد علم أنه قد ذهب الناس، أما و الله ان

کانوا لجمجمة العرب عزا و منعة و فقها».

و لعل الذین ینادون باجتهاد معاویة یصمتون، فانه هو نفس لم یدع الاجتهاد، و انما ارتضی من معاذیره أن یقوده ابن‌سمیة فینقاد، لأنه لم یجد حوله رجلا رشیدا.

سم الامام الحسن

کان من شروط الصلح أن لا یبغی معاویة للحسن، و لا لأخیه الحسین و لا لأهل البیت غائلة سرا و لا جهرا، و لا یخیف أحدا منهم فی أفق من الآفاق، و قد أشرنا من قبل الی روایة أبی‌الفرج فی «مقاتل الطالبیین» من أن معاویة لما أراد البیعة لابنه یزید انما کان یخشی الامام الحسن، و من ثم فقد دس له من سقاه السم فمات، و علی أی حال، فان موت الامام الحسن مسموما انما هو أمر یتفق علیه أهل الحدیث و التاریخ و السیر، أو یکادون، و أما أن معاویة أو ولده یزید هو الذی حرض علی سم الحسن، فذلک موضع جدل طویل.

روی ابن‌الأثیر أنه فی سنة (۴۹ ه) توفی الحسن، سمته جعدة بنت الأشعث بن قیس الکندی، و روی أبوالفداء فی تاریخه توفی الحسن من سم سقته له زوجته جعدة بنت الأشعث، قیل فعلت بأمر معاویة، و قیل بأمر یزید بن معاویة، و وعدها أن یتزوجها ان فعلت ذلک، فسقته السم و طالبت بأن یتزوجها فأبی، و قال الشیخ المفید فی الارشاد عن جریر عن المغیرة قال: أرسل معاویة الی جعدة بنت الأشعث: انی مزوجک ابنی یزید، علی أن تسمی الحسن، و بعث الیها مائة ألف درهم ففعلت و سمت الحسن علیه‌السلام، فسوغها المال و لم یزوجها من یزید، و فی روایة المسعودی: أن معاویة و فی لها بمال، و أرسل الیها: أنا نحب حیاة یزید، و لولا ذلک لوفینا لک بتزویجه، و ذکر

[صفحه ۱۳۰]

أن الحسن قال عند موته: لقد حاقت شربته، و الله لا وفی لها بما وعد، و لا صدق فیما قال. و روی ابن عبدالبر فی الاستیعاب بسنده عن قتادة قال: دخل الحسین و علی الحسن، رحمهما الله تعالی، فقال یا أخی انی سقیت السم ثلاث مرار لم أسق مثل هذه المرة، انی لأضع کبدی، فقال الحسین من سقاک یا أخی، قال: «ما سؤالک عن هذا أترید أن تقاتلهم، أکلهم الی الله»، و روی ابن‌حجر فی الاصابة عن عمیر بن اسحاق بسنده قال: «دخلت أنا و صاحب لی علی الحسن بن علی، فقال لقد لفظت طائفة من کبدی، و انی قد سقیت السم مرارا، فلم أسق مثل هذا، فأتاه الحسین بن علی فسأله من سقاک فأبی أن یخبره رحمه الله تعالی»، و قال الامام جعفر الصادق: اشترک الأشعث فی دم أسیر المؤمنین علی، و سمت ابنته جعدة الحسن، و اشترک ابنه محمد فی دم الحسین، و قال السیوطی فی تاریخ الخلفاء توفی الحسن مسموما بالمدینة سمته زوجته جعدة بنت الأشعث، و أورد ابن کثیر ما رواه أبوبکر بن أبی‌الدنیا بسنده عن عمیر بن اسحاق قال: دخلت أنا و رجل آخر من قریش علی الحسن بن علی، فقام فدخل المخرج ثم خرج فقال: لقد لفظت طائفة من کبدی أقلبها بهذا العود، و لقد سقیت السم مرارا، و ما سقیت مرة أشد من هذه، قال و جعل یقول لذلک الرجل: سلنی قبل أن لا تسألنی، فقال ما أسألک شیئا، یعافیک الله، قال: فخرجنا من عنده ثم عدنا الیه فی الغد، و قد أخذ فی السوق، فجاء حسین حتی قعد عند رأسه، فقال أی أخی: من صاحبک، قال ترید قتله، قال نعم، قال «لئن کان صاحبی الذی أظن، لله أشد نقمة، و فی روایة، فالله أشد بأسا و أشد تنکیلا، و ان لم یکنه ما أحب أن تقتل بی بریئا»، و روی الواقدی کذلک أن الامام الحسن مات مسموما، کما رواه کذلک محمد بن سعد عن أم‌موسی قالت: «ان جعدة بنت الأشعث بن قیس سقت الحسن السم، فاشتکی منه شکاة، فکان یوضع تحته طشت و یرفع آخر، نحوا من أربعین یوما»، و روی أبونعیم فی حلیة الأولیاء ما رویناه آنفا عن عمیر بن اسحاق، و أخرج ابن کثیر عن الواقدین و ابن‌سعد عن أم‌بکر بنت المسور قالت: الحسن سقی مرارا، کل ذلک یفلت منه، حتی کانت المرة الأخیرة التی مات فیها،

فانه كان يختلف

[صفحه ۱۳۱]

كبده، فلما مات أقام نساء بنى‌هاشم عليه النوح شهرا، و روى الواقدى عن عائشة قالت: حد نساء بنى‌هاشم على الحسن بن على سنة. و روى الحاكم فى المستدرك عن عمران بن عبدالله قال: «رأى الحسن بن على، فيما يرى النائم، بين عينيه مكتوبا، قل هو الله أحد، فقصها على سعيد بن المسيب فقال: ان صدقت رؤياك فقد حضر أجلك، قال: فسم فى تلك السنة، و مات رحمة الله عليه».

على أن هناك خلافا بين الباحثين حول من قام بهذه الجريمة النكراء، فرغم أن الروايات تكاد تجمع على أن من سم ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم الحسن بن على انما هو زوجه جعدة بنت الأشعث، الا أن هناك رواية ضعيفة تجعلها هند بنت سهيل بن عمرو، ذلك الذى سفر عن قريش الى النبى صلى الله عليه و سلم فى صلح الحديبية، بينما ذهبت رواية ثالثة الى أنه خادم الحسن، فلقد أخرج ابن‌كثير بسنده عن عمران بن عبدالله قال: سمعت بعض من يقول: كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه (أى الحسن) أن يسقيه سما، على أن أكثر الآراء و ربما أرجحها تميل الى أن جعدة بنت الأشعث هى التى فعلت تلك الجريمة النكراء بسبط رسول الله صلى الله عليه و سلم، فهى من تلك الأسرة التى كثيرا ما تظهر الحب لآل البيت و تبطن غير ذلك، و قد روى عن الصادق، كما أشرنا آنفا، قوله: اشترك الأشعث فى دم أميرالمؤمنين على، و سمت ابنته جعدة الحسن، و اشترك ابنه محمد فى دم الحسين، ثم هى كذلك تحب المال و تهوى السلطان، و من ثم فقد استجابت لطلب يزيد، أو معاوية فى بعض الروايات، بسم الحسن، فى مقابل مائة ألف درهم و زواجها من يزيد، و بعد أن أخذت المواثيق و المواعيد على الوفاء لها بتلك الشروط، أخذت تدبر أمرها، و تضع خطتها، و كانت قد علمت أن الحسن قد تزوج من خولة بنت منظور، و أنها تعلقت به تعلقا شديدا، و من ثم فما أن جاء الحسن الى بيتها حتى بكت فى حضرته بكاء مرا، و أظهرت من ضروب الحب و الشوق و الاخلاص و اللوعة، ما جعله يقبل على الطعام و الشراب عندها، فلما أصبح الصباح أحس ألما فى أمعائه أخذ يزداد حتى خيل اليه أنه يلفظ كبده،

[صفحه ۱۳۲]

و قيل انه التفت اليها و قال: «يا عدوة الله قتلتنى قتلك الله، و الله لا تصيبين منى خلفا، و لقد غرك (يعنى معاوية) و سخر منك يخزيك الله و يخزيه»، و لقد أخزاها الله فأصبحت مضرب الأمثال للسوء و الخيانة و الخزى و الاثم، حتى أصبحت عارا لذريتها و أبنائها من غير الامام، فقد وصموا بأبناء «مسممة الأزواج» ثم سخر منها معاوية فلم يف لها بزواج يزيد، و قال «انا نحب حياة يزيد، و لولا ذلك لوفينا لك بتزويجه»، و أخيرا فان غالبية من قالوا بأن الحسن مات مسموما، انما نسبوا سمه الى جعدة هذه، قال بذلك ابن‌الأثير و الامام جعفر الصادق، و قاله ابن عبدالبر و السيوطى و أبوالفرج الأصفهانى، و رواه ابن‌كثير عن أم‌موسى، كما قال بذلك غير هؤلاء كثير.

و أما المحرض على سم الامام الحسن، فلا شك أنه صاحب المصلحة فى اختفاء الامام الحسن من الميدان، فى وقت بدأ فيه معاوية يعد العدة لبيعة ولده يزيد وليا للعهد، ناقضا بذلك أحد شروط الصلح التى تجعل الأمر من بعده للحسن، أو حتى تجعلها شورى بين المسلمين، و من ثم فقد حامت الشبهات حول معاوية و ولده يزيد، و قال ابن البر فى الاستيعاب: «و كان معاوية قد أشار بالبيعة ليزيد فى حياة الحسن و عرض بها، ولكنه لم يكشفها و لا غرم عليها الا بعد موت الحسن»، و كان أبوالفرج الأصفهانى، و هو من بنى‌أمية، من أوائل من رأوا أن معاوية هو الذى حرض على سم الحسن، فهو يروى بسنده عن مغيرة أنه قال: أرسل معاوية الى ابنة الأشعث انى مزوجك بيزيد ابنى، على أن تسمى الحسن بن على، و بعث اليها بمائة ألف درهم، فقبلت و سمت الحسن، فسوغها المال و لم

يزوجها منه، فخلف عليها من آل طلحة فأولدها، فكان اذا وقع بينهم و بين بطون قريش كلام عيروهم و قالوا: «يا بنى مسممة الأزواج»، كما يروى أبوالفرج كـذلك عن أبى‌بكر بن حفص قال: «توفى الحسن بن على و سعد بن أبى‌وقاص فى أيام، بعد ما مضـى من امارة معاوية عشـر سـنين، و كانوا يرون أنه سـقاها سـما». و روى الواقدى كذلك أن معاوية قد تلطف لبعض خدمه (أى الحسن) أن يسـقيه سما.

[صفحه ۱۳۳]

و يروى المسعودى أن امرأته (أى الحسن) جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى سقته السم، و كان معاوية قد دس اليها: أنك ان احتلت فى قتل الحسن وجهت اليك بمائة ألف درهم، و زوجتك من يزيد، فكان ذلك الذى بعثها على سمه، فلما مات الحسن و فى لها معاويـة بالمال، و أرسل اليها: اننا نحب حياة يزيـد، و لولا ذلك لوفينا لك بتزويجه، و روى أن الحسن قال عنـد موته: «لقـد حاقت شربته، و بلغ أمنيته، و الله لا وفى لها بما وعد، و لا صدق فيما قال»، و روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب، قال: «قتادة و أبوبكر بن حفص، سم الحسن بن على، سـمته امرأته بنت الأشـعث بن قيس الكنـدى، و قالت طائفـة كان ذلك منها بتدسـيس معاويـة اليها و ما بـذل فى ذلـك»، و روى عن الحسن بن أبى‌العلى عن جعفر بن محمـد، قـال الحسن بن على لأهـل بيته انى أموت بـالسم، كمـا مـات رسول الله صلى الله عليه و سلم فقـال أهـل بيته، و من الـذى يسـمك، قال جاريتى أو امرأتى فقالوا له: أخرجها من ملكك، عليها لعنـة الله، فقال هيهـات من اخراجها و منيتى على يـديها و ما لى منها محيص، و لو أخرجتها ما يقتلنى غيرها، و كان قضاء مقضيا و أمرا واجبا من الله، فمـا ذهبت الأيـام حتى بعث معاويـة الى امرأته قـال، فقـال الحسن: «هـل عنـدك من شـربة لبن، فقـالت نعم و فيه ذلـك السم بعث به معاوية، فلما شـربه وجد مس السم فى جسده، فقال، يا عدوة الله قتلتنى قاتلك الله، أما و الله لا تصيبن منى خلفا، و لا تنالين من الفاسق عدو الله اللعين خيرا أبدا».

هـذا و لعـل الـذين يـذهبون الى أن معاويـة هو المحرض على الامـام الحسن، انمـا يعتمـدون على أمور، منهـا مـا رواه ابن عبـدالبر فى الاستيعاب من أنه لما مات الحسن ورد البريد بموته على معاوية فقال: يا عجبا من الحسن شرب شربة من عسل بماء رومة فقضى نحبه، و منها ما رواه الزمخشـرى فى «ربيع الأبرار» أنه قيل لما بلغ معاوية موت الحسن رضـى الله عنه، سـجد و سجد من حوله، و كبر و كبروا معه، و منها ما روى من أن ابن‌عباس كان قد وفد على معاوية و قال فوالله انى لفى المسـجد، اذا كبر معاوية فى الخضراء (قصر معاوية) فكبر أهل الخضراء، ثم كبر أهل لمسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل من خوخة لها

[صفحه ۱۳۴]

فقالت: سـرك الله يا أميرالمؤمنين، ما هذا الذى بلغك فسررت له، قال موت الحسن بن على، قالت انا لله و انا اليه راجعون، ثم بكت و قـالت: مـات ابن بنت رسول الله صـلى الله عليه و سـلم، فقال معاويـة: نعما و الله ما فعلت، انه كان كـذلك أهلا لأن يبكى عليه، ثم بلغ الخبر ابن‌عباس رضـى الله عنه فدخل على معاوية، فقال معاوية، علمت يا ابن‌عباس أن الحسن قد توفى، قال ابن‌عباس: ألذلك كبرت، قال نعم، قال ابن‌عباس، و الله ما موته بالذى يؤخر أجلك، و لا حفرته بسادة حفرتك، و لئن أصـبنا به، فقد أصبنا بسيد الأوصياء، فجبر الله تلك المصيبة، و رفع تلك العبرة، فقال معاوية: «ويحك يا ابن‌عباس ما كلمتك الا وجدتك معدا»، و منها أن رواية المسعودى فى مروج الـذهب و ابن‌خلكان فى وفيات الأعيان انما تشير بوضوح الى سـرور معاويـة بموت الحسن و اطمئنانه الى أن الأمور ستسـير فى البيعـة لولـده يزيـد، كما يريـد، و قد زالت العقبة الكؤود أمام هذه البيعة، روى ابن‌خلكان أنه لما كتب مروان الى معاوية بشـكاته (أى

الحسن) کتب الیه معاویـة أن أقبـل المطی الی بخبر الحسن، و لمـا بلغه موته سـمع تکبیرا من الخضـر، فکبر أهل الشام لـذلک التکبیر، فقـالت فاختـة زوجـة معاویـة، أقر الله عینـک یـا أمیرالمؤمنین، مـا الـذی کبرت له، قـال مات الحسن رضـی الله عنه، قالت: أعلی موت ابن‌فاطمـة تکبر، قـال: و الله مـا کبرت شـماتة بموته، ولکن استراح قلبی، و کـان ابن‌عبـاس بالشـام، فـدخل علیه، فقال یا ابن‌عباس هل تـدری ما حـدث فی أهل بیتک، قال لا أدری ما حـدث، الا أنی أراک مستبشـرا، و قـد بلغنی تکبیرک و سـجودک قال مات الحسـن رضـی الله عنه، قال انا الله و انا الیه راجعون، یرحـم الله أبامحمد (ثلاثا) ثم قال: «و الله یا معاویة لا تسد حفرته حفرتک، و لا یزید نقص عمره فی یومـک، و ان کنـا أصـبنا بـالحسن، لقـد أصـبنا بـابن امـام المتقین، و ابن خـاتم النبیین، فسـکن الله تلـک العبرة، و جبر تلک المصیبة، و کان الله الخلف علینا من بعده.».

و منها أن الموت بالسم قـد عرف علی أیام معاویـة علی نحو غریب مریب، مات الأشتر، فیما یقول المؤرخون، مسـموما فی طریقـة الی ولایة مصر، فخلصت مصر لمعاویة، و قال عمرو بن العاص «ان لله لجندا من عسل»، و مات عبد

[صفحه ۱۳۵]

الرحمن بن خالد بن الولید مسـموما بحمص، و طبقا لروایة الطبری و ابن‌الأثیر، فان سـبب موته أن شأنه قد عظم عند أهل الشام و مالوا الیه، لمآثر أبیه و لغنائه فی بلاد الروم و شدة بأسه، فخافه معاویة و خشـی منه، فأمر ابن‌آثال النصـرانی أن یحتال فی قتل فسمه، و هکذا مات الحسن بن علی و الأشتر و عبـدالرحمن بن خالـد، أعـداء معاویـة بغیر علـة موصوفـة فی الموعد الذی یبغیه معاویة، و تترتب علیه سیاسـته التی کان یرجئها الی مواعیدها، فالحسن یموت قبل بیعة یزید کی لا یخرج معاویة علی شـرطه المکتوب، و الأشتر یموت علی أبواب مصر، و عبدالرحمن بن خالد یموت، و هو فی أوج سمعته بین قوم أعجبوا من قبل بأبیه، و یوشک أن یتجمع حوله الناقمون من أهل الشام و الکوفـة و الحجاز، و کثیرا ما یتحدث المؤرخون بأن الامام الحسن قال لبعض عائدیة فی مرضه الأخیر: «لقد سـقیت السـم مرات، ولکن لم أسق قط سـما أشد علی من هذا الذی سقیته هذه المرة، و لقد لفظت آنفا قطعة من کبدی»، و منها ما روی أن الحسن فی لحظاته الأخیرة حضـر فی ذهنه غـدر معاویـة، فقال «لقـد حاقت شـربته،و الله ما وفی بما وعـد، و لا صـدق فیما قال»، و هکذا تکاد الروایات تتواتر بأن معاویـة أغری جعدة امرأة الحسن بسـمه، و وعدها أن یزوجها یزید، و یعطیها مائة ألف درهم، فوفی بوعد المال، و لم یوف بوعد الزواج.

علی أن هناک من یـدفع التهمـة عن معاویـة، فابن خلـدون یقول: و ما ینقل أن معاویـة قد دس السم الی الامام الحسن علی ید زوجته جعدة بنت الأشعث، فهو من أحادیث الشیعة، و حاشا لمعاویة ذلک، و أنکر القاضی ابن العربی کذلک سم معاویة للحسن،لأن معاویة ما کان لیتقی من الحسن بأسا، و قد سلم الأمر، ثم ان ذلک أمر مغیب لا یعلمه الا الله، و الرأی عند ابن تیمیة، کما فی منهاج السنة، أن ذلک لم یثبت ببینة شـرعیة، و لا اقرار معتبر، و لا نقل یجزم به، ثم ان الحسن مات بالمدینة و معاویة بالشام، ثم افترض عدة احتمالات منها أن الحسن کان مطلاقا لا یدوم مع امرأة، و أضاف فی «المنتقی»، و (مختصـر منهاج السنة) فلعلها (أی امرأة الحسن) سمته لغرض، والله أعلم بحقیقة الحال، و قد قیل «ان أباها الأشعث بن قیس أمرها بذلک، فانه کان یتهم بالانحراف فی الباطن عن علی و ابنه

[صفحه ۱۳۶]

الحسن، و اذا قیل ان معاویة أمر أباها کان ظنا محضا»، و أما ابن‌کثیر فیری أن سم الحسن عن طریق یزید أو معاویة لیس بصحیح، و ان لم یذکر أسبابا لذلک.

و هکذا تتلخص حجج المعارضین فی أمور، منها أن معاویة ما کان لیتقی من الحسن بأسا و قد سلم الأمر الیه، و هذا غیر صحیح فان شروط الصلح، کما أشرنا عدة مرات، تقضی بأن یسلم معاویة الأمر من بعده للحسن أو أن یجعله شوری بین المسلمین، و من ثم فلم یکن معاویة یستطیع أن یعهد بولایة العهد لولده یزید، و الامام الحسن ما زال علی قید الحیاة، و من ثم دس السم له، کما یقول أبوالفرج و غیره، و أما أنه أمر مغیب لا- یعلمه الا- الله، فتلک حقیقة، غیر أن ظواهر الأمور انما تشیر الی صاحب المصلحة فی موت الامام الحسن، و منها ما ذهب الیه ابن‌تیمیة من أن ذلک لم یثبت ببینه شرعیة و لا اقرار معتبر... الخ، فلست أدری ماذا کان یرید الامام ابن‌تیمیة، هل یرید اقرارا من معاویة أو یزید، أو حتی من جعدة بذلک، ما أظن ذلک فی الامکان، فضلا عن تعارضه مع المنطق فمن أرادوا موت الحسن أرادوا منه مصلحة لانفسهم، و لن تتحقق لهم هذه المصلحة ان اعترفوا، بل العکس هو الصحیح، و أما أن معاویة کان بالشام و الحسن مات بالمدینة، فلم یقل أحد أنه أو یزید هو الذی سم الحسن بنفسه، و انما قیل أنهما حرضا علی ذلک، و بدیهی أن المحرض لیس بالضرورة أن یکون فی مکان الجریمة، بل ربما کان من الحکمة أن یکون بعیدا حتی بعیدا حتی یبعد عن نفسه الشبهات، و أما قول ابن‌تیمیة أن الحسن کان مطلاقا لا یدوم مع امرأة، و أن امرأته سمته لغرض، فتلک غمزات فی الامام الحسن، ما کنا نرجو أن یقع فیها ابن‌تیمیة، ثم ان جعدة، أو حتی غیرها، لن تستفید من سمه فی هذه الحالة، فهو لن یخلص لها وحدها، بل لن یخلص لها أبدا، ثم ألیس ذلک ظنا محضا، و هذا ما رفضه ابن‌تیمیة، اعتمادا علی الحدیث الشریف «ایاکم و الظن فان الظن أکذب الحدیث»، و أما أن أباها الأشعث هو الذی أمرها أو أن معاویة هو الذی أمر أباها، فهذا ما لم یقل به أحدا.

و علی أی حال، فلا شک أن الامام الحسن، کما تقول الروایات المتعددة،

[صفحه ۱۳۷]

مات مسموما، و هنا کما یقول الدکتور طه حسین یختلف المؤرخون و الرواة، فأما الشیعة فیرون أن معاویة قد دس الیه من سمه، لیخلو له و لابنه وجه الخلافة، و أما مؤرخو الجماعة من أهل السنة فیرون ذلک و یکثرون من روایته، ولکنهم لا یقطعون به، و من المحدثین من یرویه ولکنه یراه بعیدا، و لا لشیء الا لأن معاویة قد صحب النبی صلی الله علیه و سلم فلا یلیق به أن یأتی هذا الأمر البغیض.

علی أن الامام السیوطی انما یذهب فی تاریخ الخلفاء الی أن الامام الحسن قد توفی مسموما بالمدینة، سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قیس، دس الیها یزید بن معاویة أن تسمه فیتزوجها ففعلت، فلما مات الحسن بعثت الی یزید تسأله الوفاء، فقال: «انا لم نرضک للحسن، أفنرضاک لأنفسنا»، و روی ابن‌کثیر أن بعضهم روی أن یزید بن معاویة بعث الی جعدة بنت الأشعث أن سمی الحسن و أنا أتزوجک بعده، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت الیه فقال: «انا و الله لم نرضک للحسن، أفنرضاک لأنفسنا»، و ذهب الأستاذ موسی محمد علی أن سبب وفاة الامام الحسن رضی الله عنه ما کان یخشاه یزید بن معاویة، من رجوع الأمر الی الحسن، بعد وفاة معاویة، ذلک أن معاهدة الصلح التی أبرمت بین الامام الحسن و معاویة، کانت کفیلة برجوع الأمر الی الحسن بعد موت معاویة، فشروط الصلح التی تمت بین الطرفین علیها امضاء معاویة و هو الخلیفة، و کان ذلک تحت ید الامام الحسن رضی الله عنه حسبما تم الاتفاق بینهما علی ذلک، و کان یزید بن معاویة لا یتمتع بسمعة طیبة، عکس ما علیه الامام الحسن من حب الناس له، و تقدیرهم اياه و قرابته لسیدنا رسول الله صلی الله علیه و سلم، من أجل ذلک فکر یزید و قدر، و رتب أموره و أحکم خطته، ودس لاحدی زوجات الامام الحسن رضی الله عنه و هی جعدة بنت الأشعث و عاهدها و وعدها و مناها أنها، ان أنفذت أمره و حققت رغبته، و قتلت الامام الحسن، لیتزوجها، و بذل لها یزید مائة ألف درهم، و استجابت لنزعاته و أحکمت خطتها، و دبرت مکرها فأطعمته رضی الله عنه السم، فمرض لمدة أربعین یوما، ثم کان ما کان من وفاته، فمات حمیدا شهیدا رضی الله عنه و بعثت لیزید بعد موت الامام الحسن رضی الله عنه تطلب منه الوفاء

[صفحه ۱۳۸]

بما وعدها، ولكن الله لا يهدى كيد الخائنين، فقال لها يزيد لم تصنعى الخير مع ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم و من هو خير منى، فكيف تصنعينه معى، فباءت بالخيبة جزاء ما صنعت بالخيانة و جنت ثمار الغدر بما ارتكبته بالمكر و الاجرام.

هذا و يعتمد الذين يذهبون الى أن يزيد هو المحرض على سم الحسن، و ليس أبوه معاوية، على أمور، منها أنه لما عرف أن أباه معاوية يريد أن يقلب الخلافة الى ملك و يجعله و راثيا يتعاقبه ولد عن والده، و صادف ذلك هوى فى نفس يزيد لأنه يتوق اليه و يتمناه، و اختمرت الفكرة فى نفس يزيد و استبد به حب الملك عقب مقابلة المغيرة بن شعبة، و ترغيبه فى أن يكون ولى عهد أبيه، و من ثم فقد قصد أباه و قال له: «يا أبتاه ما أراك صنعت لبنيك شيئا من بعدك، و ما دبرت لهم أمرا، و عهدى بك داهية العجم و العرب و رجل السياسة و التجارب»، فابتسم له أبوه و قال: يا بنى لم أغفل عن أمر، ولكنى مرتبط بعهد كتابى بينى و بين الحسن بن على، على أن تكون له الخلافة بعدى، اذا أنا قبضت قبله، فانتظر لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، و انصرف يزيد يفكر و يدبر، فهداه تفكيره الى أن يتخلص من العقبة التى تعترض ولايته للملك بعد أبيه، فأرسل يزيد من يفاوض جعدة بنت الأشعث زوج الحسن فى أن تسمه، مقابل مائة ألف درهم، و أن يتزوجها يزيد بعد موت الحسن، و بمعنى آخر أن يزيد انما هو صاحب المصلحة فى موت الحسن، و منها أن يزيد كان يتوعد الامام الحسن و يهدده، أخرج الحافظ ابن‌كثير بسنده عن زيد بن أسلم قال: دخل رجل على الحسن بن على، و هو بالمدينة، وفى يده صحيفة، فقال ما هذه، فقال: ابن‌معاوية يعدنيها و يتوعد، قال: «كنت على النصف منه، قال أجل، ولكن خشيت أن يجىء يوم القيامة سبعون ألفا، أو ثمانون ألفا أو أكثر أو أقل، تنضح أوداجهم دما، كلهم يستعدى الله فيم هريق دمه».

[صفحه ۱۳۹]

فى رحاب الامام الحسن

تواضعه و عفوه

عرف الامام الحسن، من بين ما عرف به من مكارم الأخلاق، بالتواضع، و هى صفة، تدل دون شك، على كمال النفس و سموها و شرفها، و فى الحديث الشريف «ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة، فتواضعوا يرحمكم الله»، و عملا بحديث جده صلى الله عليه و سلم كان امامنا الحسن، رغم ما كان له من مكانة فى النفوس و هيبة من الأعين، و متواضعا مع الناس جميعا، كأنه واحد منهم، روى الشيخ الصبان فى اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى و آل بيته الطاهرين «أن الامام الاحسن مر ذات يوم بصبيان يأكلون كسرا من الخبز، فاستضافوه، فنزل و أكل معهم ثم حملهم الى منزله، و قدم لهم ألوانا من الطعام، و كساهم بألوان من الثياب و قال: اليد لهم (أى الفضل لهم) لأنهم لم يجدوا غير ما أطعمونا، و نحن نجد كثيرا مما أعطيناهم».

هذا و قد كان من مكارم الامام الحسن و حسن أخلاقه، و أنه كان يقابل الاساءة بالاحسان، فقد كان عنده شاة، فوجدها يوما قد كسرت رجلها، فقال لغلامه: من فعل هذا بها، قال أنا، قال و لم ذاك، قال: لأجلب لك الهم و الغم، فتبسم الامام الحسن، و قال له: لأسرك، فأعتقه و أجزل له فى العطاء، و أخرج الراغب الأصبهانى فى محاضراته، فقال: جنى غلام للحسن رضى الله عنه فأمر الحسن

بعقابه، فقال الغلام: یا مولای ان الله قد مدح قوما مکن منهم، فقال

[صفحه ۱۴۰]

«و الکاظمین الغیظ، فقال الحسن: خلوا سبیله، قال و قد قال «والله یحب المحسنین»، قال الامام الحسن: «أنت حر لوجه الله، و لک من المال کذا»، و قد روی أن رجلا من أهل الشام، ممن غذاهم معاویة الکراهة و الحقد علی آل البیت الطاهرین، اجتاز علی الامام الحسن، فأخذ یکیل له السب و الشتم، و الامام ساکت لم یرد علیه شیئا من مقالته، و بعد فراغه التفت الامام الیه فخاطبه بناعم القول ثم قال له: «أیها الشیخ أظنک غریبا، لو سألتنا أعطیناک، و لو استرشدتنا أرشدناک، و لو استحملتنا حملناک، و ان کنت جائعا أطعمناک، و ان کنت محتاجا أغنیناک، و ان کنت طریدا آویناک»، و ما زال الامام یلاطفه لیقلع روح الشر من نفسه، حتی ذهل، و بقی حائرا خجلا لا یعرف کیف یعتذر للامام، و طفق یقول «الله أعلم حیث یجعل رسالته»، و أخرج الفقیه ابن‌خلکان فی وفیات الأعیان بسنده عن عائشة رضی الله عنها قالت: ان رجلا من أهل الشام قال: دخلت المدینة، علی ساکنها أفضل الصلاة و السلام، فرأیت رجلا راکبا علی بغلة، لم أر أحسن وجها و لا سمتا و لا ثوبا و لا دابة منه، فمال قلبی الیه، فسألت عنه فقیل: هذا الحسن بن علی بن أبی‌طالب، فامتلأ قلبی له بغضا، و حسدت علیا أن یکون له ابن مثله، فصرت الیه و قلت له: أأنت ابن علی بن أبی‌طالب، قال: أنا ابنه، قلت فعل الله بک و بأبیک کذا و کذا، أسبهما، فلما انقضی کلامی، قال لی: أحسبک غریبا، قلت أجل، قال: «مل بنا، فان احتجت الی منزل أنزلناک، أو الی مال آسیناک أو الی حاجة عاوناک، قال: فانصرفت عنه، و ما علی الأرض أحب الی منه، و ما فکرت فیما صنع و صنعت، الا شکرته و خزیت نفسی».

و روی أن الامام الحسن کان جالسا عند باب داره فی الکوفة، اذا جاء أعرابی فسبه و سب أباه و أمه، فنهض الحسن بن علی قائلا: أیها الأعرابی: أجوعان أنت حتی أطعمک، أم ظمآن حتی أرویک، أم ماذا بک؟، فلم یلتفت الأعرابی الیه، بل استمر فی سبابه، فأمر الحسن عبده أن یأتی بکیس من الفضة، ثم أعطاه للرجل قائلا: «عفوا أیها الأعرابی، فلیس لدی غیره، ولو کان لدی المزید لأعطیتک»، و عندما سمع الأعرابی منه ذلک القول، صاح «أشهد أنک ابن بنت النبی صلی الله علیه و سلم فقد

[صفحه ۱۴۱]

جئت اختبرک»، ثم قال: «هکذا یکون أولیاء الله الحقیقیون الذین لا یهمهم أمدحهم الناس أم لاموهم، و الذین یستمعون اللوم هادئین، فیستوی عندهم مدح الخلق لهم أو قدحهم فیهم»، و هکذا کان الامام الحسن مثالا للانسانیة الکریمة، و رمزا للخلق العظیم، لا یثیره الغضب، و لا یزعجه المکروه، قد وضع نصب عینیه قول الله تعالی «ادفع بالتی هی أحسن، فاذا الذی بینک و بینه عداوة کأنه ولی حمیم»، و قد قابل کل ما لاقاه من سوء أو أذی أو مکروه من الحاقدین علیه بالصبر و الصفح الجمیل، حتی اعترف ألد خصومه، مروان بن الحکم، بسمو حلمه و عظیم خلقه، أخرج ابن‌حجر فی تهذیب التهذیب بسنده قال قال جویرة: لما مات الحسن بن علی بکی مروان فی جنازته، فقال الحسین: أتبکیه و قد کنت تجرعه ما تجرعه، فقال: «انی کنت أفعل ذلک الی أحلم من هذا، و أشار بیده الی الجبل»، و وصف الیافعی الامام الحسن فی مرآة الجنان فقال: «و مناقبه بالأنساب و الاکتساب و القرابة و النجابة و المحاسن، فی الظاهر و الباطن، معروفة مشهورة، وفی تعدادها غیر محصورة، و کان مع نهایة الشرف و الارتفاع فی غایة التلطف و الارتفاع».

کرمه و جوده

كان الامام الحسن، عليه‌السلام، كريما شجاعا، لا يعرف للمال قيمة، و لا يرى له أهمية، سوى ما يرد به جوع جائع أو يكسو به عاريا أو يغيث به ملهوفا، أو يفى به دين غارم، كان ندى الكف، مبسوط اليدين بالعطاء، و متمسكا بأهداف السخاء، بعيدا عن البخل و ضروبه، فقد كان السخاء عنصرا من عناصر ذات الحسن و مقوما من مقومات مراجه، و كان الكرم غريزة موصلة فيه، لاتنفك عنه و لا تنقطع منه، و كان الجود سجية وجدت مع وجوده، لا تبرح عنه لحظة و لا تتخلى عنه آونة، و قد أقر عنه أنه ما قال لسائل: لا، قط، و أخرج أبونعيم فى حلية الأولياء بسنده: «أن الحسن بن على رضى الله عنه خرج عن ماله مرتين، و قاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات».

و روى الشبلنجى فى نور الأبصار، و ابن‌خلكان فى وفيات الأعيان، أن

[صفحه ۱۴۲]

الامام الحسن سئل لأى شيء نراك لا ترد سائلا، و ان كنت على فاقة، فقال: «انى لله سائل، و فيه راغب، و أنا أستحى من أن أكون سائلا و أرد سائلا، و ان الله تعالى عودنى عادة، عودنى أن يفيض نعمة على، و عودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى ان قطعت عادتى، أن يمنعنى عادته»، و أخرج ابن‌كثير عن محمد بن سيرين قال: «ربما أجاز الحسن بن على الرجل الواحد بمائة ألف»، و قال سعيد بن عبدالعزيز: سمع الحسن رجلا الى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة ألاف درهم، فقام الى منزلة فبعث بها اليه، و ذكروا أن الحسن رأى غلاما أسود يأكل من رغيف لقمة، و يطعم كلبا هناك لقمة، فقال له: ما حملك على هذا، فقال انى أستحى منه أن آكل و لا أطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح من مكانك حتى آتيك، فذهب الى سيده فاشتراه، و اشترى الحائط (البستان) الذى هو فيه، فأعتقه و ملكه الحائط، فقال الغلام: «يا مولاى، قد وهبت الحائط للذى وهبتنى اليه».

و روى الشبلنجى أن رجلا شكا الى الامام الحسن حاله، فدعا الحسن رضى الله عنه وكيله، فجعل يحاسبه على نفقاته و مقبوضاته حتى استقصاها، و أحضر له ما فاض عن ذلك، و قدره خمسون ألف درهم، ثم قال له: «ما فعلت بالخمسمائة دينار التى معك، قال عندى، قال الحسن رضى الله عنه فأحضرها، فلما أحضرها دفع الدراهم و الدنانير الى رجل، و اعتذر منه»، و أخرج اليافعى فى مرآة الجنان: أن الامام الحسن قال للرجل: ايت بجمال تحمل لك فأتى بجمال فأعطاه طيلسانه و قال: «يكون كراء الجمال من قبلى».

هذا و قد روى أنه رضى الله عنه اشترى بستانا من الأنصار بأربعمائة ألف، ثم بلغه بعد ذلك أنهم قد احتاجوا الى ما فى أيدى الناس، فرده اليهم، و بذلك أنقذهم من ذل السؤال، و هذا من أفضل أنواع السخاء، هذا و روى أن جارية له قد حيته بطاقة من ريحان، فقال لها: أنت حرة لوجه الله، فلامه أنس بن مالك على ذلك فأجابه: أدبنا الله تعالى فقال «و اذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها»، و كان أحسن منها اعتاقها، و روى كتاب «الامام الحسن» أن الامام الحسن خرج مع سيدالشهداء الامام الحسين و ابن عمهما عبدالله بن جعفر، وافدين الى بيت.

[صفحه ۱۴۳]

الله الحرام فى مكة المكرمة، و فى أثناء الطريق أصابهم جوع و عطش، و قد سبقتهم أثقالهم، و ليس معهم شيء، فانعطفوا الى بيت فى الصحراء لم يروا فيه الا عجوزا، لم يك عندها سوى شاة، فاستضافتهم و قدمت لهم الشاة قائلة: دونكم هذه الشاة فاحلبوها و اشربوا لبنها، ثم أقسمت عليهم بعد ذلك أن يذبحها أحدهم حتى تهيء الحطب لشيها، و بعد الفراغ من تناول الطعام عزموا على الرحيل ثم عرفوها بأنفسهم قائلين: «يا أمة الله انا نفر من قريش نريد حج بيت الحرام، فاذا رجعنا سالمين فهلمى الينا لنكافئك على هذا الصنيع الجميل» و انصرفوا فأقبل زوجها، و ما أن علم بالأمر حتى أنبها قاتلا: «ويلك أتذبحين الشاة لأناس لا تعرفينهم، ثم تقولين انهم نفر من

قريش»، و مضت الأيام، و أصاب البادية قحط شديد، و اضطرت المرأة و زوجها الى النزوح عن البادية الى المدينة، و لم يجدا عملا سوى التقاط البعر من الطرقات و بيعه للناس، و فى يوم من الأيام لمح الامام الحسن المرأة فعرفها، و قد حل وفاء الدين، و المعروف فى ذمة الأحرار دين، فأمر غلامه باحضارها ثم سألها: أتعرفيننى يا أمة الله، أنا أحد ضيوفك يوم كذا سنة كذا، قالت لست أعرفك، قال: ان لم تعرفيننى فأنا أعرفك، ثم أمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة و أعطاها ألف دينار، ثم أمر غلامه أن يذهب بها الى الامام الحسين، فما أن دخلت عليه حتى عرفها، و قال للغلام: كم أعطاها أخى، فأخبره الغلام، فوصلها بمثل ذلك، ثم بعث بها الى عبدالله بن جعفر، فأمر لها بألفى شاة و ألفى دينار، فأخذت ذلك كله، و تغير حالها من فقر مدقع الى غنى و ثروة، كل ذلك من بر الامام الحسن و أخيه و ابن عمه و فضلهم آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم.

هذا و قد روى أن مروان بن الحكم قال يوما: انى لمشغوف ببغلة الحسن بن على فمن يأتينى بها، فقال ابن أبى‌عتيق، ان دفعتها اليك تقضى لى ثلاثين حاجة، قال نعم، قال: فاذا اجتمع الناس عندك العشية فانى آخذ من مآثر قريش، و أمسك عن الحسن، فلمنى على ذلك، فلما أخذ الناس مجالسهم أفاض فى أولية قريش، فقال مروان: ألا تذكر أولية أبى‌محمد (أى الحسن) و له فى هذا ما ليس

[صفحه ۱۴۴]

لأحد، فقال ابن أبى‌عتيق: انما كنا فى ذكر الأشراف، و لو كنا فى ذكر الأنبياء، لذكرنا فضائل أبى‌محمد، و لما خرج الامام الحسن ليركب تبعه ابن أبى‌عتيق، فقال له الحسن و تبسم: «ألك حاجة، قال نعم، البغلة، فنزل الامام عنها و دفعها اليه».

جرأته و شجاعته الادبية

اشتهر الامام الحسن بالحلم، حتى عرفه قوم بحليم آل البيت، و قد أشرنا من قبل كيف وصفه عدو آل‌البيت، مروان بأنه أحلم من الجبل، غير أن هذا الحلم سرعان ما ينقلب الى حده، و شدة، دونما خروج على الحق، أو ايغال فى الخصومة، خاصة اذا ما كان الأمر يتصل بأبيه الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة أو آل بيته الطاهرين المطهرين، أو يتصل بصون كرامته و مقامه بين الناس، روى ابن أبى‌الحديد فى شرح نهج‌البلاغة عن ابن‌عباس رضى الله عنه أنه قال: دخل الحسن على معاوية بعد عام الجماعة، و هو جالس فى مجلس ضيق، فجلس عند رجليه، فتحدث معاوية ما شاء الله له أن يتحدث، ثم قال: عجبا لعائشة تزعم أنى فى غير ما أنا أهله، و أن الذى أصبحت فيه ليس لى بحق، و ما لها و لهذا، يغفر الله لها، انما كان ينازعنا فى هذا الأمر، أبو هذا الجالس، وقد استأثر الله به، فقال الحسن: أو عجب ذلك يا معاوية، قال: أى و الله، و قال الحسن: أفلا أخبرك بما هو أعجب من هذا، قال ما هو، قال الحسن: جلوسك فى صدر المجلس و أنا عند رجليك، قال: فضحك معاوية و قال: يا ابن أخى بلغنى أن عليك دينا، قال: ان لعلى دينا، قال كم هو، قال: مائة ألف، قال: قد أمرنا لك بثلاثمائة ألف، مائة منها لدينك، و مائة تقسمها فى أهل بيتك، و مائة لخاصة نفسك، فقم مكرما و اقبض صلتك، فلما خرج الحسن، عليه‌السلام قال يزيد لأبيه معاوية: تالله ما رأيت رجلا استقبلك بما استقبلك به، ثم أمرت له بثلاثمائة ألف، قال معاوية «يا بنى ان الحق حقهم، فمن أتاك منهم فاحث له».

هذا و قد روى أن معاوية قام خطيبا على المنبر، فتهكم على أميرالمؤمنين

[صفحه ۱۴۵]

الامام على، و قال: من على؟ فقام الامام الحسن و قال: ان الله لم يبعث نبيا الا جعل له عدوا من المنافقين، و قال تعالى «و كذلك

جعلنا لكل نبی عـدوا من المجرمين»، و أنا ابن‌علی، و أنت ابن‌صـخر، و أمک هنـد، و أمی فاطمهٔ، وجدتک قتيلهٔ، و جدتی خديجهٔ، و جدی رسول الله صلی الله عليه و سلم و جدک عتبهٔ بن ربيعهٔ، فلعن الله ألأمنا حسبا، و أخملنا ذکرا، و أقدمنا کفرا و أشدنا نفاقا، فصاح أهـل المسـجد آمين، قـال الفضـل، قـال يحيی بـن معين: و نحن نقـول آمين، قـال أبوعبيـد: و نحن أيضـا نقـول آمين، قـال أبـوالفرج الأصفهانی الأموی: «و أنا أقول آمين».

و لا ريب فی أن جرأهٔ الامام الحسن انما هی صفهٔ لازمته منذ الصغر، و قد أشرنا من قبل، الی أنه دخل مسجد جده رسول الله صلی الله عليه و سـلم فی طفولته، لم يکن قـد بلغ الثامنـهٔ من عمره، فرأی أبابکر الصديق رضـی الله عنه يخطب علی المنبر، فهتف به: «ليس هذا منبر أبيک، أنزل عن منبر أبی»، فابتسم له الصديق رضـی الله عنه فی حنان «يا ابن رسول الله صلی الله عليه و سلم صدقت و الله، ما کان لأبی منبر، و انه لمنبر أبيک».

و روی ابن عبـد ربه فی العقد الفريد أنه بينما معاويهٔ جالس فی أصـحابه، اذ قيل له الحسن بالباب، فقال معاويهٔ: ان دخل أفسد علينا ما نحن فيه، فقال له مروان بن حکم: ائـذن لی، فانی أسأله ما ليس عنـده فيه جواب، قال معاويـهٔ: لا تفعل فانهم قوم قـد ألهموا الکلام، و أذن له، فلما دخل الحسن و جلس، قال له مروان: أسـرع الشـيب الی شاربک يا حسن و يقال أن ذلک من الخرف، فقال الحسن: ليس کما بلغک، ولکنا معشـر بنی‌هاشم، أفواهنا عذبهٔ شفاهها، فنساؤنا يقبلن علينا بأنفاسهن و قبلهن، و أنتم معشر بنی‌أميهٔ فيکم بخر شديد، فنساؤکم يصـرفن أفواههن و أنفاسـهن عنکم الی أصـداغکم، فانما يشـيب منکم موضع العـذار من أجل ذلک، قال مروان: ان فيکم يا بنی‌هـاشم خصـلهٔ سوء، قـال و مـا هی، قال: الغلمـهٔ (شـدهٔ الشـهوهٔ للجماع)، قال الحسن: أجل: نزعت الغلمـهٔ من نساءنا و وضـعت فی رجالنـا، و نزعت الغلمـهٔ من رجـالکم و وضـعت فی نسائکم، فما قام لأمويـهٔ الا هاشـمی، فغضب معاويـهٔ و قال: «کنت أخبرتکم فأبيتم حتی سمعتم ما أظلم عليکم بيتکم، وقد أفسد عليکم مجلسکم».

[صفحه ۱۴۶]

و هناک الحوار العنيف المشـهور بين الامام الحسن و بطانهٔ معاويهٔ فی مجلس معاويهٔ، ننقله عن ابن أبی‌الحديد فی شرح النهج [۳]، و عن الطاهر بن عبدالسلام فی حصن السلام، و الزبير بن بکار فی کتاب المفاخرات.

روی أنه اجتمع الی معاويـهٔ رهـط من شـيعته المناوئين للامام الحسن و آل البيت، و هم عمرو بن العاص و عمرو بن عثمان بن عفان و الوليـد بن عقبـهٔ بن أبی‌معيط و عتبـهٔ بن أبی‌سـفيان و المغيرهٔ بن شـعبهٔ، و کان قـد بلغهم عن الامام الحسن بعض قوارص، و بلغه عنهم مثـل ذلک، فقالوا لمعاويـهٔ: ان الحسن قـد أحيا أباه و ذکره، قال فصـدق، و أمر فأطيع، و خفقت له النعال، و ان ذلک لرافعه الی ما هو أعظم منه، و لا- يزال يبلغنـا عنه مـا يسـیء الينـا، فـابعث اليه فليحضـر، لنسـبه و نسب أبـاه، و نوبخه و نخبره أن أبـاه قتل عثمان و نقرره بـذلک، فقـال لهم معاويـهٔ: انی لا أری ذلک و لا أفعله، فعزموا عليه فقال: لا تفعلوا، انی أخاف أن يقلـدکم قلائـد يبقی عليکم عارها حتی تدخلکم قبورکم، فوالله ما رأيته قط جالسا عندی، الا خفت مقامه و عيبه لی، ثم قال: انه ألسن بنی‌هاشم، قالوا ابعث اليه علی کل حـال، قـال: ان بعثت اليه لأنصـفنه منکم، فقال عمرو بن العاص: أتخشـی أن يأتی باطله علی حقنا، قال: أما أنی لو بعثت اليه لآمرنه أن يتکلم بلسانه کله، و اعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب و لا يلصق بهم العار، ولکن اقذفوه بحجره، تقولون له: أن أباک قتل عثمان و کره خلافهٔ الخلفاء قبله.

و جاء رسول معاويـهٔ الی الامام الحسن فقال له: يـدعوک معاويـهٔ، قال و من عنده، قال: عنده فلان و فلان، و سـمی کلا منهم باسـمه، فقـال الحسن: مـا لهم، خر عليهم السـقف من فوقهم و أتاهم العـذاب من حيث لا يشـعرون، يا جاريـهٔ أبلغينی ثيابی، ثم قال: اللهم انی أدرأ بک فی نحرهم و أعوذ بک من شـرورهم، و أسـتعين بک عليهم، فاکفنيهم بما شـئت و أنی شـئت من حولک و قوتک يا أرحم

الراحمين، فلما دخل على معاوية أعظمه و أكرمه و أجلسه الى جانبه، و قد ارتاد القوم

[صفحه ۱۴۷]

و خطروا خطران الفحول بغيا فى أنفسهم و علوا، ثم قال معاوية: يا أبامحمد: ان هؤلاء بعثوا اليك و عصونى ليقرروك أن عثمان قتل مظلوما، و أن أباك قتله، فقال الامام الحسن: سبحان الله، الدار دارك، و الاذن فيها اليك، و ان كنت أجبتهم لما أرادوا و ما فى أنفسهم، انى لأستحى لك من الفحش، و ان كانوا غلبوك على رأيك، انى لأستحى لك من الضعف، أما انى لو علمت بمكانهم جئت بمثلهم من بنى عبدالمطلب، و ما لى أن أكون مستوحشا منك و لا منهم، ان ولى الله الذى نزل الكتاب و هو يتولى الصالحين، فقال معاوية: انى كرهت أن أدعوك، ولكن هؤلاء حملونى على ذلك، و ان لك منهم النصف و منى، و انما دعوناك لنقررك أن عثمان قتل مظلوما، و أن أباك قتله فأجبهم و لا تمنعك وحدتك و اجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك.

فتكلم عمرو بن عفان، فقال: ما سمعت كاليوم أن بقى من بنى عبدالمطلب على وجه الأرض من أحد بعد قتل الخليفة عثمان، و كان من ابن أختهم، و الفاضل فى الاسلام منزلة، و الخاص برسول الله صلى الله عليه و سلم أثرة، فسفكوا دمه اعتداء و طلبا للفتنة و حسدا و نفاسة، و طلب ما ليسوا بأهل لذلك، مع سوابقه و منزلته من الله و رسوله و من الاسلام، فيا ذلاه أن يكون حسن و سائر بنى عبدالمطلب و قتلة عثمان أحياء يمشون على مناكب الأرض، و عثمان مضرج بدمه، مع أن لنا فيكم تسعة عشر دما بقتلى بنى‌أمية ببدر.

و قال عمرو بن العاص: أى يا ابن أبى‌تراب، بعثنا اليك لنقررك أن أباك شتم أبابكر الصديق، و اشترك فى قتل عمر الفاروق و قتل عثمان ذى النورين مظلوما، فادعى ما ليس بحق (أى الخلافة) و ذكر الفتنة وعيره بها، ثم قال: انكم بنى عبدالمطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك و على قتلكم الخلفاء و واستحلالكم ما حرم الله من الدماء و حرصكم على الملك و ايتانكم ما لا يحل ثم انك يا حسن تحدث نفسك أن الخلافة صائرة اليك، و ليس عندك عقل ذلك و لا لبه، فكيف و قد سلبته و تركت أحمق قريش، و انما دعوناك لنسبك و أباك، ثم أنت لا تستطيع أن تعتب علينا، و لا أن تكذبنا فى شىء به، فان كنت ترى أنا كذبناك فى شىء، و تقولنا عليك بالباطل، و ادعينا خلاف الحق فتكلم، و الا فاعلم أنك و أباك من شر

[صفحه ۱۴۸]

ما خلق الله، أما أبوك فقد كفانا الله قتله و تفرد به، و أما أنت فلو قتلناك ما كان علينا اثم من الله و لا عيب من الناس.

و قال الوليد بن عقبة: يا بنى‌هاشم: كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكم فعرف حقكم، و كنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم، فكنتم أول من حسده، فقتله أبوك ظالما، فكيف ترون الله طلب بدمه، و الله ان بنى‌أمية خير لبنى‌هاشم من بنى‌هاشم لبنى‌أمية.

و قال عتبة بن أبى‌سفيان: يا حسن كان أبوك شر قريش لقريش، أسفكه لدمائها و أقطعه لأرحامها، طويل السيف و اللسان، يقتل الحى و يعيب الميت، و أما رجاؤك الخلافة فلست فى زندها قادحا، و لا فى ميزانها راجحا، و انكم يا بنى‌هاشم قتلتم عثمان، و ان فى الحق أن نقتلك و أخاك به، و أما أبوك فقد كفانا الله أمره.

و تكلم المغيرة بن شعبة: فشتم عليا، و قال و الله ما أعيبه فى قضية يخون، و لا فى حكم يميل، ولكنه قتل عثمان، ورد الامام الحسن بن على فقال، بعد أن حمدالله و أثنى عليه، و صلى على رسوله صلى الله عليه و سلم، أنا بعد: يا معاوية، انه لعمر الله يا أزرق ما شتمنى غيرك، و ما هؤلاء شتمونى، و لا سبنى غيرك، و ما هؤلاء سبونى، ولكنك شتمتنى فحشا ألفته، و سوء رأى عرفت به، و خلقا سيئا ثبت عليه، و بغيا و عدوانا و حسدا علينا، و عداوة منك لمحمد صلى الله عليه و سلم و أهله، قديما و حديثا، و انه والله لو كنت أنا و

هؤلاء یا أزرق، مثاورین فی مسجد رسول الله صلی الله علیه و سلم و حولنا المهاجرون و الأنصار، ما قدروا أن یتکلموا بمثل ما تکلموا به، و لا ـ استقبلونی بما استقبلونی به، ولکن اسمع یا معاویة و اسمعوا، فلا قولن فیک و فیهم ما هو دون ما فیکم، أنشدکم الله أیها الرهط، هل تعلمون أن الذی شتمتوه منذ الیوم (یعنی الامام علی کرم الله وجهه فی الجنة) صلی القبلتین کلیهما، و أنت یا معاویة بهما کافر، تراها ضلالة و تعبد اللات و العزی غوایة، و بایع البیعتین، بیعة الرضوان و بیعة الفتح، و أنت باحداهما کافر، و بالأخری ناکث، و أنشدکم بالله، هل تعلمون أنه أول الناس ایمانا، و انک یا معاویة و أباک من المؤلفة قلوبهم، تسرون الکفر و تظهرون

[صفحه ۱۴۹]

الاسلام و تستمالون بالأموال، و أنه کان صاحب رایة النبی صلی الله علیه و سلم یوم بدر، و أن رایة المشرکین کانت مع معاویة، یعبد اللات و العزی، و یری حرب رسول الله و المؤمنین فرضا واجبا، ثم لقیکم یوم أحد و یوم الأحزاب و معه رایة رسول الله صلی الله علیه و سلم و معک و مع أبیک رایة الشرک، و فی کل ذلک یفتح الله علیه، و یفلج حجته و ینصر دعوته و یصدق حدیثه، و رسول الله صلی الله علیه و سلم فی کل تلک المواطن عنه راض، و علیک و علی أبیک ساخط، و بات یحرس رسول الله صلی الله علیه و سلم من المشرکین، و فداه بنفسه لیلة الهجرة حتی أنزل فیه (و من الناس من یشری نفسه ابتغاء مرضاة الله)، و أنزل فیه (انما ولیکم و رسوله و الذین آمنوا الذین یقیمون الصلاة و یؤتون الزکاة و هم راکعون).

«ثم أنشدکم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلی الله علیه و سلم قال یوم خیبر: لأعطین الرایة غدا رجلا یحب الله و رسوله، و یحبه الله و رسوله، کرارا غیر فرار، ثم لا یرجع حتی یفتح الله علیه، فتعرض لها المهاجرون و الأنصار، و علی یومئذ أرمد شدید الرمد، فدعاه رسول الله صلی الله علیه و سلم فتفل فی عینیه فبریء من الرمد، فأعطاه الرایة، فمضی و لم یثن حتی فتح الله علیه بمنه و طوله، و أنت یومئذ بمکة عدو لله و رسوله، فهل یسوی بین رجل نصح لله و رسوله، و رجل عادی الله و رسوله، ثم أنشدکم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلی الله علیه و سلم استخلفه علی المدینة فی غزوة تبوک، و لا أسخطه ذلک و لا کرهه، و تکلم فیه المنافقون، فقال: لا تخلفنی یا رسول الله، فانی لم أتخلف عنک قط، فقال رسول الله صلی الله علیه و سلم: أنت وصیی و خلیفتی فی أهلی، و أنت منی بمنزلة هارون من موسی، الا أنه لا نبی بعدی، ثم أخذ بید علی ثم قال: أیها الناس من تولانی فقد تولی الله عزوجل، و من تولی علیا فقد تولانی، و من أطاعنی فقد أطاع الله، و من أطاع علیا فقد أطاعنی، و من أحبنی فقد أحب الله، و من أحب علیا فقد أحبنی، أنشدکم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلی الله علیه و سلم قال فی حجة الوداع: أیها الناس انی ترکت فیکم ما لم تضلوا بعده، کتاب الله، فأحلوا حلاله و حرموا حرامه، و اعملوا بمحکمه و آمنوا بمتشابهه، و قولوا آمنا بما أنزل الله فی الکتاب، و أحبوا أهل بیتی و عترتی، و والوا من والاهم، و انصروهم علی من عاداهم، و أنهما لم یزالا فیکم حتی یردا علی الحوض یوم القیامة، ثم دعا علیا و هو

[صفحه ۱۵۰]

علی المنبر، فاجتذبه بیده فقال: اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، اللهم من عادی علیا فلا تجعل له فی الأرض مقعدا، و لا فی السماء مصعدا، أنشدکم بالله هل تعلمون، أن رسول الله صلی الله علیه و سلم قال له: أنت الذائد عن حوضی یوم القیامة، تذود عنه کما یذود أحدکم الغریبة من وسط ابله، أنشدکم بالله هل تعلمون أن علیا دخل علی رسول الله صلی الله علیه و سلم فی مرضه الذی توفی فیه، فبکی رسول الله صلی الله علیه و سلم فقال علی: ما یبکیک یا رسول الله، فقال یبکینی أنی أعلم أن لک فی قلوب الرجال من أمتی ضغائن لا یبدونها حتی أتولی عنک، أنشدکم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلی الله علیه و سلم حین حضرته الوفاة و اجتمع

أهـل بيته قـال: اللهم هؤلاـء أهـل بيتى و عترتى: اللهم وال من والاـهم، و انصـرهم على من عـاداهم، و قـال: انمـا مثـل أهل بيتى فيكم كسـفينة نوح، من دخل فيها نجا، و من تخلف عنها غرق، أنشدكم بالله هل تعلمون، و أن أصـحاب رسول الله صـلى الله عليه و سلم قد سلموا عليه (أى الامام على) بالولايـة فى عهد رسول الله صـلى الله عليه و سـلم و فى حياته، أشـهدكم بالله هل تعلمون أن عليا أول من حرم الشـهوات كلها على نفسه من أصـحاب رسول الله صـلى الله عليه و سلم فأنزل الله عزوجل «يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم و لا تعتـدوا ان الله يحب المعتـدين، و كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا و اتقوا الله الـذى أنتم به مؤمنون»، و كان عنده علم المنايا و علم القضايا و فصل الخطاب و رسوخ العلم و منزل القرآن، و كان فى رهط و لا نعلمهم يتمون عشرة أنهم مؤمنون، و أنتم فى رهط قريب من عدة أولئك لعنوا على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم.

ثم التفت الى معاويـة و قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صـلى الله عليه و سـلم بعث اليك لتكتب لبنى خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليد، فانصـرف اليك الرسول، فقال: هو يأكل، فأعاد اليك الرسول ثلاث مرات، كل ذلك ينصرف الرسول و هو يقول: هو يأكل، فقال رسول الله صـلى الله عليه و سـلم: اللهم لا تشبع بطنه، فهى و الله فى نهمتك و أكلك الى يوم القيامـة، و أنشدكم بالله هل تعلمون انما أقول حقا أنك يا معاويـة كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر، و يقوده أخوك هـذا القاعـد، و هذا يوم الأحزاب، فرآكم رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلعن الراكب و القائد و السائق، فكان أبوك

[صفحه ۱۵۱]

الراكب، و أنت يا أزرق السائق، و أخوك هذا القاعد القائد، ثم أتنسـى يا معاوية الشـعر الذى كتبته لأبيك لما هم أن يسـلم تنهاه عن الاسلام.

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا
بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا

خالى و عمى و عم الأم ثالثهم
و حنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا

لا تركن الى أمر تقلدنا
و الراقصات به فى مكة الخرقا

فالموت أهون من قول العداة لقد
حاد ابن‌حرب عن العزى اذا فرقا

و أنتم أيهـا الرهط: أنشـدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صـلى الله عليه و سـلم لعن أباسـفيان فى سـبعة مواطن، لا تسـتطيعون ردها: أولها: يوم لقى رسول الله صـلى الله عليه و سـلم خارجا من مكـة الى الطائف يـدعو ثقيفا الى الدين، فوقع به و سـبه و سـفهه و كذبه و توعده و هم أن يبطش به، و الثانية يوم العير، اذ عرض لها رسول الله صـلى الله عليه و سـلم و هى جائية من الشام، فطردها أبوسـفيان و

ساحل بها و لم یظفر بها المسلمون، و لعنه رسول الله صلی الله علیه و سلم و دعا علیه، فکانت وقعهٔ بدر لأجلها، و الثالثهٔ یوم أحد، قال رسول الله صلی الله علیه و سلم الله مولانا، و لا مولی لکم، و قال أبوسفیان: اعل هبل مرارا، لنا العزی و لا عزی لکم، فلعنه رسول الله صلی الله علیه و سلم عشر مرات و لعنه المسلمون، و الرابعهٔ یوم الأحزاب، اذ جاء أبوسفیان یجمع قریش و هوازن، و جاء عیینهٔ بغطفان و الیهود، فلعنه رسول الله صلی الله علیه و سلم و ابتهل، فردهم الله بغیظهم لم ینالوا خیرا، هذا قول الله عزوجل فی سورتین کلتیهما یسمی أباسفیان و أصحابه کفارا، و أنت یومئذ یا معاویهٔ مشرک علی رأی أبیک بمکهٔ، و علی یومئذ مع رسول الله صلی الله علیه و سلم و علی رأیه و دینه، و الخامسهٔ یوم الحدیبیهٔ، یوم جاء أبوسفیان فی قریش یوم صدوا رسول الله صلی الله علیه و سلم عن المسجد الحرام، و الهدی معکوفا أن یبلغ محله، فلعن رسول الله صلی الله علیه و سلم القادهٔ و الأتباع، فقیل یا رسول الله: أفما یرجی الاسلام لأحد منهم، قال: لا تصیب اللعنهٔ أحدا من الأتباع یسلم، و أما القادهٔ فلا یفلح منهم أحد، و السادسهٔ یوم الجمل الأحمر، و السابعهٔ یوم وقفوا لرسول الله صلی الله علیه و سلم یوم الثنیهٔ فی العقبهٔ لیستنفروا ناقته، و کانوا اثنی عشر رجلا، منهم أبوسفیان، هذا لک یا معاویهٔ.
و أما أنت یا عمرو بن عثمان، فلم تکن حقیقا لحمقک أن تتبع هذه الأمور،

و انی و الله ما شعرت أنک تحسن أن تعادی لی، فیشق علی ذلک، و انی لمجیبک فی الذی قلت، ان سبک علیا أبنقص فی حسبه أو تباعده من رسول الله صلی الله علیه و سلم أو بسوء بلاء فی الاسلام، أو بجور فی حکم أو رغبهٔ فی الدنیا، فان قلت واحدهٔ منها فقد کذبت، و أما قولک ان لک فینا تسعهٔ عشر دما بقتلی بدر من مشرکی بنی‌أمیهٔ، فان الله و رسوله قتلهم، و لعمری لیقتلن من بنی‌هاشم تسعهٔ عشر، و ثلاثهٔ بعد تسعهٔ عشر، ثم یقتل من بنی‌أمیهٔ تسعهٔ عشر، و تسعهٔ عشر فی موطن واحد، سوی ما قتل من بنی‌أمیهٔ لا یحصی عددهم الا ـ الله، فان رسول الله صلی الله علیه و سلم قال: اذا بلغ ولد الوزغ ثلاثین رجلا، أخذوا مال الله بینهم دولا، و عباده خولا، و کتابه دغلا، فاذا بلغوا ثلاثمائهٔ و عشرا حقت علیهم اللعنهٔ و لهم، فاذا بلغوا أربعمائهٔ و خمسهٔ و سبعین کان هلاکهم أسرع من لوک تمرهٔ، فأقبل الحکم بن أبی‌العاص، و هم فی ذلک الذکر و الکلام، فقال رسول الله صلی الله علیه و سلم: اخفضوا أصواتکم فان الوزغ یسمع، و ذلک حین رآهم رسول الله صلی الله علیه و سلم و من یملک بعده منهم أمر هذه الأمهٔ (یعنی فی الرؤیا) وساءه ذلک و شق علیه، فأنزل الله عزوجل فی کتابه «لیلهٔ القدر من ألف شهر»، فأشهد لکم و أشهد علیکم، ما سطلانکم بعد قتل علی، الا ألف شهر، التی أجلها الله فی کتابه.
و أما أنت یا ابن النابغهٔ (عمرو بن العاص) فأول أمرک ان أمک لبغیهٔ، و أنک ولدت علی فراش مشترک، فتحاکمت فیک أهل قریش، منهم أبوسفیان بن حرب و الولید بن المغیرهٔ و عثمان بن الحارث و النضر بن الحارث بن کلدهٔ، و العاص بن وائل، کلهم یزعم أنک ابنه، فغلبهم علیک من بنی‌قریش ألأمهم حسبا، و أخبثهم منصبا و أعظمهم بغیهٔ، ثم قام أبوک فقال أنا شانیء محمد الأبتر، فأنزل الله فیه (ان شائنک هو الأبتر)، و قاتلت رسول الله صلی الله علیه و سلم فی جمیع المشاهد و هجوته و آذیته بمکهٔ و کدته، و کنت من أشد الناس له تکذیبا و عداوهٔ، ثم خرجت ترید النجاشی لتأتی بجعفر و أصحابه، فلما أخطأک ما رجوت و رجعک الله خائبا و أکذبک واشیا، جعلت جدک علی صاحبک عمارهٔ بن الولید، فوشیت به الی النجاشی، ففضحک الله و فضح صاحبک، فأنت عدو بنی‌هاشم فی الجاهلیهٔ

و الاسـلام، و هجوت رسول الله صـلی الله علیه و سـلم بسـبعین بیتـا من الشـعر، فقال اللهم انی لا أقول الشـعر و لا ینبغی لی، اللهم العنه بکل حرف ألف لعنهٔ، فعلیک اذا من الله ما لا یحصـی من اللعن، و أما ما ذکرت من أمر عثمان فأنت سعرت علیه الدنیا نارا، ثم لحقت بفلسـطین، فلمـا أتـاک قتله قلت: «أنـا أبوعبـدالله اذا نکأت قرحـهٔ أدمیتها»، ثم حبست نفسک الی معاویـهٔ و بعت دینک بـدنیاه، فلسـنا نلومـک علی بغض و لاـ نعاتبـک علی ود، و الله ما نصـرت عثمان حیا و لا غضـبت له مقتولا، ویحک یا ابن العاص، ألست القائل لما خرجت الی النجاشی:

تقول ابنتی أین هذا الرحیل
و ما السیر منی بمستنکر

فقلت ذرینی فانی امرؤ
أرید النجاشی فی جعفر

لأکویه عنده کیه
أقیم بها نخوهٔ الأصعر

و شآنیء أحمد من بینهم
و أقولهم فیه بالمنکرا

و أجری الی عتبهٔ جاهدا
و لو کان کالذهب الأحمر

و لا أنثنی عن بنی‌هاشم
و ما استطعت فی الغیب و المحضر

فان قبل العتب منی له
و الا لویت له مشغری

و أمـا أنت یا ولیـد بن عقبـهٔ: فما أنت و ذکر قریش، انما أنت علـج من أهل صـفوریهٔ، یقال له ذکوان، ولو سألت أمک من أبوک، اذ ترکت ذکوان و ألصـقتک بعقبـهٔ بن أبی‌معیـط، فاکتست بـذلک عنـد نفسـها سـناء و رفعهٔ، مع ما أعـد الله لک و لأبیک و أمک من الخزی و العار فی الـدنیا و الآخرهٔ، و لأنت و الله أکبر فی السن ممن تـدعی له فی النسب، و أما قولک انا قتلنا عثمان، فوالله ما اسـتطاع طلحـهٔ و الزبیر و عائشـهٔ أن یقولوا ذلک لعلی بن أبی‌طالب، و أنا و الله ما ألومک علی بغض علی، و قد قتل أباک بین یدی رسول الله صلی الله علیه و سلم صبرا، و جلدک ثمانین فی الخمر، لما صلیت بالمسلمین سکران، و فیک یقول الحطیئهٔ:

شهد الحطیئهٔ حین یلقی ربه

ان الولید أحق بالغدر

نادی و قد تمت صلاتهم

أأزیدکم سکرا و ما یدری

[صفحه ۱۵۴]

لیزیدهم اخری و لو قبلوا

لأتت صلاتهم علی العشر

فأبوا أباوهب و لو قبلوا

لقرنت بین الشفع و الوتر

حبسوا عنانک اذ جریت ولو

ترکوا عنانک لم تزل تجری

و سماک الله فی کتابه فاسقا، و سمی أمیرالمؤمنین (الامام علی) مؤمنا، حیث تفاخرتما فقلت له: أسکت یا علی، فأنا أشجع منک جنانا، و أطول منک لسانا، فقال لک علی: أسکت یا ولید فأنا مؤمن و أنت فاسق، فأنزل الله تعالی فی موافقته قوله تعالی (أفمن کان مؤمنا کمن کان فاسقا لا یستوون)، ثم أنزل فیک (ان جاءکم فاسق ینبأ فتبینوا)، و مهما نسیت فلا تنس قول الشاعر فیک و فیه:

أنزل الله و الکتاب عزیز

فی العلی و فی الولید قرآنا

فتبوأ الولید اذ ذاک فاسقا

و علی مبؤا ایمانا

لیس من کان مؤمنا - عمرک الله -

کمن کان فاسقا خوانا

سوف یدعی الولید بعد قلیل

و على الى الحساب عيانا

فعلى يجزى بذاك جنانا

و وليد يجزى بذاك هوانا

رب جد لعقبة بن ابان

لابس فى بلادنا تبانا

و أما أنت يا عتبة بن سفيان، فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك، و لا عاقل فأحاورك و أعاتبك، و ما عندك خير يرجى، و لا شر يتقى، و ما عقلك و عقل أمتك الا سواء، و ما يضر عليا لو سببته على رؤوس الأشهاد، و أما وعيدك اياى بالقتل، فهلا قتلت اللحيانى اذ وجدته على فراشك، فقال فيك نصر بن حجاج:

يا للرجال و حادث الأزمان

و لسبة تخزى أباسفيان

نبئت عتبة خانة فى عرسه

جبس لئيم الأصل من لحيان

ألفاه معها فى الفراش فلم يكن

فحلا و أمسك خشية النسوان

لا تعتبن يا عتب نفسك حبها

ان النساء حبائل الشيطان

و كيف ألومك على بغض على، و قد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر، و شرك حمزة فى قتل جدك عتبة، و أوجدك من أخيك حنظلة فى مقام واحد».

[صفحه ۱۵۵]

و أما أنت يا مغيرة بن شعبة، فلم تكن بخليق أن تقع فى هذا و شبهه، و انما مثلك مثل البعوضة اذ قالت للنخلة استمسكى فانى طائرة عنك، فقالت النخلة: هل علمت بك واقعة على، فاعلم بك طائرة عنى، و الله ما نشعر بعداوتك ايانا، و لا اغتممنا اذ علمنا بها، و لا يشق علينا كلامك، و ان حد الله عليك فى الزنا و لقد درأ عنك عمر حقا لله، و لقد سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم هل ينظر الرجل الى المرأة يريد أن يتزوجها، فقال صلى الله عليه و سلم لا بأس بذلك يا مغيرة، ما لم ينو الزنا، لعلمه بأنك زان.

و أما فخركم علينا بالامارة، فقد ملك فرعون مصر، و موسى و هارون نبيان يلقيان و ما يلقيان، و هو ملك يعطيه الله للبر و الفاجر، و قد قال تعالى (و ان أدرى لعله فتنة لكم و متاع الى الحين) و قال (و اذ أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا).

ثم قال الامام الحسن فنفض ثيابه و انصرف، فتعلق عمرو بن العاص بثوبه، و قال يا أميرالمؤمنين: قد شهدت قوله فى قذف أمى بالزنا، و أنا مطالب بحد القذف، فقال معاوية: خل عنه لا جزاك الله خيرا، فتركه و انصرف الامام الحسن و تركهم يتميزون غيظا و يحسون كمدا، و قال معاوية: قد أنبأتكم أنه ممن لا ـ تطاق عارضته و نهيتكم أن تسبوه، و الله ما قام حتى أظام على البيت، قوموا عنى فقد فضحكم الله و أخزاكم بترككم الجزم، و عدو لكم عم أى الناصح المشفق.

و عام مروان بن الحكم بما حدث، فأتى القوم و طلب منهم أن يدعو الحسن ليسبه و يسب أباه و أهل بيته، فأرسلوا الى الامام الحسن، فلما جاءه الرسول قال: ماذا يريد هذا الطاغية منى، و الله لئن أعاد الكلام لأوقرن مسامعه، ما يبقى عليه عاره و شناره الى يوم القيامة، فلما أن جاءهم وجدهم بالمجلس على حالتهم التى تركهم عليها، غير أن مروان قد حضر، ثم مشى الحسن الى السرير فجلس مع معاوية و عمرو، و قال لمعاوية: لم أرسلت الى، فقال لست أنا، ولكن مروان هو الذى أرسل اليك، فقال مروان: أنت يا حسن السباب رجال قريش، فقال الامام: و ماذا أردت، فقال مروان لأسبنك و أباك و أهل بيتك.

فقال الامام الحسن: أما أنت يا مروان، فلست أنا سببتك و لا سببت أباك،

[صفحه ۱۵۶]

ولكن الله عزوجل لعنك و لعن أباك و أهل بيتك و ما خرج من صلب أبيك الى يوم القيامة على لسان نبيه محمد صلى الله عليه و سلم، و الله يا مروان ما تنكر أنت و لا أحد ممن حضر هذه اللعنة من رسول الله صلى الله عليه و سلم لك و لأبيك من قبلك، و ما زادك الله بما خوفك الا طغيانا كبيرا، صدق الله و رسوله، اذ يقول تعالى (و الشجرة الملعونة فى القرآن و نخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا)، و أنت يا مروان و ذريتك الشجرة الملعونة فى القرآن، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن عليه‌السلام، و قال: يا أبامحمد ما كنت فاحشا، فنفض الحسن ثوبه و خرج، فتفرق القوم عن المجلس بغيظ و حزن، و وجوه سود.

هيبته و وقاره

كان الامام الحسن سيدا فى حداثته، سيدا فى شبابه، سيدا فى رجولته و شيخوخته، بل كان سيدا فى الدنيا، و سيكون سيدا فى الآخرة، فلقد روى البخارى بسنده عن أبى‌بكرة قال: أخرج النبى صلى الله عليه و سلم ذات يوم الحسن، فصعد به على المنبر، فقال: «ابنى هذا سيد، و لعلى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»، و أخرج الترمذى عن أبى‌بكرة قال: صعد رسول الله صلى الله عليه و سلم المنبر فقال: «ان ابنى هذا سيد، يصلح الله على يديه فئتين عظيمتين»، و يعلق ابن عبدالبر فى الاستيعاب على هذين الحديثين الشريفين بقوله: تواترث الآثار الصحاح عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال للحسن بن على ان ابنى هذا سيد «و لا أسود ممن سماه رسول الله صلى الله عليه و سلم سيدا»، و عن سعيد المقبرى قال: كنا مع أبى‌هريرة فمر الحسن فسلم، فرددنا عليه، و لم يعلم به أبوهريرة فقلنا له: هذا الحسن بن على، فتبعه فلحقه و قال له: و عليك السلام يا سيدى، و انى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: انه سيد، و فى رواية: «انه لسيد»، و روى الطبرانى فى الأوسط عن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه و سلم أنها أتت بالحسن و الحسين الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى شكواه التى توفى فيها، فقالت يا رسول الله: هذان ابناك فورثهما شيئا، فقال: «أما حسن فله هيبتى و

سؤددی، و أما حسین فله جرأتی وجودی».

[صفحه ۱۵۷]

و أما عن سیادهٔ سیدنا الامام الحسن فی الأخرهٔ، فلقد أخرج الترمذی المناقب و الامام أحمد فی المسند، عن أبی‌سعید الخدری رضی الله عنه قال رسول الله صلی الله علیه و سلم «الحسن و الحسین سیدا شباب أهل الجنهٔ».

و فی الواقع فلقد کانت شخصیهٔ سیدنا الامام الحسن تملأ العیون و تهیمن علی النفوس، فقد التقت به عناصر الامامهٔ، و تمثلت فیه هیبهٔ النبی صلی الله علیه و سلم، حتی لقد کان معاویهٔ، و هو فی سلطانه، یهابه و یخشاه، و حتی کان ابن‌عباس، علی جلاله و هیبته و صحبته، یأخذ له الرکاب اذا رکب، و یری فی ذلک فرصهٔ یتبرک بها هو و أرفع الصحابهٔ کعبا و أدناهم من جده صلی الله علیه و سلم منزلهٔ، روی الحافظ ابن‌کثیر، أن ابن‌عباس (و هو الشریف الهاشمی، و ابن عم النبی) و کان یأخذ الرکاب للحسن و الحسین اذا رکبا، و یری هذا من النعم علیه، و کانا (الحسن و الحسین) اذا طافا بالبیت یکاد الناس یحطمونهما مما یزدحمون علیهما للسلام علیهما، رضی الله عنهما، و کان ابن‌الزبیر یقول: «والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علی»، فلقد کان الامام الحسن یتمتع منذ طفولته الرشیدهٔ بفطنهٔ حادهٔ، و حمیهٔ مهذبهٔ متزنهٔ، تمیزهٔ أشیاء لا تتوافر فی غیر ابن النبی صلی الله علیه و سلم، بل تفرض علی محمد بن اسحاق (صاحب السیرهٔ النبویهٔ) أن یقول: «ما تکلم أحد کان أحب الی اذا تکلم ألا یسکت من الحسن بن علی، و ما سمعت منه کلمهٔ فحش قط».

و روی الشبلنجی فی نور الأبصار، أن الامام الحسن خرج ذات یوم من داره، و علیه حلهٔ فاخرهٔ، و وفرهٔ ظاهرهٔ و محاسن سافرهٔ، و قد رکب بغلهٔ فارههٔ، و وجهه الشریف یشرق حسنا و جمالا، و هیبهٔ و جلالا، و قد حفت به خدمه و حاشیته، فعرض له فی طریقه شخص من محاویج الیهود، و علیه مسح من جلود، قد أنهکته العلهٔ و رکبته القلهٔ و الذلهٔ، و قد شوته شمس الظهیرهٔ، و هو حامل جرهٔ ما علی قفاه، فاستوقف الحسن رضی الله عنه و قال: یابن رسول الله، سؤال، قال ما هو، قال جدک یقول «الدنیا سجن المؤمن و جنهٔ الکافر»، و أنت مؤمن، و أنا کافر، فما أری الدینا الا جنهٔ لک تنعم بها، و ما أراها الا سجنا علی، قد أهلکنی ضرها و أجهدنی فقرها، فأجابه الامام الحسن: «یا هذا، لو نظرت الی ما أعد الله

[صفحه ۱۵۸]

لی فی الآخرهٔ، لعلمت أنی فی هذه الحالهٔ بالنسبهٔ الی تلک، فی سجن، و لو نظرت الی ما أعد الله لک فی الآخرهٔ من العذاب الألیم، لرأیت أنک الآن فی جنهٔ واسعهٔ»، فبهت الیهودی و لم یجد جوابا.

هذا و قد بلغ من هیبهٔ الامام الحسن أنه کان یفرش له علی باب البیت، فاذا خرج و جلس انقطع الطریق، لأنه لا یمر أحد الا جلس اجلالا ـ و اکبارا له، فاذا علم ذلک قام و دخل البیت، و أخرج الیعقوبی فی تاریخه بسنده عن رجاء بن ربیعهٔ قال: کنت بالمدینهٔ بمسجد رسول الله صلی الله علیه و سلم فی حلقهٔ فیها أبوسعید و عبدالله بن عمرو، فمر الحسن بن علی فسلم فرد علیه القوم، و سکت عبدالله بن عمرو، ثم أتبعه فقال: و علیک السلام و رحمهٔ الله، ثم قال: هذا أحب أهل الأرض الی السماء، و الله ما کلمته منذ لیال صفین، فقال أبوسعید: ألا تنطلق الیه فتعتذر الیه، قال نعم، قال فقام فدخل أبوسعید فاستأذن له، ثم استأذن لعبدالله بن عمرو، فدخل فقال أبوسعید لعبدالله بن عمرو، حدثنا بالذی حدثتنا به حیث مر الحسن، فقال نعم: أنا أحدثکم به، أنه أحب أهل الأرض الی السماء، قال فقال له الحسن: اذا علمت أنی أحب أهل الأرض الی السماء، فلم قاتلتنا أو أکثرت یوم صفین، قال، أما أنی والله ما أکثرت سوادا

و لا ضربت معهم بسيف، ولكنى حضرت مع أبى أو كلمة نحوها، قال أما علمت أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، قال بلى، ولكنى كنت أسرد الصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم، فشكانى أبى الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله: ان عبدالله بن عمرو يصوم النهار، و يقوم الليل، قال صلى الله عليه و سلم صم و افطر، و صل و نم، فانى أنا أصلى و أنام و أصوم و أفطر، ثم قال لى: يا عبدالله، أطع أباك، فخرج يوم صفين و خرجت معه. (أى خرج عبدالله مع أبيه عمرو بن العاص فى جانب معاوية، و ضد الامام على و آل البيت).

هذا و قد كان من عظيم هيبة سيدنا الامام الحسن و مكانته فى نفوس المسلمين أنه ما اجتاز مع أخيه الامام الحسين، على ركب فى حال سفرهما الى بيت الله الحرام ماشين، الا ترجل ذلك الراكب تعظيما و اكبارا لهما، حتى ثقل المشى على

[صفحه ۱۵۹]

جماهير الحجاج، فكلموا سعد بن أبى‌وقاص رضى الله عنه فى ذلك، فبادر الى الامام الحسن و قال له: يا أبامحمد ان المشى قد ثقل على الحجاج لأنهم اذا رأوكما لم تطب نفوسهم بالركوب، فلو ركبتما رحمة لهم، فأجابه الامام: «لا نركب فقد عاهدنا الله أن نؤم بيته ماشين، ولكن نتنكب الطريق»، هذا و قد رأى هيبة الامام الحسن و وقاره بعض الأغبياء من الحاقدين على آل البيت الطاهرين المطهرين فقال له: ان فيك عظمة، فأجابه الامام: ان فى عزة، ثم تلا قوله تعالى (و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين)، و جاء فى المناقب: أن الحسن كان يحاكى جده صلى الله عليه و سلم فى هيبته و وقاره، و سؤدده، و صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث يقول «أما الحسن فان له هيبتى سؤددى، و أما الحسين فان له جرأتى و جودى»، و لعل من أوضح ما يفسر لنا ما قال ابن‌عباس رضى الله عنه حين مات الامام الحسن «ان أول ذل دخل على العرب موت الحسن عليه‌السلام»، الأمر الذى يشير الى ما كان للامام الحسن من مكانة فى المجتمع الاسلامى.

و فى الواقع فان تلك المكانة، و تلك الكرامة، لم تكن للامام الحسن عند الناس فحسب، و انما كانت قبل ذلك و بعده، عندالله سبحانه و تعالى، و عند رسوله صلى الله عليه و سلم، و من ذلك قصته مع معاوية، عندما أراد أن يمنع عنه عطاءه فى بيت المال، فلم يرسله له فى حينه، و احتاج الحسن الى المال، وكان من أكرم الناس، و خطر بباله أن يكتب لمعاوية فى ذلك، ولكنه، فيما يروى البيهقى و الحاكم و ابن‌عساكر و السيوطى و القاضى النبهانى، رأى، فيما يرى النائم، جده صلى الله عليه و سلم يقول له: يا بنى أتكتب لمخلوق فى حاجتك، و علمه دعاء يدعو به، جاء فيه «اللهم اقذف فى قلبى رجاءك و اقطع رجائى عمن سواك، حتى لا أرجو أحدا غيرك، اللهم ما ضعفت عنه قوتى، و قصر عنه عملى، و لم تنته اليه رغبتى و لم تبلغه مسألتى و لم يجر على لسانى، مما أعطيت أحدا من الأولين و الآخرين من اليقين، فخصنى به يا أرحم الراحمين»، فلم يمض أسبوع يدعو فيه بهذا الدعاء، حتى بعث اليه معاوية بألف ألف و خمسمائة ألف (و قيل بمائتى ألف، و هذا ما نميل اليه) فقال: الحمدلله الذى لا ينسى من ذكره، و لا يخيب من دعاه، فرأى النبى صلى الله عليه و سلم فقال له: يا حسن

[صفحه ۱۶۰]

كيف أنت، قال بخير يا رسول الله، فقال صلى الله عليه و سلم: «يا بنى هكذا من رجا الخالق، و لم يرج المخلوق» هذا و لم تقف كرامة الامام الحسن على الله و رسوله عند حد الدنيا، بل انها امتدت الى ما بعد انتقاله منها، فلقد ذكر القاضى النبهانى فى جامع كرامات الأولياء أن المناوى روى فى الطبقات، قال: أخرج أبونعيم و ابن‌عساكر عن الأعمش: أن رجلا تغوط على قبره فجن، و جعل ينبح كما

ينبح الكلب ثم مات فسمع يعوى فى قبره.

زهده و ورعه

كان الامام الحسن عابدا تقيا، زهدا ورعا، روى ابن‌عساكر فى تاريخه، و أبونعيم فى حليـة الأولياء، و ابن‌كثير فى البداية و النهاية، أنه رضوان الله عليه، و قاسم الله ماله ثلاث مرات، و خرج من ماله مرتين، و حج خمسا و عشرين مرة ماشيا، و ان النجائب لتقاد بين يديه، كما روى ذلك البيهقى عن ابن‌عباس، و قد علق البخارى فى صحيحه أنه حج ماشيا، و النجائب تقاد بين يديه، و روى عن الامام جعفر الصادق عن أبيه الامام الباقر عن أبيه الامام زين العابدين، أنه قال: حج الحسن بن على ماشيا، النجائب تقاد بين يديه، و نجائبه تقاد الى جنبه، و عن الامام الباقر عن أبيه الامام على زين العابدين أنه قال، قال الحسن بن على: أنى لأستحى من الله أن ألقاه و لم أمش الى بيته، فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه، و أخرج الحاكم عن عبدالله بن عبيد بن عمير، قال: لقد حج الحسن و خمسا و عشرين حجة ماشيا، و أن النجائب لتقاد معه، و روى ابن‌كثير أنه كان يقرأ فى بعض خطبه سورة ابراهيم، و كان يقرأ فى كل ليلة سورة الكهف قبل أن ينام، يقرؤها من لوح كان يدور معه حيث كان فى بيوت نسائه، فيقرؤه بعد ما يدخل فى الفراش قبل أن ينام رضى الله عنه.

و كان الامام الحسن اذا دخل المسجد رفع صوته قائلا: «الهى ضيفك ببابك يا محسن، قد أتاك المسىء فتجاوز عن قبيح ما عندى بجميل ما عندك يا كريم»، و اذا شرع فى الصلاة بدأ عليه الخوف و الخضوع و الخشوع حتى ترتعد جميع

[صفحه ۱۶۱]

فرائصه، ومن مظاهر عبادته وخوفه من الله أنه اذا ذكر الجنة و النار و اضطرب و اضطراب السليم، فسأل الله الجنة، و تعوذ من النار، و اذا ذكر الموت و ما يعقبه من بعث و نشور، بكى بكاء الخائفين والمنيبين، و اذا ذكر العرض على الله شهق شهقة يغشى عليه منها، و أخرج ابن خلكان فى وفيات الاعيان: كان الحسن اذا فزع من الوضوء تغير لونه، فقيل له فى ذلك فقال: «حق على من اراد ان يدخل على ذى العرش ان يتغير لونه»، و اخرج ابن كثير أن الامام الحسن كان اذا صلى الغداة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم يجلس فى مصلاة يذكر الله حتى ترتفع الشمس و يجلس اليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن و ربما أتحفنه (أو قد يهدى اليهن و يهدين اليه) ثم ينصرف الى منزله.

و أخرج ابن عبد البر فى الاستيعاب: كان الحسن بن على رضى الله عنه حليما كريما، ورعا فاضلا، دعاه ورعه و فضله الى ترك الملك و الدنيا، رغبة فيما عند الله، و كان يقول «والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى و ما يضرنى أن ألى أمر أمة محمد صلى الله عليه و سلم على أن يهراق فى ذلك محجمة دم»، و من ثم نراه، حين ولى الخلافة بعد أبيه الامام على، رضى الله عنهما، استقبل معاوية بكتائب كالجبال، لكثرتها و قوة بأسها، و مع أنه كان أحق الناس بالخلافة، و أقدرهم عليها، فقد رأى أنه لن يستقر له الأمر، الا بعد سفك دماء غريرة، فتنازل عن الخلافة لمعاوية، زهدا فيها، و تورعا من سفك دماء المسلمين بسببها، و حقق بذلك نبوءة جده المصطفى صلى الله عليه و سلم من أن الله سيصلح به بين فئتين كبيرتين من المسلمين، هذا وقد بلغ من رضائه و بالله تعالى فى كل حال، أن قيل له، فيما أخرجه ابن عساكر فى تاريخه، واليافعى فى مرآته، و الذهبى فى سير أعلام النبلاء، أن أباذر رضى الله عنه يقول «الفقر أحب الى من الغنى، والقسم أحب الى من الصحة، فقال الامام الحسن: رحم الله أباذر، أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له، لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختارها الله له»، و يعلق ابن عساكر على هذا بقوله: «و هذا حد الوقوف على الرضا بما يتصرف به القضاء»، و وصفه أبو نعيم فى حلية الأولياء بقوله: «فأما السيد المحبب، و الحكيم المقرب، الحسن بن على رضى الله عنه فله معانى

المتصوفة الكلام المشرق المرتب، و المقام المؤنق المهذب».

[صفحه ۱۶۲]

مكانته العلمية

نشأ الامام الحسن فى بيت الوحى، و تربى فى مدرسة النبوة، فتتلمذ أولا على يدى جده سيد الاولين و الآخرين محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم أكمل تربيته أبوه الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، و كفاه فخرا و أن يكون تلميذ النبى ثم الوصى، و صدق رسول الله صلى الله عليه و آله حيث يقول «أنا مدينة العلم، و على بابها» (رواه الطبرانى و البزار و الترمذى و السيوطى)، هذا و قد روى الامام الحسن عن جده صلى الله عليه و سلم، فيما يقول ابن حجر فى الاصابة، أحاديث حفظها عنه، منها ما جاء فى السنن الاربعة، فلقد اخرج الامام احمد فى مسنده، و الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الاصابة بسنده الى أبى الحوراء: قال الحسن بن على: علمنى رسول الله صلى الله عليه و سلم كلمات أقولهن فى الوتر «رب اهدنى فيمن هديت، و عافنى فيمن عافيت، و تولنى فيمن توليت، و بارك لى فيما أعطيت، وقنى شر ما قضيت، انک تقضى و لا يقضى عليک، و انه لا يذل من واليت، تبارکت ربنا و تعاليت»، و أخرج الامام أحمد و ابن ماجة و أبو داود و الترمذى، من حديث أبو هريرة، و الحافظ ابن الحجر عن أبى الحوراء، قال قلت للحسن: ما تذكر من رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: أذكر أنى أخذت تمرة من تمر الصدقة فجعلتها فى فى، فنزعها رسول الله صلى الله عليه و سلم بلعا بها، فجعلها فى التمر، فقيل يا رسول الله، و ما كان عليک من هذه التمرة لهذا الصبى، قال صلى الله عليه و سلم: «انا آل محمد لا تحل لنا الصدقة»، كما أخرج فى رواية أخرى من حديث أبى هريرة أنه صلى الله عليه و سلم قال: «كخ كخ، ارم بها، أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة»، و منها ما أخرجه الامام أحمد و النسائى أن الحسن روى عن جده صلى الله عليه و سلم قوله «دع ما يريبک الى ما يريبک، فان الصدق طمأنينة، و أن الكذب ريبة»، و منها قول الحسن: «و عقلت عنه صلى الله عليه و سلم الصلوات الخمس»، و من الأحاديث الصحيحة التى رواها الحسن عن جده صلى الله عليه و سلم عن سفيان الثورى بسنده عن عمير قال: سمعت الحسن بن على يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من صلى صلاة فجلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس، كان له حجابا من النار».
هذا وقد وعى الامام الحسن أحاديث جده رسول الله صلى الله عليه و سلم، مع أنه كان فى

[صفحه ۱۶۳]

الثامنة من عمره، و بدهى أنه كان للبيئة التى نشأ فيها الامام الحسن دورا كبيرا فى ذلك، و لا غرو فهو شجرة النبوة، و عضو أهل بيت الرسالة و غصن أهل بيت الرحمة، و نقطة معدن العلم، آثره جده المصطفى صلى الله عليه و سلم بالتوحيد و الارشاد منذ نعومة الرحمة، و نقطة معدن العلم، آثره جده المصطفى صلى الله عليه و سلم بالتوجيه و الارشاد منذ نعومة أظفاره، فكان لذلک أكبر الأثر و أعظمه فى تكوينه العلمى، و ثقافته الواسعة، ثم تولاه بعده أبوه الامام على، فأكمل ثقافته و أتم تربيته، و الامام على، كما نعلم، نشأ منذ طفولته و تربى فى حجر النبى صلى الله عليه و سلم و غرق علمه فى بحر النبوة الأصفى حتى امتلأ و صار، كما يقول الحسن البصرى، «ربانى هذه الأمة»، و كان الامام على يتحدث بنعمة ربه فيقول «أيها الناس سلونى قبل أن تفقدونى، فوالله ما من آية فى كتاب الله عزوجل، الا ـ و أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، فى سهل أم فى جبل»، و هكذا كان علم الامام الحسن علما موروثا بحق، و مغروفا من المنبع الأصفى، فكان علما خالصا، حرص الامام عليه، و نفع به الناس، و قدره حق قدره حتى روى عنه أنه كان يقول لبنيه و بنى أخيه

الامام الحسين «تعلموا العلم، فان لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه فى بيوتكم».

و هكذا روى الامام الحسن الحديث الشريف عن صاحبه جده سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و عن أبيه الامام على، و عن أخيه الامام الحسين، ابنه الحسن و عائشة أم المؤمنين و ابن أخيه على بن الحسين، و ابناه و عبدالله و الباقر، و عكرمة و ابن سيرين و جبير بن نفير، و أبو الحوراء ربيعة بن شيبان و أبو مجلز، و هبيرة بن يريم و شيبان بن الليل و غيرهم.

و أخرج ابن عساكر بسنده: أن الحسن بن على رضى الله عنه كان يجلس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم و يجتمع الناس حوله و يتكلم و بما يشفى غليل السائلين، و يقطع و حجج القائلين، من ذلك ما رواه الواحدى فى تفسيره، أن رجلا قال: دخلت مسجد المدينة، فاذا أنا برجل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و الناس حوله، فقلت له: أخبرنى عن شاهد و مشهود، فقال نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، و أما المشهود فيوم النحر، فجزته الى غلام كأن وجهه الدينار، و هو يحدث عن رسول

[صفحه ۱۶۴]

الله صلى الله عليه و سلم فقلت له: أخبرنى عن شاهد و مشهود، فقال نعم، أما الشاهد فمحمد صلى الله عليه و سلم و أما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته تعالى يقول «يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا»، و قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود)، فسألت عن الأول، فقالوا: ابن عباس، و سألت عن الثانى فقالوا الحسن بن على، رضى الله عنهما، و روى الشبلنجى القصة فى نور الأبصار، و ان نسب تفسير ابن عباس الى ابن عمر، و أن ابن عباس وافقه فى الشاهد و خالفه فى المشهود، حيث رأى أنه يوم عرفة، واتفق مع ابن عساكر فى تفسير الامام الحسن فى أن الشاهد جده رسول الله صلى الله عليه و سلم و المشهود يوم القيامة، و أن الله قد وهب الحسن بصيرة و علما و هداية، فلقد عوضه سبحانه و تعالى عن الخلافة الظاهرة، التى تنازل عنها طائعا مختارا، و هو فى مكان القوة و القدرة، حقنا لدماء المسلمين، و ذلك بالخلافة الباطنة، حتى ذهب قوم الى أن قطب الأولياء فى كل زمان، لا يكون الا من أهل البيت الطاهرين المطهرين، و قد ناقشنا ذلك فى الجزء الاول من هذه السلسلة بالتفصيل، و أوردنا الآراء المختلفة فيها، و منها أن قوما ذهبوا الى أن القطب فى كل عصر لابد أن يكون من أهل البيت النبوى الشريف، و ان رأى ابوالعباس المرسى، كما نقل عنه تلميذه ابن عطاء، أن القطب قد يكون منهم، و قد يكون من غيرهم، و لكن قطب الأقطاب لا يكون الا منهم، لأنهم أزكى الناس أصلا، و أوفرهم فضلا، لأن مقام أهل البيت من غيرهم، مقام النجوم فى السماء من أهل الأرض، فهم بيت النبوة و ذرية سيد الأولين و الآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

هذا وقد كتب الحسن البصرى رضى الله عنه الى الامام الحسن يسأله عن القضاء و القدر، فكتب اليه ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من لم يؤمن بقضاء الله و قدره، خيره و شره، فقد كفر، و من حمل ذنبه ربه فقد فجر، و ان الله تعالى لا يطاع استكراها، و لا يعصى بغلبه، لأنه تعالى مالك لما ملكهم، و قادر على ما أقدرهم، فان عملوا بالطاعة لم يحل بينهم و بين ما عملوا، فان لم يفعلوا فليس هو الذى أجبرهم على ذلك، و لو أجبر الخلق على الطاعة لأسقط عنهم العقاب، و لو أهملهم فان ذلك عجز فى القدرة، و لكن الله له فيهم المشيئة التى غيبها عنهم، فان

[صفحه ۱۶۵]

عملوا بالطاعة، و ان عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم».

و روى الشعرانى فى كشق الغمة، أن الامام الحسن قال فى فضل القرآن: ان القرآن فيه مصابيح النور و شفاء الصدور، فليجل جال

بضوئه، و لیلجم الصفة قلبه، فان التفکیر حیاة القلب البصیر، کما یمشی المستنیر فی الظلمات بالنور»، و روی الشبلنجی فی نور الأبصار أن الامام الحسن قال: هلاک الناس فی ثلاث: «الکبر و الحرص و الحسد، فالکبر به هلاک الدین و به لعن ابلیس، و الحرص عدو النفس، و به أخرج آدم من الجنة، و الحسد رائد السوء، و به قتل هابیل و قابیل»، و روی أن الامام الحسن قال فی المساجد: من أدام الاختلاف الی المسجد أصاب ثمان خصال: آیة محکمة، و أخا مستفادا، و علما مستطرفا، و رحمة منتظرة، و کلمة تدل علی هدی أو تردی عن ردی، و ترک الذنوب حیاء أو خشیة»، و قال فی الدعاء: «ما فتح الله عزوجل علی احد باب مسألة فخزن (أغلق) عنه باب الاجابة، و لا فتح علی رجل باب عمل، فخزن عنه باب القبول، و لا فتح لعبد باب شکر، فخزن عنه باب المزید»، و سئل الامام الحسن: من أحسن الناس عیشا، و فقال: من أشرک الناس فی عیشه، فقیل من أشر الناس عیشا، قال: «من لا یعیش فی عیشه أحد»، و قال الامام «فوت الحاجة خیر من طلبهما الی غیر أهلها، و أشد من المصیبة سوء الخلق، و العبادة انتظار الفرج».

و قال الامام الحسن فی تقوی الله: ان الله لم یخلفکم عبثا، و لیس بتارککم سدی، کتب آجالکم و قسم بینکم معائشکم لیعرف کل ذی منزلة منزلته، و أن ما قدر له أصابه، و ما صرف عنه فلن یصیبه، قد کفاکم مؤنة الدنیا و فرغکم لعبادته، وحثکم علی الشکر، و افترض علیکم و أوصاکم بالتقوی، و جعل التقوی منتهی رضاه، و التقوی باب کل توبة، و رأس کل حکمة، و شرف کل عمل بالتقوی، فاز من فاز من المتقین، قال تبارک و تعالی: «ان للمتقین مفازا» و قال: «و ینجی الله الذین اتقوا بمفازتهم لا یمسهم السوء و لا هم یحزنون)، فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن من یتق الله یجعل له مخرجا من

[صفحه ۱۶۶]

الفتن، و یسدده فی أمره، و یهیء له رشده، و یفلحه بحجته، و یبیض وجهه، و یعطیه رغبته مع الذین أنعم الله علیهم من النبیین و الصدیقین والشهداء و الصالحین و حسن أولئک رفیقا». وقال: «یا بنی آدم عف عن محارم الله تکن عابدا، و أرض بما قسم الله تکن غنیا، و أحسن جوار من جاورک تکن مسلما، و صاحب الناس بما تحب أن یصاحبوک به تکن عادلا، انه کان بین أیدیکم قوم یجمعون کثیرا، و یبنون مشید أو یأملون بعیدا، أصبح جمعهم بورا، و عملهم غرورا، و مساکنهم قبورا، یا بن آدم انک لم تزل فی هدم عمرک مذ سقطت من بطن أمک، فجد بما فی یدیک، فان المؤمن یتزود، و الکافر یتمتع، و کان یتلو عقب کلامه هذا أقوله تعالی: «و تزودوا فان خیر الزاد التقوی».

و من حکمه رضی الله عنه: و «لا ادب لمن لا عقل له، و لا مودة لمن لا همة له، و لا حیاء لمن لا دین له، و رأس العقل معاشرة الناس بالجمیل، و بالعقل تدرک الدارین جمیعا، و من حرم العقل حرمهما جمیعا»، و روی جابر أنه سمع الامام الحسن یقول: «مکارم الأخلاق عشر: صدق اللسان، و صدق البأس، واعطاء السائل، و حسن الخلق، و المکافاة بالصنائع، و صلة الرحم، و التذمم علی الجار، و معرفة الحق للصاحب، و قری الضیف، و رأسهن الحیاء»، و أخرج الیعقوبی فی تاریخه بسنده أن معاویة قال للامام الحسن رضی الله عنه یا أبا محمد ثلاث خصال ما وجدت من یخبرنی عنهن، قال الامام: و ما هن، قال: المروءة و الکرم و النجدة، قال الامام: «أما المروءة فاصلاح الرجل أمر دینه، و حسن قیامه علی ماله، و لین الکف، و افشاء السلام، و التحبب الی الناس، و أما الکرم، فالعطیة قبل السؤال، و التبرع بالمعروف، و الاطعام فی المحل، ثم النجدة: الذب عن الجار، و المحاماة فی الکریهة، و الصبر عند الشدائد»، و زاد بعضهم الحزم، و هو طول الأناة، و الاحتراز من جمیع الناس».

و روی أن معاویة قال فی مجلسه یوما: «اذا لم یکن الهاشمی سخیا لم یشبه حسبه، و اذا لم یکن الزبیری شجاعا لم یشبه حسبه، و اذا لم یکن المخزومی تائها لم یشبه حسبه، و اذا لم یکن الأموی حلیما لم یشبه حسبه،

[صفحه ۱۶۷]

فبلغ ذلك الامام الحسن فقال: والله ما أراد الحق، و لكنه أراد أن يغرى بنى هاشم بالسخاء فيفنون أموالهم و يحتاجون اليه، و يغرى آل الزبير بالشجاعة فيفنون بالقتل، و يغرى بنى مخزوم بالتيه فيبغضهم الناس، و يغرى بنى أمية بالحلم فيحبهم الناس»، و من حكمه رضى الله عنه: «ما تشاور قوم الا هدوا الى رشدهم»، و قال: «اللؤم أن لا تشكر النعمة»، و قال لبعض ولده: «يا بنى لا تآخ أحد حتى تعرف موارده و مصادره، فاذا استنبطت الخبرة، و رضيت العشرة، فآخه على اقالة العثرة، والمواساة فى العسرة»، و قال رضى الله عنه: «القريب من قربته المودة، و ان بعد نسبه، و البعيد من باعدته المودة، و ان قرب نسبه، لا شىء اقرب من يد الى جسد، و ان اليد تفل فتقطع و تحسم». و قال رضى الله عنه الخير الذى لا شر فيه، الشكر مع النعمة، و الصبر على النازلة».

اسرة الامام الحسن

عرف الامام الحسن بحسن عشرته لأزواجه، فكان يمسكهن بمعروف، و يسرحهن باحسان، و كان الناس يرغبون فى مصاهرته، لأنه ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم و لانه كان بارا باهله، كريما فى معاملته لهن، لا تفارقه امرأة، الا و هى تحبه و تصبوا اليه، و من عجب أن المؤرخين و الرواة انما يزعمون أن للامام الحسن انما كان مزواجا مطلاقا، حتى أنكر أبو عليه ذلك و نهى الناس عن تزويجه فلم ينتهوا، فقد كانوا يرون فى الاصهار الى سبط النبى صلى الله عليه و سلم و ابن اميرالمؤمنين على، شرفا أى شرف، و أن رجلا- من همدان قال للامام على: «و الله يا أميرالمؤمنين، لو خطب الينا كل يوم لزوجناه منا من شاء، ابتغاء صهر رسول الله صلى الله عليه و سلم»، و قام آخر فقال: «والله لنزوجنه، فما رضى أمسك، و ما كره طلق، و تابعه الجميع على ذلك»، و هكذا زعم البعض أن زوجات الامام ربما بلغن التسعين، بل ان بعض المؤرخين و المحدثين لم يتورع فى أن ينقل كعادته عن المستشرقين أن وفاته لعلها كانت بسبب اسرافه فى حياة اللهو، و لست أدرى من أين جاء هؤلاء المؤرخون بهذه الكثرة من الزوجات للامام الحسن، مع أن ما أخصوه هم أنفسهم، لم يزد عن خمسة عشر امرأة، و ليس سبعين أو تسعين، أو مائة، و هو

[صفحه ۱۶۸]

عدد لا يمت الى الكثرة المزعومة بصلة (قارن ذلك بما قيل مثلا عن المغيرة بن شعبة، حيث زعم المكثرون أنه تزوج ألف امرأة فى حياته الطويلة، و زعم المقلون أنه تزوج مائة أو تسعا و تسعين، و توسط المعتدلون فزعموا أنه تزوج ثلاثمائة).

و أيا ما كان الأمر، و أيا ما كان عدد زوجات الامام الحسن، فلا ريب أن حفيد النبى صلى الله عليه و سلم لم يفعل ذلك، على وجه اليقين، اشباعا لخط النفس، و هو المعروف بأنه التقى الورع، المشهود له بالزهد فى الدنيا و العزوف عنها، و انما كان زواجه لأسباب منها أن عدد مرات زواجه عاديا مثل الذى كان يحدث فى عصره، و منها أن الزواج فى ذلك العصر انما كان يربط العصبيات و يزيد فى قوة القبائل، كما كان تعدد الزواج أمرا مألوفا، بل مستحبا و هو فى بيت النبوة أكثر استحبابا، و ليس مع الحلال تهمة، و من ثم فان الامام الحسن اذا كان قد تزوج أكثر من مرة، فيجب الحكم على ذلك فى ظل الظروف التى كان يعيش فيها الامام، و أعنى بذلك أنه انما كان يهدف الى تعدد الاصهار الى كثير من القبائل، لأن الحاكم، على حد تعبير ابن‌خلدون انما يستند الى عصبية، و منها أن الامام الحسن انما كان حريصا على تكثير نسل النبى صلى الله عليه و سلم و ذريته، و لعله رأى، بما وهبه الله من نور البصيرة، ما سوف يتعرض له أهل البيت من تقتيل و تشريد، لا يحفظ منه سلالة الرسول صلى الله عليه و سلم من الاندثار و الانقراض، الا تعدد الزواج و كثرة النسل، و من ثم فقد أشفق على الذرية الطاهرة من الفناء، هؤلاء الذين جعل الله وجودهم فى الأرض رحمة للناس، و ما أشد

حاجـة الناس لائمة الهدى من ذرية النبى صـلى الله عليه و سـلم بنور الايمان الذى يرقونه من عرقهم الطاهر المطهر، و ينمونه فى بيئتهم النقيـة الصالحـة، و صـدق الامـام على حينمـا قـال فى السـادة الأشـراف آل بيت النـبى صـلى الله عليه و سـلم: «أين الـذين زعموا أنهم الراسـخون فى العلم دوننـا، كـذبا و بغيـا علينا، أن رفعنا الله و وضـعهم، و أعطانا و حرمهم، و أدخلنا و أخرجهم، بنا يسـتعطى الهـدى و يستجلى العمى»، و صدق الفرزدق حين قال:

ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم

أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

[صفحه ۱۶۹]

و أمـا زوجـات الامـام الحسن فهن: سـلمى بنت امرىء القيس بن عـدى الكلبى (و قـد تزوج الامـام على أختها المحياة، و تزوج الامام الحسـين أختها الثانية الرباب)، و خولة بنت منظور الفزارية، و كانت من سـيدات النساء فى وفور عقلها و كمالها، و قد بقيت عند الامام حتى توفى فجزعت عليه جزعا و شديدا، ثم جعدة بنت الأشعث بن قيس، و هى التى يكاد يجمع المؤرخون و المحدثون أنها هى التى سمت الامام الحسن، بايعاز من معاوية أو ولده يزيد، و منهن عائشة الخثعمية، و قد طلقها الامام لاظهارها الشـماتة فى وفاة سيدنا الامام على، حيث قالت للحسن: «لتهنئك الخلافة»، فلما علم بشـماتتها قال لها: «ألقتل على تظهرين و الشـماتة، اذهبى فأنت طالق»، و لم يذكر التاريخ أن الامام طلق غيرها، سوى أم‌كلثوم بنت الفضل بن عباس، التى تزوجها بعده أبوموسى الأشعرى، و كذا امرأة من بنى‌شيبان، و من زوجات الامام كذلك أم‌اسـحاق بنت طلحة بن عبيدالله التميمى، و أم‌بشـير بنت أبى‌مسـعود الأنصارى، و هند بنت عبدالرحمن بن أبى‌بكر، ثم امرأة من بنـات عمرو بن أهيم المنقرى، و امرأة من ثقيـف، و امرأة من بنـات زارة، و امرأة من بنى‌شـيبان من آل‌همـام بن مرة، و قد طلقها لأنها كانت ترى رأى الخوارج، فقال: «انى أكره أن أضم الى نحرى جمرة، من جمر جهنم»، ثم أم عبدالله بنت الشليل أخى جرير بن عبدالله البجلى، و أم القاسم، و هكذا يكون مجموع ما تزوجه الامام الحسن هذا العدد من النساء، و هو عدد لا يمت الى الكثرة المزعومـة بصـلة، و من ثم فلنـا أن نتسـاءل: «أين كثرة الزواج و الطلاـق التى طبـل لها المؤرخون» و أما أولاد الامام الحسن فقد اختلف المؤرخون فى عددهم، ما بين اثنى عشر و ستة عشر، و ان اتفقوا أنه لم يعقب منهم سوى الحسن بن الحسن، و زيد بن الحسن، و أما القاسم و أبوبكر و عبدالله، و فقد استشهدوا فى مذبحة كربلاء، مع عمهم سيدالشهداء الامام الحسين، و أما بقية الأبناء فماتوا دون عقب.

وفاة الامام الحسن

اختلف المؤرخون فى سنة وفاة الامام الحسن، و بالتالى فى عمره يوم

[صفحه ۱۷۰]

وفـاته، و على أى حال، فهم يرونها فى الأعوام ۵۹، ۵۸، ۵۱، ۵۰، ۴۹، ۴۸ ه، و يرجح البعض أنه توفى بالمدينة فى يوم الخميس لليلتين بقيتا من صـفر سنة خمسين من الهجرة (مارس ۶۷۰ م)،و كان موقف بن أميـة من تشـييع جنازته موقفا مزريا، لا يصدر الا من بنى‌أمية،

مع أن المفروض أن يذكروا للامام فضل تنازله عن الخلافة، و بالتالى فقد سالمهم و حقن دماءهم و دماء المسلمين، و طبقا لرواية ابن عبدالبر فى الاستيعاب، فلم يشهد جنازته من بنى‌أمية الا سعيد بن العاص، و كان يومئذ أميرا للمدينة، فقدمه الحسين للصلاة عليه، و قال: «هى السنة، ثم خالد بن الوليد بن عقبة، ناشد بنى‌أمية أن يخلوه يشاهد الجنازة فتركوه، فشهد دفنه»، و ان ذهبت بعض الروايات أن مروان شهدها كذلك، و ان كانت الأحداث لا تؤيدها،د كما سنرى.

و روى الحاكم فى المستدرك عن سالم بن أبى‌حفصة قال: سمعت أباحازم يقول: انى لشاهد يوم مات الحسن بن على، فرأيت الحسين بن على يقول لسعيد بن العاص، و يطعن فى عنقه و يقول: تقدم فلولا أنها سنة ما قدمتك، و كان بينهم شىء، فقال أبوهريرة: أتنفسون على ابن نبيكم صلى الله عليه و سلم بتربة تدفنونه فيها، و قد سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من أحبهما فقد أحبنى، و من أبغضهما فقد أبغضنى».

على أن حقد بنى‌أمية و بغضهم لسيد بنى‌هاشم و آل البيت الأطهار، لم يقف عند هذا الحد، روى المؤرخون أن الامام وصى أن يدفن عند النبى صلى الله عليه و سلم الا أن تخاف فتنة فينقل الى مقابر المسلمين، و روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب أن الامام الحسن أوصى أخاه الحسين قائلا: قد كنت طلبت الى عائشة أن تأذن لى فأدفن فى بيتها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت نعم، و انى لا أدرى لعل ذلك كان منها حياء، فاذا مت فاطلب ذلك اليها، فان طابت نفسها فادفنى فى بيتها، و ما أظن القوم الا سيمنعوك اذا أردت ذلك، فان فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك و ادفنى فى بقيع الغرقد، فان فيمن فيه أسوة، فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة فطلب ذلك اليها فقالت نعم و كرامة، فبلغ ذلك مروان، فقال مروان: «كذب و كذبت

[صفحه ۱۷۱]

و الله لا يدفن هناك أبدا، منعوا عثمان من دفنه فى المقبرة، و يريدون دفن حسن فى بيت عائشة»، و هذا ما نميل اليه و نرجحه، غير أن رواية المفيد ربما تشير الى أن السيدة أم المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) عارضت فى دفنه مع جده صلى الله عليه و سلم، و ربما أشارت كذلك رواية يحيى بن الحسن التى جاءت فى «مقاتل الطالبين»، و الأمر كذلك بالنسبة الى رواية لليعقوبى، جاء فيها: أن عائشة ركبت بغلة شهباء و قالت: «بيتى لا آذن فيه لأحد، فأتاها القاسم بن محمد بن أبى‌بكر، فقال لها: يا عمة، ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء؟ فرجعت».

غير أن أباالفرج الأصفهانى نفسه يذهب الى أن الحسن بن على أرسل الى عائشة أن تأذن له أن يدفن مع النبى صلى الله عليه و سلم فقالت: نعم ما كان بقى الا موضع قبر واحد، فلما سمعت بذلك بنوأمية اشتملوا بالسلاح هم و بنوهاشم للقتال، و قالت بنوأمية: «و الله لا يدفن مع النبى صلى الله عليه و سلم أبدا»، و قال: و جعل مروان يقول يا رب هيجا هى خير من دعة، أيدفن عثمان فى أقصى البقيع، و يدفن الحسن فى بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و الله لا ـ يكون ذلك أبدا، و أنا أحمل السلاح، فكادت تقع الفتنة، و أبى‌الحسين الا أن يدفنه مع النبى صلى الله عليه و سلم، فقال له عبدالله بن جعفر: عزمت عليك بحقى ألا تكلم بكلمة فمضى به الى البقيع، و انصرف مروان بن الحكم.

و أخرج ابن‌عساكر فى تاريخه أن الامام الحسن كان قد عهد الى أخيه أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فان خاف أن يكون فى ذلك شىء فليدفنه بالبقيع، فأبى مروان أن يدعه و قال: ما كنت لأدع ابن أبى‌تراب يدفن مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد دفن عثمان بالبقيع، و مروان يومئذ معزول، يريد أن يرضى معاوية بذلك، فلم يزل عدوا لبنى‌هاشم حتى مات، و لما امتنع مروان من أن يدفن الحسن رضى الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه و سلم لامه أبوهريرة و ذكر له فضل على و الحسن، فقال له مروان: أنت و الله أكثرت على رسول الله صلى الله عليه و سلم الحديث، فلا نسمع منك ما تقول، فهل من غيرك يعلم ما تقول، فقال له: هذا

أبوسعید الخدری، فقال

[صفحه ۱۷۲]

مروان: «لقد ضاع حدیث رسول الله صلی الله علیه و سلم حین لا یرویه الا أنت و أبوسعید، و الله ما أبوسعید حین مات رسول الله صلی الله علیه و سلم الا غلام، و لقد جئت أنت من جبال دوس قبل وفاة رسول الله صلی الله علیه و سلم بیسیر، فاتق الله یا أباهریرة، فقال له نعم، ما أوصیت به، و سکت عنه»، و فی روایة ابن عبدالبر أن أباهریرة قال: «والله ما هو الا ظلم یمنع حسن أن یدفن مع أبیه، و الله انه لابن رسول الله».

و روی الحافظ الذهبی فی سیر أعلام النبلاء، بعد أن روی وصیة الحسن، و موافقة السیدة عائشة، و معارضة بنی‌أمیة، روی عن الحسن بن محمد بن الحنفیة أنه قال: جعل الحسن یوعز للحسین رضی الله عنه قائلا: یا أخی ایاک أن تسفک دما، فان الناس سراع الی الفتنة، فلما مات قالت عائشة: نعم و کرامه، فبلغ ذلک مروان الی معاویة بخبره، و أنهم یریدون دفنه مع النبی صلی الله علیه و سلم و لا یصلون الی ذلک أبدا و أنا حی، فانتهی حسین الی قبر النبی صلی الله علیه و سلم فقال: أحفروا، فنکب عنه سعید بن العاص، أمیر المدینة، فاعتزل، و صاح مروان فی بنی‌أمیة و لبسوا السلاح، فقال له الحسین: یا ابن‌الزرقاء، ما لک و لهذا، أوال أنت؟ فقال مروان: لا تخلص الی هذا و أنا حی، فصاح الحسین بحلف الفضول، فاجتمعت بنوهاشم و زهرة و تیم و أسد فی السلاح، و عقد مروان لواء، و کانت بینهم مراماة، و جعل عبدالله بن جعفر یلح علی الحسین و یقول: یا ابن عم، ألم تسمع الی عهد أخیک، أذکر الله أن تسفک الدماء، و هو یأبی، قال الحسن بن محمد بن الحنفیة، فسمعت أبی یقول «لقد رأیتنی یومئذ، و انی لأرید أن أضرب عنق مروان، ما حال بینی و بین ذلک، الا أن أکون أراه مستوجبا لذلک، ثم دفعت بأخی و ذکرته وصیة الحسن فأطاعنی».

و أخرج الحافظ ابن‌کثیر عن الواقدی بسنده عن جابر بن عبدالله، قال: شهدنا الحسن بن علی یوم مات، و کادت الفتنة تقع بین الحسین بن علی و مروان بن الحکم، و کان الحسن قد عهد الی أخیه أن یدفن مع رسول الله صلی الله علیه و سلم فان خاف أن یکون فی ذلک قتال أو شر فلیدفن فی البقیع، فأبی مروان أن یدعه، و مروان یومئذ معزول یرید أن یرضی معاویة، و لم یزل مروان عدوا لبنی

[صفحه ۱۷۳]

هاشم حتی مات، قال جابر، فکلمت یومئذ حسین بن علی فقلت: «یا أباعبدالله، اتق الله و لا تثر فتنة، فان أخاک کان لا یحب ما تری، فادفنه بالبقیع»، و روی أن الامام الحسین قال یومئذ «والله لولا عهد الحسن و بحقن الدماء، و أن لا أهریق فی أمره محجمة دم، لعلمتم کیف تأخذ سیوف الله منکم مأخذها، و قد نقضتم العهد بیننا، و أبطلتم ما اشترطنا علیکم لأنفسنا»، و مضوا بالامام الشهید الحسن بن علی، علیه‌السلام، فدفنوه بالبقیع عند جدته فاطمة بنت أسد أم الامام علی.

و هکذا عمل کبار الصحابة، و علی رأسهم سعد بن أبی‌وقاص و عبدالله بن عمر و جابر بن عبدالله و أبوهریرة، علی تهدئة الامام الحسین، فقبل رجاءهم، و تغاضی عن السفالة الأمویة، و الخسة المروانیة، التی ما کان فی استطاعتها، لولا السلطة، و لولا وصیة الامام الحسن، من أن تمنع ابن رسول الله من أن یدفن مع أبیه صلی الله علیه و سلم، و کما قال أبوهریرة: «أرأیتم لو مات ابن‌موسی علیه‌السلام، أما کان یدفن مع أبیه»، خاصة و أن صاحبة الدار أم‌المؤمنین عائشة قد رضیت مکان القبر الوحید الذی ما یزال باقیا، و هکذا بدأ طغیان بنی‌أمیة یثیر النفوس الأبیه ولکن الناس کانت تخشی الفتنة، و قد اکتوا بنارها سنین من قبل، مما زاد فی طغیات الأمویین، حتی قیل لأبی‌اسحاق: متی ذل الناس، قال: «حین مات الحسن، و ادعی زیاد، و قتل حجر بن عدی»، و علی أی حال، فلقد

بعث بنوهاشم صائحا الى العوالى يصيح فى كل قرية من قرى الأنصار بموت الحسن، فنزل أهل العوالى و لم يتخلف أحد عنه، و روى أن الامام الحسين دعا بعض بنى‌هاشم، ابن‌عباس [۴] و عبدالرحمن بن جعفر و على بن

[صفحه ۱۷۴]

عبدالله بن عباس، فأعانوه على غسل أخيه الامام الحسن و حنطوه و ألبسوه أكفانه، و خرجوا به الى المسجد فصلوا عليه، و أخرج ابن كثير عن سفيان الثورى بسنده عن أبى‌حازم قال: رأيت الحسين بن على قدم يومئذ سعيد بن العاص، فصلى على الحسن، و قال: «لولا أنها سنة ما قدمته»، و عن ابن‌اسحاق عن مساور قال: رأيت أباهريرة قائما على مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم مات الحسن بن على، و هو ينادى بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله فابكوا، وقد اجتمع الناس لجنازته حتى ما كان البقيع يسع أحدا من الزحام، و قد بكاه الرجال و النساء سبعا، قال ثعلبة بن مالك: رأيت الناس بالبقيع، و لو طرحت ابرة ما وقعت الا على انسان، و بكى عليه النساء و الرجال و الصبيان سبعة أيام بمكة و المدينة، و روى الحاكم فى المستدرك أنه لما توفى الامام الحسن أقام نساء بنى‌هاشم النوح عليه شهرا، و عن أبى‌جعفر قال: مكث الناس يبكون على الحسن بن على، و عطلت الأسواق، و روى الواقدى عن عائشة قالت: حد نساء بنى‌هاشم على الحسن بن على سنة.

[صفحه ۱۷۵]

مناقب الامام الحسن

اشاره

من البدهى أن الامام الحسن انما هو من أهل البيت الذين فضلهم الله على كثير من عباده تفضيلا، و من البدهى كذلك انما قد أكرمه الله سبحانه و تعالى بكل ما أكرم به أهل البيت، و من ثم فهو تنطبق عليه كل فضائل آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم التى أشار اليها القرآن الكريم، و فصلتها الأحاديث النبوية الشريفة، الأمر الذى فصلناه فى الجزء الأول من هذه السلسلة، و بالتالى فهو واحد من هؤلاء الطاهرين المطهرين الذين جاءت فى حقهم آيتا الأحزاب (۵۶، ۳۳) و آية الشورى ۲۳، و غيرها من آيات الذكر الحكيم، فضلا عن الأحاديث النبوية الشريفة التى تبين فضل آل البيت، و تحض المسلمين على مودتهم و موالاتهم، و تنفر من بغضهم و كراهيتهم، بل و تعلن بوضوح و جلاء أن حب آل النبى من حب النبى صلى الله عليه و سلم، أن بغضهم من بغضه، و أنه لا أمل لمن يكره آ ل النبى صلى الله عليه و سلم فى رضا المصطفى صلى الله عليه و سلم فى الدنيا، و شفاعته فى الآخرة، و أن مصيره أسوا مصير، و سوف نشرف هنا فقط يذكر الأحاديث النبوية الشريفة التى جاءت فى فضل الامام الحسن، ثم تلك التى جاءت فى فضل الحسن و الحسين معا، رضى الله عن سبطى رسول الله صلى الله عليه و سلم و ريحانتيه فى الدنيا.

فضائل الامام الحسن

روى عن سيدنا و مولانا وجدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم عدة أحاديث فى فضل سيدنا

[صفحه ۱۷۶]

الامام الحسن، عليه‌السلام، منها (اولا) روى البخارى و مسلم من طريق اسماعيل، و الامام أحمد و الطبرانى عن أبى‌جحيفة قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان الحسن بن على يشبهه»، و منها (ثانيا) روى البخارى و مسلم و ابن‌ماجة من طريق عبيدالله بن زيد، و الامام أحمد فى المسند و الفضائل عن أبى‌هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال للحسن: «اللهم انى أحبه فأحبه، و أحب من يحبه»، و أخرج ابن‌كثير عن البراء بن عازب بسنده، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و الحسن بن على على عاتقه، و هو يقول «اللهم انى أحبه فأحبه»، و زاد على بن الجعد بسنده عن البراء «و أحب من أحبه» و قال الترمذى حسن صحيح، و فى رواية البخارى فى صحيحه عن البراء قال: رأيت النبى صلى الله عليه و سلم، و الحسن بن على على عاتقه يقول: «اللهم انى أحبه فأحبه»، و منها (ثالثا) أخرج البخارى و الحاكم و الطبرانى و العجلى و الامام أحمد فى المسند و الفضائل عن عقبة بن الحارث، قال: خرجت مع أبى‌بكر فى صلاة العصر بعد وفاة النبى صلى الله عليه و سلم بليال، و على يمشى الى جنبه، فمر بحسن بن على يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته، و هو يقول: و أبى شبه النبى، ليس شبيها بعلى، قال: و على يضحك، و فى رواية البخارى: صلى أبوبكر رضى الله عنه العصر، ثم خرج يمشى فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه، و قال: «بأبى‌شبيه النبى صلى الله عليه و سلم لا شبيه بعلى، وعلى يضحك»، و فى رواية: «بأبى شبيه بالنبى صلى الله عليه و سلم و ليس شبيها بعلى، و على يضحك».

و فى رواية أخرى فى صحيح البخارى عن أنس قال: «لم يكن أحد أشبه النبى صلى الله عليه و سلم من الحسن بن على»، و روى الترمذى عن أبى‌جحيفة قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فكان الحسن بن على يشبهه»، و روى الترمذى عن على قال: «الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه و سلم ما بين الصدر الى الرأس، و الحسين أشبه برسول الله صلى الله عليه و سلم ما كان أسفل من ذلك»، و روى الحاكم فى المستدرك عن أنس بن مالك قال: «لم يكن فى ولد على أشبه برسول الله صلى الله عليه و سلم من الحسن» و منها (رابعا) روى البخارى (فى الصحيح و الأدب المفرد) و أبوداود الطيالسى و الترمذى و الطبرانى فى الكبير، و الامام أحمد فى المسند و الفضائل عن البراء قال رأيت النبى صلى الله عليه و سلم

[صفحه ۱۷۷]

واضعا الحسن بن على على عاتقه و هو يقول «اللهم انى أحبه فأحبه»، و منها (خامسا) روى البخارى و الترمذى و النسائى و أبوداود و عبدالرازق و الطبرانى و الامام أحمد عن أبى‌بكرة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم على المنبر، و حسن معه، و هو يقبل على الناس مرة، و يقول: «ان ابنى هذا سيد، و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»، و أخرج الترمذى عن أبى‌بكرة قال: «صعد رسول الله صلى الله عليه و سلم المنبر، فقال: ان ابنى هذا سيد، يصلح الله على يديه فئتين - يعنى الحسن بن على».

و روى الامام أحمد و الرويانى و ابن‌عساكر عن أبى‌بكرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلى بالناس، فاذا سجد وثب الحسن على ظهره أو على عنقه، فرفع رأسه فيضعه وضعا رقيقا لئلا يصرع، فعل ذلك غير مرة، فلما قضى صلاته ضمه اليه و جعل يقبله، فقالوا: يا رسول الله انك لتفعل بهذا شيئا ما رأيناك تفعله بأحد، فقال: «ان ابنى هذا ريحانتى من الدنيا، و ان ابنى هذا سيد، و سيصلح الله به بين فئتين من مسلمين».

و منها (سادسا) أخرج الامام أحمد فى الفضائل عن أنس يعنى ابن‌سيرين قال قال الحسن بن على يوم كلم معاوية، ما بين جابرس و جابرق (مدينتان بأقصى المشرق و المغرب) رجل جده نبى غيرى، و انى رأيت أن أصلح بين أمة محمد صلى الله عليه و سلم و كنت أحقهم بذلك، ألا ـ انا قد بايعنا معاوية، و لا أدرى لعله فتنة لكم و متاع الى حين»، و منها (سابعا) أخرج الامام أحمد فى المسند و

الفضائل بسنده عن أبی‌هریرة (و ابن‌ماجة من طریق وکیع) قال: «رأیت النبی صلی الله علیه و سلم حامل الحسن بن علی علی عاتقه، و لعابه یسیل علیه»، و أخرج الامام أحمد عن البراء بن عازب بسنده قال: رأیت رسول الله صلی الله علیه و سلم و الحسن علی عاتقه، و هو یقول: «اللهم انی أحبه فأحبه»، و روی مسلم فی صحیحه عن أبی‌هریرة عن النبی صلی الله علیه و سلم أنه قال لحسن: «اللهم انی أحبه فأحبه، و أحبب من یحبه».

و منها (ثامنا) أخرج الامام أحمد و الطبرانی و ابن‌حبان و ابن الاعرابی و الحاکم عن ابن‌عون عمیر بن اسحاق، قال: کنت مع الحسن بن علی،

[صفحه ۱۷۸]

فلقینا أبی‌هریرة فقال: أرنی أقبل منک حیث رأیت رسول الله صلی الله علیه و سلم یقبل، قال فقال بقمیصه، قال: «فقبل سرته».

و روی الحاکم عن أبی‌هریرة رضی الله عنه أنه لقی الحسن بن علی فقال: رأیت رسول الله صلی الله علیه و سلم قبل بطنک، فاکشف الموضع الذی قبل رسول الله صلی الله علیه و سلم حتی أقبله، و کشف له الحسن فقبله».

و منها (تاسعا) أخرج الامام أحمد فی المسند و الفضائل و الطحاوی فی شرح الآثار، و الهیثمی فی مجمع الزوائد، و الطبرانی فی الکبیر بسنده عن عیسی بن عبدالرحمن عن أبیه عن جده، قال: کنا عند النبی صلی الله علیه و سلم فجاء الحسن بن علی، علیه‌السلام، یحبو حتی صعد علی صدره، فبال علیه فابتدرناه لنأخذه، فقال النبی صلی الله علیه و سلم «ابنی ابنی، قال: ثم دعا بماء فصبه علیه».

و روی الطبرانی عن أنس قال: بینا رسول الله صلی الله علیه و سلم راقد، اذ جاء الحسن یدرج حتی قعد علی صدره، ثم بال علیه، فجئت أمیطه، فقال صلی الله علیه و سلم «ویحک یا أنس، دع ابنی و ثمرة فؤادی، فان من آذی هذا، فقد آذانی، و من آذانی فقد آذی الله.»

و منها (عاشرا) روی الامام أحمد فی المسند و الفضائل و الطبرانی فی الکبیر و الحاکم فی المستدرک عن شعبة عن عمرو، قال سمعت عبدالله بن الحارث یحدث عن زهیر بن الأقمر قال: بینما الحسن بن علی یخطب، اذ قام رجل فقال: انی رأیت النبی صلی الله علیه و سلم واضعه فی حبوته، و هو یقول: «من أحبنی فلیحبه، فلیبلغ الشاهد الغائب، و لولا عزیمة رسول الله صلی الله علیه و سلم لما حدثت» و فی روایة الحاکم: «و لولا کرامة رسول الله صلی الله علیه و سلم لما حدثت».

و منها (حادی عشر) أخرج الامام أحمد فی الفضائل عن علی بن زید أن فتیة من قریش خطبوا بنت سهیل بن عمرو، و خطبها الحسن بن علی، فشاورت أباهریرة، و کان لنا صدیقا، فقال أبوهریرة: «رأیت رسول الله صلی الله علیه و سلم یقبل فاه، فان استطعتی أن تقبلی مقبل رسول الله صلی الله علیه و سلم فافعلی، فتزوجته»، و منها (ثانی عشر) أخرج الامام أحمد و البخاری و مسلم عن أبی‌هریرة قال: ما رأیت حسن قط الا

[صفحه ۱۷۹]

و دمعت عینی، جلس النبی صلی الله علیه و سلم فی المسجد و أنا معه، فقال ادعوا لی لکع أو أین لکع (أی الصغیر) فجاء الحسن یشتد حتی أدخل یده فی لحیة النبی صلی الله علیه و سلم فوضع النبی صلی الله علیه و سلم فمه علی فمه أو فمه علی فیه، ثم قال: «اللهم انی أحبه فأحب من یحبه».

و منها (ثالث عشر) أخرج الحافظ ابن‌کثیر بسنده عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلی الله علیه و سلم: «من سره أن ینظر الی

سید شباب أهل الجنة، فلینظر الی الحسن بن علی»، و منها (رابع عشر) أخرج الحافظ ابن‌کثیر بسنده عن عکرمة عن ابن‌عباس (و رواه الترمذی عن ابن‌عباس أیضا) قال: خرج رسول الله صلی الله علیه و سلم و هو حامل الحسن علی عاتقه، فقال له رجل: «یا غلام نعم المرکب رکبت، فقال رسول الله صلی الله علیه و سلم و نعم الراکب هو»، و منها (خامس عشر) أخرج الحافظ ابن‌کثیر بسنده عن عبدالرحمن أبی‌عوف الجرشی عن معاویة قال: «رأیت رسول الله صلی الله علیه و سلم یمص لسانه أو قال شفته، و یعنی الحسن بن علی، و أنه لن یعذب لسان او شفتان یمصهما رسول الله صلی الله علیه و سلم».

و روی ابن‌عساکر عن عبدالرحمن بن عوف قال: قال عمرو بن العاص و أیوب الأعور السلمی لمعاویة: «ان الحسن بن علی رجل عی، فقال معاویة: لا تقولا ذلک، فان رسول الله صلی الله علیه و سلم قد تفل فی فیه، و من تفل رسول الله صلی الله علیه و سلم فی فیه، فلیس بعی».

و منها (سادس عشر) أخرج البخاری عن أبی‌موسی قال: سمعت الحسن (البصری) یقول: استقبل الحسن بن علی معاویة بکتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: انی لأری کتائب لا تولی حتی تقتل أقرانها، فقال له معاویة، و کان و الله خیر الرجلین، أی عمرو، ان قتل هؤلاء هؤلاء، و هؤلاء هؤلاء، من لی بأمور الناس، من لی بنسائهم، من لی بضیعتهم، فبعث الیه رجلین من قریش من بنی عبدشمس، عبدالرحمن بن سمرة، و عبدالله بن عامر بن کریز، فقال اذهبا الی هذا الرجل، فاعرضا علیه و قولا له و اطلبا الیه، فقال لهم الحسن بن علی: انا بنوعبدالمطلب قد أصبنا من هذا المال، و ان هذه الأمة قد

[صفحه ۱۸۰]

عاثت فی دمائها، قالا: فانه یعرض علیک کذا و کذا، و یطلب الیک و یسألک، قال فمن لی بهذا، قالا نحن لک به، فما سألهما و شیئا الا قالا: نحن لک به، فصالحه، قال الحسن (البصری) و لقد سمعت أبابکرة یقول: رأیت رسول الله صلی الله علیه و سلم علی المنبر، و الحسن بن علی الی جنبه، و هو یقبل علی الناس مرة، و علی أخری، و یقول: «ان ابنی هذا سید، و لعل الله أن یصلح به بین فئتین عظیمتین من المسلمین»، و فی روایة للبخاری: «و لعل الله أن یصلح به بین فئتین من المسلمین».

و منها (سابع عشر) أخرج الامام أحمد فی مسنده عن أبی‌بکرة قال کان رسول الله صلی الله علیه و سلم یصلی بالناس، و کان الحسن بن علی یثب علی ظهره اذا سجد، ففعل ذلک غیر مرة، قالوا له: و الله انک لتفعل لهذا شیئا ما رأیناک تفعله بأحد، قال المبارک، فذکر شیئا ثم قال: و ان ابنی هذا سید و سیصلح الله تبارک و تعالی به، فئتین من المسلمین، فقال الحسن (أی الحسن البصری) فوالله والله بعد أن ولی لم یهرق فی خلافته ملء محجمة دم»، و منها (ثامن عشر) أخرج الامام أحمد و فی مسنده عن أبی‌بکرة أن رسول الله صلی الله علیه و سلم کان یصلی، فاذا سجد و ثب الحسن علی ظهره و علی عنقه، فیرفع رسول الله صلی الله علیه و سلم رفعا رقیقا لئلا یصرع، قال: فعل ذلک غیر مرة، فلما قضی صلاته، قالوا یا رسول الله رأیناک صنعت بالحسن شیئا ما رأیناک صنعته، قال صلی الله علیه و سلم «انه ریحانتی من الدنیا، و ان ابنی هذا سید، و عسی الله تبارک و تعالی أن یصلح به فئتین من المسلمین».

و منها (تاسع عشر) روی الحاکم فی المستدرک عن سعید بن سعید المقبری قال: کنا مع أبی‌هریرة، فجاء الحسن بن علی بن أبی‌طالب علینا فسلم، فرددنا علیه‌السلام، و لم یعلم به أبوهریرة فقلنا له: یا أباهریرة هذا الحسن بن علی قد سلم علینا، فلحقه و قال: و علیک السلام یا سیدی،ثم قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه و سلم یقول: «انه سید»، و منها (عشرون) روی ابن‌عساکر عن أبی‌جعفر قال: «بینما الحسن مع رسول الله صلی الله علیه و سلم اذ عطش ظمأه، فطلب له النبی صلی الله علیه و سلم ماء فلم یجد، فأعطاه لسانه، فمصه حتی روی.»

[صفحه ۱۸۱]

و منها (واحد و عشرون) روی ابن‌مندة و أبونعیم و ابن‌عساکر، و رجاله ثقات، عن سودة بنت مسرح و الکندیة قالت: کنت فیمن حضر فاطمة حین ضربها المخاض، فجاء النبی صلی الله علیه و سلم کیف هی؟ ابنتی فدیتها، قلت: انها لتجهد یا رسول الله، قال: فاذا وضعت فلا تحدثی شیئا حتی تؤذنینی، وفی لفظ فلا تسبقینی به بشیء، قالت فوضعته فسررته و لففته فی خرقة صفراء، فجاء رسول الله صلی الله علیه و سلم فقال: ما فعلت ابنتی فدیتها و ما حالها و کیف هی؟ فقلت یا رسول الله: وضعته و سررته و جعلته فی خرقة صفراء، قال لقد عصیتنی، قلت: أعوذ بالله من معصیة الله و معصیة رسوله، سررته یا رسول الله و لم أجد من ذلک بدا، قال: ائتنی به، فأتیته به، فألقی عنه الخرقة الصفراء، و لفه فی خرقة بیضاء، و تفل فی فیه، و ألبأه بریقه، ثم قال: أدعی لی علیا، فدعوته فقال: ما سمیته یا علی، قال: سمیته جعفر یا رسول الله، قال: «لا، ولکنه حسن، و بعده حسین، و أنت أبوالحسن و الحسین».

و روی الحاکم فی المستدرک عن عبدالله بن عبید بن عمیر قال: «لقد حج الحسن بن علی خمسا و عشرین حجة ماشیا، و ان النجائب لتقاد معه»، و روی الحاکم عن عمران بن عبدالله قال: رأی الحسن بن علی، فیما یری النائم، بین عینیه مکتوبا: قل هو الله أحد، فقصها علی سعید بن المسیب فقال: ان صدقت رؤیاک فقد حضر أجلک، قال: «فسم الحسن فی تلک السنة و مات رحمة الله علیه».

و روی الخطیب و ابن‌عساکر عن ابن‌مسعود قال قال رسول الله صلی الله علیه و سلم «خیر رجالکم علی، و خیر شبابکم الحسن و الحسین، و خیر نسائکم فاطمة».

فضائل الامامین الحسن و الحسین

هناک الکثیر من الأحادیث النبویة التی قالها سیدنا رسول الله صلی الله علیه و سلم فی حق سبطیه الحسن و الحسین معا، منها (أولا) أخرج الترمذی عن عبدالرحمن بن أبی نم قال سمعت رسول الله صلی الله علیه و سلم یقول: «ان الحسن و الحسین هما ریحانتای

[صفحه ۱۸۲]

فی الدنیا»، و روی الذهبی عن أبی‌أیوب الأنصاری رضی الله عنه قال: دخلت علی رسول الله صلی الله علیه و سلم و الحسن و الحسین یلعبان علی صدره، فقلت یا رسول الله: أتحبهما، قال: «کیف لا أحبهما، و هما ریحانتای فی الدنیا».

و روی أبونعیم عن سعد بن مالک قال: دخلت علی النبی صلی الله علیه و سلم و الحسن و الحسین یلعبان علی ظهره، فقلت یا رسول الله: أتحبهما، فقال: «و ما لی لا أحبهما، و انهما ریحانتای فی الدنیا».

و روی البخاری فی صحیحه عن ابن أبی‌نعم قال: سمعت عبدالله بن عمر، و سأله رجل عن المحرم، قال شعبة و أحسبه یقتل الذباب، فقال: أهل العراق یسألون عن قتل الذباب، و قد قتلوا ابن بنت رسول الله صلی الله علیه و سلم و قال النبی صلی الله علیه و سلم، هما ریحانتای فی الدنیا» (یعنی الحسن و الحسین).

و منها (ثانیا) أخرج الامام أحمد و الترمذی عن أنس بن مالک بسنده قال سئل رسول الله صلی الله علیه و سلم أی أهل البیت أحب الیک، قال: «الحسن و الحسین، و کان یقول لفاطمة: ادعی لی ابنی فیشمهما و یضمهما الیه»، و أخرج الطبرانی عن ابن‌مسعود عن النبی صلی الله علیه و سلم قال: «من أحبنی فلیحب هذین - یعنی الحسن و الحسین»، و منها (ثالثا) أخرج الامام أحمد و الطبرانی عن أبی‌هریرة قال: نظر رسول الله صلی الله علیه و سلم الی علی و الحسن و الحسین و فاطمة، صلوات الله علیهم، فقال: «أنا حرب لمن حاربکم، سلم لمن سالمکم» و فی روایة لأحمد الترمذی عن زید بن أرقم أن رسول الله صلی الله علیه و سلم قال لعلی و فاطمة و

الحسن و الحسین: «أنا حرب لمن حاربتم، سلم لمن سالمتم»، و منها (رابعا) روی الامام أحمد فی المسند و الفضائل و الترمذی عن علی أن رسول الله صلی الله علیه و سلم أخذ بید الحسن و الحسین، فقال: «من أحبنی و أحب هذین و أباهما و أمهما، کان معی فی درجتی یوم القیامة»، و منها (خامسا) أخرج ابن عساکر عن أنس عن النبی صلی الله علیه و سلم أنه قال: «لا یقومن أحد من مجلسه، الا للحسن و الحسین أو ذریتهما».

و منها (سادسا) أخرج الحارث بن أبی‌أسامة عن الباقر رضی الله عنه قال «اصطرح الحسن و الحسین عند رسول الله صلی الله علیه و سلم فجعل رسول الله یقول: هی

[صفحه ۱۸۳]

حسن، فقالت فاطمة یا رسول الله: تعین الحسن کأنه أحب الیک من الحسین، قال صلی الله علیه و سلم ان جبریل یعین الحسین، أنا أحب أن أعین الحسن (رواه السیوطی فی الخصائص) و منها (سابعا) أخرج الامام أحمد و البزار و أبوداود الطیالسی و أبویعلی و الطبرانی، بطرق مختلفة، عن علی أنه قال: دخل علی رسول الله صلی الله علیه و سلم و أنا نائم علی المنامة، فاستسقی الحسن أو الحسین، قال: فقام النبی صلی الله علیه و سلم الی شاة لنا بکیء فحلبها فدرت، فجاء الحسن فنحاه النبی صلی الله علیه و سلم فقالت فاطمة یا رسول الله، کأنه أحبهما الیک، قال لا، ولکنه استسقی قبله، ثم قال: أنا و ایاک و هذان و هذا الراقد فی مکان واحد یوم القیامة، و منها (ثامنا) أخرج ابن‌سعد عن علی أنه قال: خبرنی رسول الله صلی الله علیه و سلم أن أول من یدخل الجنة، أنا و فاطمة و الحسن و الحسین، قلت یا رسول الله: فمحبونا، قال: «من ورائکم»، و منها (تاسعا) أخرج الطبرانی فی المعجم الکبیر عن واثلة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه و سلم: «اللهم انک جعلت صلواتک و رحمتک و مغفرتک و رضوانک علی ابراهیم و آل ابراهیم، اللهم انهم منی و أنا منهم، فاجعل صلواتک و رحمتک و مغفرتک و رضوانک علی وعیهم،»، قال «یعنی علیا و فامطة و حسنا و حسینا».

و منها (عاشرا) أخرج الترمذی عن أسامة بن زید قال: طرقت النبی ذات لیلة فی بعض الحاجة، فخرج النبی صلی الله علیه و سلم و هو مشتمل علی شیء لا- أدری ما هو، فلما فرغت من حاجتی، قلت ما هذا الذی أنت مشتمل علیه، قال فکشفه فاذا حسن و حسین، علیهماالسلام، علی و رکیه، فقال: «هذان ابنای، و ابنا ابنتی، اللهم انی أحبهما فأحبهما، و أحب من یحبهما»، و منها (حادی عشر) أخرج الامام أحمد و ابن‌ماجة و الهیثمی عن أبی‌هریرة قال قال رسول الله صلی الله علیه و سلم «من أحبهما فقد أحبنی، و من أبغضهما فقد أبغضنی، یعنی حسنا و حسینا»، و منها (ثانی عشر) أخرج الترمذی و الامام أحمد عن أبی‌سعید الخدری رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه و سلم: «الحسن و الحسین سیدا شباب أهل الجنة»، و روی ابن‌ماجة فی السنن عن ابن‌عمر قال قال رسول الله صلی الله علیه و سلم «الحسن و الحسین سیدا شباب أهل الجنة، و أبوهما خیر منهما» (رواه أیضا الحاکم فی المستدرک)، و فی

[صفحه ۱۸۴]

روایة لابن‌عساکر عن علی و ابن عمر عن النبی صلی الله علیه و سلم قال: «ابنای هذان الحسن و الحسین سیدا شباب أهل الجنة، و أبوهما خیر منهما»، و أخرج الطبرانی و أبونعیم فی فضائل الصحابة عن فاطمة عن النبی صلی الله علیه و سلم قال: «ما من نبی الا و ولد الأنبیاء غیری، و ان ابنیک سیدا شباب أهل الجنة، الا ابنی الخالة، یحیی و عیسی».

و منها (ثالث عشر) أخرج الامام أحمد عن أبی‌سعید الخدری قال قال رسول الله صلی الله علیه و سلم: الحسن و الحسین سیدا شباب

أهل الجنة، و فاطمة سيدة نسائهم، الا ما كان لمريم بنت عمران»، و روى الخطيب و ابن‌عساكر عن ابن‌مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «خير رجالكم على، و خير شبابكم الحسن و الحسين، و خير نسائكم فاطمة».

و منها (رابع عشر) أخرج الامام أحمد، و الت مذى عن حذيفة قال: سألتنى أمى منذ متى عهدك بالنبى صلى الله عليه و سلم قال فقلت لها: منذ كذا و كذا و كذا، قال فنالت منى و سبتنى، قال فقلت لها: دعينى فانى آتى النبى صلى الله عليه و سلم فأصلى معه المغرب، ثم لا أدعه حتى يستغفر لى و لك، قال فأتيت النبى صلى الله عليه و سلم فصليت معه المغرب، فصلى النبى صلى الله عليه و سلم العشاء ثم انفتل فتبعته، فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب فاتبعته فسمع صوتى فقال: من هذا، فقلت حذيفة، قال مالك فحدثته بالأمر، فقال غفر الله لك و لأمك، ثم قال: «أما رأيت العارض الذى عرض لى قبيل، قال قلت بلى، قال فهو ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربه أن يسلم على و يبشرنى أن الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة، أن فاطمة سيدة نساء اهل الجنة رضى الله عنهم»، و فى رواية للامام أحمد عن الشعبى أن هذا الملك هو جبريل، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «فان جبريل جاء يبشرنى أن الحسن و الحسين سيدا أهل الجنة».

و منها (خامس عشر) أخرج الامام أحمد فى المسند و الفضائل، و أبوداود و الترمذى و النسائى و ابن‌ماجة، و ابن‌حبان بسنده عن عبدالله بن بريدة، قال سمعت أبا بريدة يقول: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يخطبنا فجاء الحسن و الحسين،

[صفحه ۱۸۵]

و عليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه و سلم من المنبر، فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله و رسوله «انما أموالكم و أولادكم فتنة» نظرت الى هذين الصبيين يمشيان و يعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثى و رفعتهما»، و منها (سادس عشر) أخرج الامام أحمد و الترمذى عن ابن‌عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعوذ حسنا و حسينا فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان و هامة، و من كل عين لأمة، ثم يقول: «هكذا كان ابراهيم عليه‌السلام، يعوذ اسماعيل و اسحاق، عليهماالسلام»، و منها (سابع عشر) أخرج الطبرانى فى الأوسط، و الهيثمى عن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه و سلم أنها أتت بالحسن و الحسين الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى شكواه التى توفى فيها، فقالت يا رسول الله: هذان ابناك فورثهما شيئا، فقال: «أما حسن فله هيبتى و سؤددى، و أما الحسين فله جرأتى وجودى»، و روى الطبرى مثله أيضا بلفظ «و أما حسين فان له حزامتى وجودى».

و منها (ثامن عشر) أخرج الامام مسلم فى صحيحه فى باب فضائل أهل بيت النبى صلى الله عليه و سلم عن صفية بنت شيبة، قالت، قالت عائشة: خرج النبى صلى الله عليه و سلم غداة، و عليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه،ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا»، و منها (تاسع عشر) أخرج الامام أحمد فى المسند و الفضائل و ابن‌جرير فى تفسيره و الترمذى و الحاكم و السيوطى فى تفسيره و الهيثمى فى مجمع الزوائد، بطرق كثيرة (و الرواية هنا لأحمد فى الفضائل) عن شداد أبى‌عمار، قال دخلت على واثلة بن الأسقع، و عنده قوم فذكروا عليا فشتموه فشتمته معهم، قال لى: لم شتمت هذا الرجل، قلت رأيت القوم شتموه فشتمته معهم، فقال ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه و سلم قلت بلى، فقال أتيت فاطمة أسألها عن على، فقالت توجه الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه على و حسن و حسين، آخذا كل واحد منهما بيده حتى دخل، فأدنى عليا و فاطمة

[صفحه ۱۸۶]

فأجلسهما بين يديه، و أجلس حسنا و حسينا، كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبا أو قال كساء، ثم تلا هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى، و أهل بيتى أحق».

و منها (عشرون) أخرج البزار و أبويعلى عن عبدالله بن مسعود قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلى، فاذا سجد و ثب الحسن و الحسين على ظهره، فاذا أرادوا أن يمنعوهما أشار اليهم أن دعوهما، فاذا قضى الصلاة وضعهما فى حجره، و قال: «من أحبنى فليحب هذين»، و منها (واحد و عشرون) روى أبويعلى بسنده عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يسجد،، فيجىء الحسن و الحسين فيركب ظهره، فيطيل السجود، فيقال يا نبى الله: أطلت السجود، فيقول: «ارتحلنى ابنى فكرهت أن أعجله»، و روى النسائى فى السنن عن عبدالله بن شداد رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى احدى صلاتى العشى، و هو حامل حسنا أو حسينا، فتقدم النبى صلى الله عليه و سلم فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى، فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة أطالها، قال أبى: فرفعت رأسى فاذا الصبى على ظهر رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو ساجد، فرجعت الى سجودى، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه و سلم الصلاة، قال الناس: يا رسول الله صلى الله عليه و سلم انك سجدت بين ظهرانى صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى اليك قال: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابنى ارتحلنى، فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته».

و منها (اثنان و عشرون) أخرج الامام أحمد و البزار و الهيثمى عن أبى‌هريرة قال: كنا نصلى مع رسول الله صلى الله عليه و سلم العشاء، فاذا سجد و ثب الحسن و الحسين على ظهره، فاذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذا رقيقا و يضعهما على الأرض، فاذا عاد عادا حتى قضى صلاته أقعدهما على فخذيه، قال فقمت اليه فقلت يا رسول الله: أردهما، فبرقت برقة، فقال لهما: الحقا بأمكما، قال: «فمكث ضوؤها (يعنى البرقة) حتى دخلا».

و منها (ثلاثة و عشرون) أخرج الامام أحمد فى المسند و الفضائل،

[صفحه ۱۸۷]

و البيهقى و فى سننه و الحاكم فى المستدرك و الطبرانى و البزار بسنده عن يعلى بن مرة، أنه جاء حسن و حسين يستبقان الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فضمهما اليه و قال: ان الولد مبخلة و مجبنة، و منها (أربعة و عشرون) أخرج الامام أحمد فى الفضائل و أبونعيم فى الدلائل و الواحدى فى أسباب النزول و السيوطى فى الدر المنثور و الحاكم فى المستدرك، بطرق مختلفة، عن يونس عن الحسن قال: جاء راهبا نجران الى النبى صلى الله عليه و سلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه و سلم أسلما تسليما، فقالا قد أسلمنا قبلك، فقال النبى صلى الله عليه و سلم كذبتما، منعكما من الاسلام ثلاث: سجودكما للصليب، و قولكما اتخذ الله ولدا، و شربكما الخمر، فقالا- فيما تقول فى عيسى، قال فسكت النبى صلى الله عليه و سلم و نزل القرآن (ذلك نتلوه عليك من الآيات...) الى قوله تعالى (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (آل عمران ۶۱ - ۵۸) قال فدعاهما رسول الله صلى الله عليه و سلم الى الملاعنة قال و جاء بالحسن و الحسين و فاطمة أهله و ولده، قال فلما خرجا من عنده، قال أحدهما لصاحبه: أقرر بالجزية و لا تلاعنه، قال فرجعا، فقالا: نقر بالجزية و لا نلاعنك، قال «فأقر بالجزية»، و منها (خمسة و عشرون) أخرج مسلم فى صحيحه أنه لما نزلت آية المباهلة (آية ۶۱ آل عمران) «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا نرح أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و أنفسنا و أنفسكم و ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم عليا و فاطمة و الحسن و الحسين، رضى الله عنهم، و قال: «اللهم هؤلاء أهلى» (و روى ذلك القاضى عياض فى الشفاء و مسلم فى صحيحه عن سعد بن أبى‌وقاص، و رواه ابن‌مردوية و الحاكم و الطيالسى

عن الشـعبی مرسـلا، و رواه الزمخشری فی الکشاف و غیره)، و منها (ستهٔ و عشرون) روی الامام أحمد و ابن‌ماجهٔ و الحاکم و الهیثمی و البزار عند أبی‌هریرهٔ قال: خرج علینا رسول الله صـلی الله علیه و سـلم و معه حسن و حسـین، هذا علی عاتقه، و هذا علی عاتقه، و هو یلثم هـذا مرهٔ، و یلثم هذا مرهٔ، حتی انتهی الینا، فقال له رجل یا رسول الله: انک لتحبهما، فقال صـلی الله علیه و سـلم «نعم، من أحبهما فقد أحبنی،، و من أبغضـهما فقد أبغضنی».

و منها (سبعهٔ و عشرون) أخرج الطبرانی و ابن‌عساکر بسنده عن النبی صلی الله علیه و سلم

[صفحه ۱۸۸]

أنه قال: «ألا أخبرکم بخیر الناس جـدا و جدهٔ، أالا أخبرکم بخیر الناس عما و عمهٔ، ألا أخبرکم بخیر الناس خالا و خالهٔ، و ألا أخبرکم بخیر الناس و أبا و أما الحسن و الحسـین، جـدهما رسول الله صـلی الله علیه و سـلم، وجـدتهما خدیجهٔ، و أمهما فاطمهٔ بنت رسول الله صلی الله علیه و سـلم و أبوهما علی بن أبی‌طالب، و عمهما جعفر بن أبی‌طالب، و خالهما القاسم بن رسول الله صـلی الله علیه و سـلم و خالاتهما زینب و رقیـهٔ و أم‌کلثوم بنات رسول الله صـلی الله علیه و سـلم، وجـدهما فی الجنـهٔ، و أبوهما فی الجنهٔ، و أمهما فی الجنهٔ، و عمهما فی الجنهٔ و عمتهما و خالاتهما فی الجنهٔ، و هما فی الجنهٔ، و من أحبهما فی الجنهٔ».

و منها (ثمانیهٔ و عشـرون) روی ابن‌حبان فی صـحیحه عن أسامهٔ قال قال رسول الله صـلی الله علیه و سلم (عن الحسن و الحسین) هذان ابنای، و ابنا ابنتی، «اللهم انی أحبهما فأحبهما، و أحب من یحبهما» و منها (تسـعهٔ و عشـرون) أخرج الطبرانی فی الأوسط عن عقبـهٔ عن النبی صـلی الله علیه و سلم الحسن و الحسین سیفا العرش، و لیسا بمعلقین»، و منها (ثلاثون) أخرج الطبرانی عن فاطمهٔ، رضی الله عنها، عن أبیها النبی صلی الله علیه و سلم «کل بنی‌آدم ینتمون الی عصبهٔ، الا ولد فاطمهٔ، فأنا ولیهم، و أنا عصبتهم»، و فی روایهٔ للطبرانی عن عمر رضـی الله عنه عن النبی صـلی الله علیه و سـلم: کـل بنی أنثی، فـان عصـبتهم لأـبیهم، ما خلا ولـد فاطمـهٔ، فانی انا عصـبتهم، و انا أبوهم.»

و منها (واحد و ثلاثون) أخرج أبویعلی عن جابر قال قال رسول الله صـلی الله علیه و سـلم «من سره أن ینظر الی سید شباب أهل الجنهٔ، فلینظر الی الحسـین بن علی»، و فی روایهٔ للحافظ ابن‌کثیر عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صـلی الله علیه و سلم من سره أن ینظر الی سید شباب أهل الجنهٔ، فلینظر الی الحسن بن علی».

و منها (اثنان و ثلاثون) أخرج ابن‌عساکر عن سـلمهٔ عن النبی صـلی الله علیه و سـلم: «ویح الفراخ فراخ آل محمد من خلیفهٔ مسـتخلف مترف»، و أخرج الطبرانی عن زید بن أرقم مرفوعا: «اللهم انی اسـتودعکهما و صالح المؤمنین، یعنی الحسن و الحسـین»، و منها (ثلاثهٔ و ثلاـثون) أخرج الطبرانی عن سـلمان عن النبی صـلی الله علیه و سـلم أنه قال: «من أحب الحسن و الحسـین أحببته، و من أحببته أحبه الله، و من أحبه الله

[صفحه ۱۸۹]

أدخله جنات النعیم، و من أبغضهما أو بغی علیهما، أبغضته، و من أبغضته أبغضه الله، و من أبغضه الله أدخله جهنم، و له عذاب مقیم».

و منها (أربعـهٔ و ثلاثون) روی ابن‌مردویهٔ عن علی عن النبی صـلی الله علیه و سـلم قال: فی الجنهٔ درجهٔ تدعی الوسـیلهٔ، فاذا سألتم الله، فسـلو الی الوسـیلهٔ، قالوا: یا رسول الله من یسـکن معک فیها، قال: «علی و فاطمـهٔ و الحسن و الحسـین»، و منها (خمسـهٔ وثلاثون) روی أبویعلی و أبوشاهین فی السنهٔ عن عمر قال: رأیت الحسن و الحسین علی عاتقی النبی صلی الله علیه و سلم فقلت: نعم الفرس تحتکما،

فقال النبی صلی الله علیه و سلم «نعم الفارسان هما»، و منها (ستة و ثلاثون) عن جعفر بن محمد عن أبیه قال: جعل عمر بن خطاب عطاء الحسن و الحسین مثل عطاء أبیهما (رواه أبوعبید فی الأموال و ابن‌سعد)و منها (سبعة و ثلاثون) ما رواه ابن‌سعد فی الطبقات عن جعفر بن محمد (أی جعفر الصادق شیخ علماء الأمة ابن‌تیمیة) عن أبیه محمد الباقر، قال: قدم علی عمر حلل من الیمن فکسا الناس، فراحوا فی الحلل، و هو بین القبر و المنبر جالس، و الناس یأتونه فیسلمون علیه و یدعون له، فخرج الحسن و الحسین من بیت أمهما فاطمة یتخطیان الناس، و لیس علیهما من تلک شیء، و عمر قاطب صار بین عینیه، ثم قال: و الله ما هنأ لی ما کسوتکم، قالوا: یا أمیرالمؤمنین، کسوت رعیتک فأحسنت، قال: «من أجل الغلامین یتخطیان الناس، و لیس علیهما منها شیء، کبرت عنهما و صغرا عنها، ثم کتب الی الیمن أن ابعث بحلتین لحسن و حسین و عجل، فبعث الیه بحلتین فکساهما».

و منها (ثمانیة و ثلاثون) روی الطبرانی فی الکبیر عن سلمان عن البراء بن عازب قال: کنا حول النبی صلی الله علیه و سلم فجاءت أم‌أیمن فقالت: یا رسول الله، لقد ضل الحسن و الحسین، و ذلک راد النهار، یقول ارتفاع النهار، فقال رسول الله صلی الله علیه و سلم: قوموا فاطلبوا ابنی، و أخذ کل رجل تجاه وجهه، و أخذت نحو النبی صلی الله علیه و سلم فلم یزل حتی أتی سفح جبل، و اذا الحسن و الحسین یلتزق کل واحد منهما صاحبه، و اذا شجاع قائم علی ذنبه فیخرج من فیه من شبه النار، فأسرع الیه رسول الله صلی الله علیه و سلم

[صفحه ۱۹۰]

فالتفت مخاطبا لرسول الله صلی الله علیه و سلم، ثم انساب فدخل بعض الأجحرة، ثم أتاهما فأفرق بینهم، و مسح وجوهما و قال: بأبی و أمی أنتما ما أکرمکما علی الله ثم حمل أحدهما علی عاتقه الأیمن، و الآخر علی عاتقه الأیسر، فقلت: طوبی لکما، نعم المطیة مطیتکما، فقال رسول الله صلی الله علیه و سلم: «نعم الراکبان هما، و أبوهما خیر منهما».

و منهم (تسعة و ثلاثون) روی ابن‌عساکر و ابن‌عدی فی الکامل عن جابر قال: دخلت علی رسول الله صلی الله علیه و سلم و هو یمشی علی أربع، و علی ظهره الحسن و الحسین، و هو یقول: «نعم الجمل جملکما، و نعم العدلان أنتما»، و فی روایة أخری لابن‌عساکر عن جابر قال: دخلت علی النبی صلی الله علیه و سلم و هو حامل الحسن و الحسین علی ظهره، و هو یمشی بهما، فقلت: نعم الجمل جملکما، فقال رسول الله صلی الله علیه و سلم «و نعم الراکبان».

و منها (أربعون) روی ابن‌عساکر عن ابن‌عباس قال: جاء العباس یعود النبی صلی الله علیه و سلم فی مرضه، فرفعه فأجلسه علی السریر، فقال له رسول الله صلی الله علیه و سلم رفعک الله یا عم، ثم قال العباس: هذا علی یستأذن، فدخل و دخل معه الحسن و الحسین، فقال له العباس: هؤلاء ولدک یا رسول الله، قال: و هم ولدک یا عم، فقال: أتحبهم، فقال «أحبک الله کما أحببتهما».

و آخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمین

و الصلاة و السلام علی المبعوث رحمة للعالمین

سیدنا و مولانا و جدنا محمد رسول الله

و علی آله الطاهرین الطیبین

پاورقی

[۱] روی عن الامام الباقر أنه قال: ان لکل قوم نجیة، و ان لکل قوم بنی‌أمیة عمر بن عبدالعزیز، و أنه یبعث یوم القیامة أمة وحده، و قالت فاطمة الامام الحسین: لو کان بقی لنا عمر بن عبدالعزیز، ما احتجنا بعده الی شیء، و من المعروف أن عمر بن عبدالعزیز هو

الذی أبطل البدعة الخسیسة التی ابتدعها معاویة بن أبی‌سفیان، و بسب الامام علی بن أبی‌طالب، کرم الله وجهه، علی منابر المسلمین، و أنها سارت فی بلاد الاسلام حتی وقحت، فکشفت عن وجهها، ثم سارت تطأ کل المنابر، و تصرخ فی کل الآذان، و لم تستح فصعدت فی مسجد رسول الله صلی الله علیه و سلم و بین أهله و علی منبره، منذ أن ابتدعها معاویة، و أصدر أمره الی الولاة أن یجعلوها تقلیدا فی خطب الجمعة، ثم قدم معاویة الخطبة علی صلاة العید، لأن الناس کانوا یکرهون سماع اللعن، فکانوا اذا أدوا الصلاة خرجوا من المسجد، فألزمهم بتقدیم الخطبة، و سماع اللعن (انظر التفصیلان فی مکانهما من هذه الدراسة، و کتاب عبدالعزیز سید الأهل: الخلیفة الزاهد - عمر بن عبدالعزیز - المملکة العربیة السعودیة - ط ۱۴۰۲ ص ۲۱۵ - ۲۰۵) ثم ان عمر بن عبدالعزیز هو الذی رد فدک الی ولد فاطمة علیهاالسلام، لما رد الی موالی الامام علی حقوقهم، التی لغیرهم من المسلمین.

[۲] انظر عباس العقاد: معاویة بن أبی‌سفیان فی المیزان ص ۱۹۳ - ۱۹۰.

[۳] انظر النص الأصلی (ابن أبی‌الحدید: شرح نهج‌البلاغة ۶: ۲۹۴ - ۲۸۵ - بیروت ۱۹۶۵). و انظر: الطاهر عبدالسلام: حصن السلام ص ۱۱۱ - ۹۹ - الدار البیضاء ۱۹۷۸.

[۴] تذهب کثیر من الروایات الی أن ابن‌عباس (اعنی عبدالله بن عباس) کان فی الشام عند موت الامام الحسن، و أن معاویة لما أتاه موت الحسن قال لابن‌عباس: ان حسنا مات، قال: انا لله و انا الیه راجعون، علی عظم الخطب، و جلیل المصاب، أما و الله یا معاویة، لئن کان الحسن مات فما ینسیء موته فی أجلک، و لا یسد جسمه حفرتک، و لقد مضی الی خیر، و بقیت علی شر، قال: لا أحسبه عد خلف الا صبیة صغارا، قال: کلنا کان صغیرا فکبر، قال معاویة: بخ بخ یا ابن‌عباس، أصبحت سید قومک، قال: «أما ما أبقی الله أباعبدالله الحسین بن رسول الله، فلا»، و قد أشرنا الی ذلک من قبل، و الی فرح معاویة بموت الامام الحسن و تکبیره، فارجع الیه.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتجَات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.


مركز القائمية اصفهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹